أحمد عزت عبد الكريم

تاريخ التعليم في مصر

١

عصر عباس وسعيد

وزارة المعارف العمومية

تاريخ التعليم في مصر

من نهاية حكم محمد علي إلى أوائل حكم توفيق

١٨٤٨ — ١٨٨٢

للدكتور

أحمد عزت عبد الكريم

مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

الجزء الأول

عصر عباس الأول وسعيد

١٨٤٨ — ١٨٦٣

مطبعة النصر ٢٩ شارع فاروق بالظاهر [illegible]

١٩٤٥



إهداء الكتاب

إلى مقـام

حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول

مولاى صاحب الجلالة

إن مصر مدينة بنهضتهـا الحالية فى شتى مرافق حياتهـا إلى جدكم الأعلى « محمد على » الكبير ، فقد أرسى قواعد النهضة ، وشاد البناء على أساس مكين من قوة الحديد والعلم والمـال .

حتى إذا تولى أمر مصر جدكم العظيم « إسماعيل » قوّم البناء ، وأصلح ما اعتوره من ضيق أو قصور ، ووصلت مصر — بفضلـه — إلى مصاف الدول المستنيرة الكبرى .

وكان القدر يدخر لوالدكم الجليل — أحسن الله جزاءه — فضل قيادة مصر إلى طريق الحرية والاستقلال ، واستكمال أسباب النهضة القومية . حتى إذا قضى الله أن تتسلموا — مرموقين بعنايته — علم القيادة ، تبوأت مصر فى حكمكم السعيد مكان الزعامة فى الشرق العربى ، وتهيأت لها مقومات الأهلية الدولية .

مولاى صاحب الجلالة

إن هذه النهضة القومية العامة التى تدين بها مصر للبانين من آبائكم وأجدادكم إنما تعتمد — قبل كل شىء — على قوة العلم والتمكين له فى حياة البلاد .

وقد توفرت منذ سنوات على كتابة تاريخ التعليم فى مصر الحديثة ، وقد رفعت إلى سدتكم العلية منذ سنوات كتابى الأول (تاريخ التعليم فى عصر محمد على) لحاز من جلالتكم حسن القبول .

وهذا البحث الذى أتقدم به اليوم يصف تطور النهضة التعليمية بعد حياة منشئها وراعيها : محمد على الكبير ، وما حظيت به فى عهد جدكم المستنير إسماعيل من ازدهار ، وما حفل به عهده الزاهر من منشئات علية ورعاية للعلم والعلماء .

وليس هذا البحث — يا مولاى — إلا أثراً للجهود الرائعة التى تبذلها جلالتكم لتشجيع الدراسات التاريخية : بجمع الأصول ونشر الوثائق ورعاية الباحثين .

وإنه لشرف عظيم — يامولاى — أن أتقدم بهذا البحث التاريخى إلى سدتكم العلية وأتوجه بهذا الإهداء إلى مقامكم الكريم .

أدامك الله — يامولاى — ذخراً للعلم والتعليم ، وأعز ملكك ، وحقق بك آمال شعبك ؟

المؤلف

أحمد عزت عبد الكريم

فهرس الموضوعات

صفحة

الكتاب الأول

التعليم فى عصر عباس الأول

١٨٤٨ — ١٨٥٤

صفحة

الكتاب الثانى

التعليم فى عصر سعيد باشا

١٨٥٤ — ١٨٦٣

صفحة

تقـــديم الكتاب

بقـــلم

حضرة صاحب العزة الأستاذ محمد شفيق غربال بك

المستشار الفني لوزارة المعارف العمومية

بعد أن أتم «الدكتور أحمد عزت عبد الكريم» كتابه في «تاريخ التعليم في عصر محمد علي» انتقل لدراسة أنظمة التعليم في عهد خلفائه : عباس الأول وسعيد وإسماعيل ، وها هو ينشر اليوم كتابه الثاني في هذا الموضوع .

والكتاب الجديد يمتاز بما امتاز به الكتاب الأول من مزايا الرجوع للأصول ، ودقة البحث ، واتزان الحكم ، واعتدال الرأي ، وتحرّي وجه الحقيقة في التفكير والتعبير .

ويعالج المؤلف في كتابه الجديد ما جرى لما خلفه محمد علي للمصريين من الأنظمة التعليمية . وقد بنى العامل البناء وأحكمه . فلم يستطع من جاءوا بعده إلا السكنى فيه : فلا هم بقادرين — من جهة — على مغادرته والسكنى خارجا عنه ، وليست لديهم — من جهة أخرى — الكفاية والوسائل لهدمه وإقامة غيره . فلم تكن لهم مندوحة عن الاستقرار فيه ومحاولة أن يعدلوا في أقسامه ليتمكنوا من ذلك الاستقرار . ومن هنا جاءت نظم التعليم وخططه ومشكلاته في العهد الذي أرخ له المؤلف — عهد عباس الأول وسعيد وإسماعيل — متأثرة كل التأثر بما وضع محمد علي من خطط ونظم ، وما واجه من مشكلات . ولا زال ظل محمد علي — وإن انتهى حكمه — مخيما على العصر التالي له ، عصر خلفائه ، ولا زال الميراث الذي خلفه محمد علي ذخراً يستمد منـــه

خلفاؤه مادة للعمل ، ولا نكاد نلحظ أثراً لمؤثرات قومية أو خارجية حولت تطور تاريخ التعليم عن مجراه المرسوم وعدلت به إلى أهداف جديدة . لهذا جاء تاريخ التعليم فى عصر عباس الأول وسعيد وإسماعيل استمراراً لتاريخ التعليم فى عصر محمد على ، وجاء كتاب اليوم للدكتور عزت استمراراً لكتابه الذى وضعه منذ سنين .

هذا فى مصر ، أما فى أوربا فإن هذا العصر (من سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٨٨٠) حافل بالحركات التى أثرت فى أنظمة التربية والتعليم ، فهذا العصر عصر النهوض القومى . والحركات القومية منها ما يهدف إلى (التجمع) كحركات الوحدة الإيطالية والوحدة الألمانية ، ومنها ما يجنح إلى (التفرق) كالحركات الانفصالية فى الإمبراطورية النمسوية والإمبراطورية العثمانية . وكان لهذه الحركات القومية جميعاً أثرها القوى فى تنظيم حياة الشعوب السياسية والاقتصادية والفكرية على أساس قومى ، وكذلك كان أثرها قويا فى تطور سياسة التعليم ونظمه : فالحركات القومية التى تهدف إلى التجمع أدت إلى إنشاء أنظمة قومية للتعليم ، أنظمة غير متأثرة إلا بالنزعات والأهداف القومية ، وترمى إلى تربية الشعب تربية قومية . أما الحركات القومية التى اتجهت نحو التشتت ، نحو بناء قوميات على أساس عنصرى ، فقد أدت فيما أدت إليه — إلى تأكيد الصفة القومية فى روح التعليم ومعاهده وخططه وبرامجه ، ومن ذلك زيادة الاهتمام بتعليم اللغات القومية والآداب القومية والتاريخ القومى ، ونحو ذلك مما يكون المواطن الحق .

وهذا العصر الذى نؤرخ تعليم فيه عصر نمو الديمقراطية ، والسعى إلى بث الفكرة الديمقراطية فى نظم الحكم والاقتصاد الأهلى وفى التربية والتعليم ، فبعد أن كان التعليم ترفا لاينال إلا الأغنياء والمحظوظون ، أصبح حقاً شائعاً للجميع ، تكفله الدولة للشعب بجميع طبقاته فى مدارس التعليم الأولى .

وكان من الواضح أنه لا يستطاع تحقيق هذه الغايات كلها إلا إذا أخذت الدولة — ممثلة فى الإدارة المركزية للتعليم — شئون التعليم كله بين يديها ، فالدولة هى التى ترسم الخطوط الأساسية فى السياسة التعليمية وتصنع الخطط والأنظمة وتفتح — أو ترعى — معاهد التعليم . ونبعاً لذلك تختفى — أو تقل — المؤثرات المحلية فى مسائل التعليم ، فالهيئات المحلية [illegible] وجدت كما هو الحال فى انجلترا — لاتستطيع أن تواصل نشاطها إلا بهدى الإدارة العامة وإشرافها ، والكنيسة — فى فرنسا — يبطل نفوذها فى تربية الناشئين

وعلى هذا النحو يجرى تطور نظم التربية والتعليم فى أوروبا من سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٨٨٠ وهو تطور يتأثر — كما رأينا — بالحركات القومية والديموقراطية التى حفلت بها هذه الفترة من التاريخ الأوروبى ، وهو تطور يمس التعليم أكثر مما يمس النظريات التربوية فى حد ذاتها . اللهم إلا فى الدعوة إلى الحد من سلطان الدراسات الكلاسيكية وما تبع ذلك من محاولة إيجاد مكان فى المنهج للعلوم الطبيعية والتعليمية والدراسات الإنسانية الحديثة ، وقد وجدت هذه الدعوة صداها فى التعليم الثانوى وفى التعليم الجامعى .

* * *

وهذه الفترة من التاريخ الأوروبى (١٨٥٠ — ١٨٨٠) تقابلها فى التاريخ المصرى عهد عباس الأول وسعيد وإسماعيل ، وهو العهد الذى وضع هذا الكتاب لتاريخ التعليم فيه . وقد أشرنا فى صدر هذه الكلمة إلى قوة التراث الذى خلفه محمد على وقدرته على البقاء من بعده — إن لم يكن بكامل جزئياته فبالروح والتقاليد — حتى كرت المبادئ التى عمل عليها خلفاؤه ومنها شكلوا ما وضعوا من نظم أو أنشأوا من منشآت .

ونظهر هذه الحقيقة أقوى ما تكون فى عصر عباس وسعيد : فلا نرى فيه

إلا (نشاطاً) محدوداً فى دائرة محدودة : هى دائرة المدارس القليلة التى ظلت باقية فى ذلك العهد . فمادة العمل هى المدارس التى ظلت باقية من عهد محمد على ، والأمر لا يعدو فتح مدرسة مفروزة أو إغلاق مدرسة للهندسة أو إعادة مدرسة أخرى للهندسة وهكذا . فهو نشاط على ضيق الأفق محدود المعالم ، يلوح فيه مايتميز به ذلك العهد من ضيق الأفق وقلة الإنتاج .

وفى عصر إسماعيل — وفى السنوات الأولى منه خاصة — لا تزال (مادة) العمل موجودة لم تتغير بمجموعها ، ولا يزال النشاط مقصوراً — أو يكاد يكون مقصوراً — على العمل فيها ، وإنما أخذ نطاق العمل يتسع بفضل إغداق الأمير المستنير على معاهد التعليم وما استلزمه تعقد الأداة الحكومية من وفرة الموظفين على اختلاف أعمالهم . فهذا التوسع فى التعليم قد فتح أبواب المدارس لعدد من أبناء الأمة أعظم مما كانت له — قبل إسماعيل — فرصة التعليم ، فكثرت معاهد العلم وتنوعت أنظمته وارتقت مناهج الدراسة وتغيرت أساليب الحياة المدرسية . ولكن هذا كله لم يواجه المشكلة الحقيقية الكبرى الباقية من عصر محمد على .

وقد ظهرت هذه المشكلة من أن التعليم الحديث فى مصر حين بدأ على عهد محمد على اتخذ لنفسه هدفاً محدوداً عاجلا : هو إعداد الفنيين لشتى نواحى النهضة التى ابتغاها محمد على . فكانت المدارس (الخصوصية) أول ما أنشىء من مدارس ، ثم اضطرت حكومة محمد على إلى خلق المدارس الأخرى التى تمد هذه المدارس الخصوصية بالتلاميذ . وهكذا بدأ نظام التعليم يتخذ شكل الهرم المقلوب ، يبدأ بالقمة دون وضع القاعدة . ومثل هذا لا يمكن أن يكون نظاماً قومياً للتعليم . ولكن الحق أن (القاعدة) كانت موجودة بالفعل وإن لم تكن من خلق الباشوات أو الولاة ، وتتمثل فى تلك الكتاتيب المنبثة فى مدن

مصر وقراها ، وتقدم الى صبيتها تعليما أوليا محدوداً يقوم على حفظ القرآن . ولكنها بعيدة عن سلطان الدولة ورقابتها ، أكثرها ضئيل فى الموارد فقير فى المعلمين سقيم الوضع، ووضح أن مواجهة هذه المشكلة التعليمية الكبرى يقتضى إما أن تترك هذه الكتاتيب ويهمل أمرها إهمالا تاما ، ويشرع فى خلق نظام قومى التعليم جديد كل الجدة . وإما أن يوصل ما بين القمة حيث المدارس من الطراز الأوربى والقاعدة حيث المدارس أو الكتاتيب من الطراز العربى أو الاسلامى ، على نحو يحقق تعاون هذين الطرازين فى تعليم الناشئة ، إن لم يحقق اتحادهما ليتكون منهما نظام قومى واحد . وسعى على مبارك لبلوغ هذه الغاية ، ووضع لهذا الغرض لائحته الشهيرة (بلائحة رجب) التى تؤرخ المحاولة الحقيقية الأولى لإيجاد نظام قومى التعليم فى مصر . وانتهى عصر إسماعيل والمشكلة الكبرى باقية لم تحل وشهدت السنوات التالية لحكم إسماعيل (من ١٨٨٠ إلى ١٨٨٥) — فيما شهدت من محاولات الإصلاح وتجارب الحكم — محاولة أخرى لمواجهة هذه المشكلة التعليمية وحلها .

وقد بدأت التجربة الجديدة بتحديد للمشكلة تحديدا يمهد لعلاجها من أساسها : ويتضح هذا التحديد فى تفكير مصطفى رياض ناظر النظار وعلى إبراهيم ناظر المعارف ويدوار دور المفتش العام للتعليم فى ذلك الوقت . أصبح للتعليم العام أغراض واضحة تتجه نحو تمكين الفرد من أن يكون مواطناً نافعاً لنفسه ولوطنه ، أو على حد تعبير على باشا إبراهيم فى تقريره لمجلس النظار : « يقتضى اتساع دائرة المعارف بين جميع أهالى الديار المصرية وسريانها بالتدريج حتى تصل الى أهالى الأرياف ، لكى توجد عند ذرياتهم المستجدة احتياجا الى التعليم وإحساساً بما لهم من الحقوق الوطنية وما عليهم من الواجبات فى حق أنفسهم وحق عائلاتهم وحق الحكومة » . وفى ضوء هذا المبدأ تقدم (القومسيون) الذى شكل فى ذلك الوقت (سنة ١٨٨٠) لحل المشكلة التعليمية

الكبرى، حلا يقوم على تصميم بناء قوى للتعليم يستمد مادته من كلا النظامين الأوربي والعربي . واقتضت مواجهة المشكلة الرئيسية بحث المشكلات الجانبية الأخرى وتدبير حلول لها : ومن ذلك بحث معاهد التعليم القائمة معهدا معهدا وتبين حاجاتها ومعالجة تلك الحاجات . ومن ذلك أيضا معالجة مشكلة المعلم ومحاولة تنسيق الموارد المالية المشتتة التي ينفق منها على التعليم .

وهكذا جاء تقرير قومسيون ۱۸۸۰ فأرسى الأساس لما ينبغي أن تقوم عليه كل المحاولات والتجارب التالية . والحق أن سياسة وزارة المعارف في عهد الإشراف الإنجليزي قد استمدت بعض مقوماتها من هذه التجارب التي أجريت في الفترة القصيرة بين ۱۸۸۰ و ۱۸۸۵ . فقد بذلت الإدارة التعليمية عنايتها لرفع مستوى معاهد الدراسة القائمة بالتفتيش المنظم ووضع الأنظمة الثابتة وجعبة الامتحانات وتخير المشرفين ، كما بذلت عنايتها لرفع مستوى المعلم ، وهو العنصر الأساسي لنجاح أي نظام تعليمي . على أن الإدارة التعليمية في عهد الإشراف الإنجليزي قد شغلتها هذه العناية المتصلة بالحالة القائمة عن مسايرة الحق وإفساح المجال لنشر التعليم

وفيما عدا ذلك ظلت المشكلة التعليمية الكبرى — مشكلة التعليم القومي الشعبي — دون حل ، حتى انتهى المؤلف من كتابه . وغاية ما نرجوه أن يستمر المؤلف في بحثه لتاريخ التعليم في مصر ، إلى أن يصل إلى الوقت الحاضر ، حتى تصبح الصورة أمام القارئ والباحث واضحة والمادة كاملة ووسائل الحكم أهدى سبيلا .

شفيق غربال

تصـــدير

« أنه ... محمد علي حق رب الأسرة في الهيمنة »
« على سياسة التعليم من أجل منفعة الوطن ، ولكنه »
« ترك للأفراد والطوائف أمرا عظيما من الحرية »
« هو أثمن ما خلفه في سياسته التعليمية(١) » .

بهذه العبارة الموجزة وصف أستاذنا شفيق بك غربال سياسة محمد علي في التعليم. أجمل وصف . فهي تقوم على قاعدتين : أولاهما تتمثل في حق الدولة — بل واجبها — في الإشراف على سياسة التعليم لتوجهها إلى ما فيه صالح الدولة ، وتظهر في النظام التعليمي الحديث الذي وضعه محمد علي وأخذه بين يديه وجعل منه أداة لإعداد شباب الأمة لخدمة الدولة . والقاعدة الثانية تتمثل في الحرية التي تركها للمعاهد القديمة . الكتاتيب والأزهر لتتابع سيرها في الطريق الذي سارت فيه منذ قرون والحرية التي منحها للمعاهد الخارجة عن النظام القومي وهي مدارس الإرساليات والجاليات الأجنبية حتى إذا انتهى عصر محمد علي كانت مصر تملك من نظم التعليم ومعاهد العلم — بفضل سماحة محمد علي واتساع أفقه — ما يقدم للباحث في أصول التربية وطرائق التعليم حقلا مليئاً بشتى التجارب والخبرات وللباحث في تاريخ التعليم وسياسته مجالا متسعاً للدرس والبحث والاستقصاء .

---

(١) من تقديم كتابنا « تاريخ التعليم في عصر محمد علي » .

ومن حظ الباحث أن أكثر مادة البحث لم يعف عليها الزمان . وجدنا بعضها مشتتاً في الكتب والتقارير والإحصاءات ، ووجدنا أكثرها في دور المحفوظات بعابدين والقلعة ووزارة المعارف ومتحف التعليم .

وقد قدمت إلى الجامعة منذ تسع سنوات الثمرة الأولى لبحثي في تاريخ التعليم في عصر محمد علي ، ثم نشرته بعد ذلك بعامين . ويسرني أن أقدم اليوم الثمرة الثانية : وهي هذا البحث في تاريخ التعليم من نهاية عصر محمد علي إلى أوائل حكم توفيق (١٨٤٨ – ١٨٨٢) . وقد قدمته إلى الجامعة في صيف سنة ١٩٤١ فأجازته لدرجة الدكتوراه في الآداب مع رتبة الشرف الممتازة .

* * *

وهذا العهد الذي أرّخت التعليم فيه من أكثر عصور التاريخ المصري الحديث حساسية : فقد بدأ بحادث خطير هو اختفاء تلك الشخصية التي حكمت مصر طويلا ، وطبعت بطابعها القوي مختلف مرافق البلاد ووجّهت مصائرها في السياسة والاقتصاد والثقافة والتربية والتعليم وجهة جديدة ، وانتهى هذا العصر بحادث [illegible] – لا يقل خطراً وأثراً في توجيه تاريخ مصر وتشكيل مصائرها : هو احتلال الانجليز مصر في ١٨٨٢ .

فهذا العهد من – ١٨٤٨ إلى ١٨٨٢ – قد ألقي عليه إذن عبء مرهق مزدوج معاً : فقد كان عليه – أو على حاكمي مصر فيه – أن يحتفظوا بالشعلة التي أضاءها محمد علي ليسلموها إلى الحفدة والذراري ، على أن يجنبوها ما قد يعتور ضوءها من خفوت ويستعينوا بها في تعرف الحاجات الناقصة وتفحص أوجه القصور في شتى مرافق البلاد .

ولكن حاكمي مصر في ذلك العصر على محاولتهم الاحتفاظ بهذه الشعلة مضيئة تفاوتوا في مدى الاحتفال بها . حتى إذا تولى إسماعيل نفخ في هذه الشعلة من روحه ، فزاد لهيبها سطوعاً وضوءها تألقاً . ولكن هذا كاد يحجب عوامل التعطيل والتعويق

التي حلت في النهاية فعلا ، مكان الاحتلال في سنة ١٨٨٢ . وهكذا اتهم هذا العهد (من ١٨٤٨ الى ١٨٨٢) بأنه لم يزد الأمانه ولم يحفظ العهد . وتوسيت . أو أنكرت — الجهود الرائعة والخطط الموفقة التي بذلت في نواح كثيرة من النهضة العامة . والحق أن كثيراً من هذه الخطط لو أتيح لها الاستمرار بعد ١٨٨٢ على هدى من التجارب السابقة ، وخاصة ما أجرى منها في الفترة القصيرة (من ١٨٨٠ الى ١٨٨٢) لأنتجت خيراً كثيراً .

واذا كانت العناية بالتعليم تتخذ في كل أمة مقياساً لتقدمها فإن البحث الذي أنشره اليوم يوضح تماما مدى كانت عليه النهضة المصرية عامة في العصر الذي أؤرخ التعليم فيه .

وقد اقتضت دواعي البحث أن أجعله في أجزاء ثلاثة ، ينتظم كلُّ جزء منها مجلد قائم بذاته :

١ — الجزء الأول : عصر عباس وسعيد (١٨٤٨ — ١٨٦٣) .

٢ — « الثاني : عصر إسماعيل والسنوات المتصلة به من حكم توفيق (١٨٦٣ — ١٨٨٢) .

٣ — « الثالث : ملحقات بأهم الوثائق واللوائح التعليمية ومراجع البحث .

وقد كان هدفي طوال البحث درس المسائل الآتية :

١ — نظم التعليم : « الحكومي » و « الأهلي » و « الأجنبي » ، سياسة التعليم في كل منها ، معاهدها ، وعلاقة كل منها بالأخرى .

٢ — المحاولات التي بذلت — في عصر إسماعيل خاصة — لإيجاد نظام قومي للتعليم في مصر .

وقد أدى بي تشعب البحث إلى درس تفصيلات كثيرة لدقائق العمل بمعاهد التعليم رأيت أن لا غنى عنها لتكون الصورة التي جهدت في رسمها للتعليم في هذه الحقبة من تاريخ مصر كاملة ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

وبعد فقد أتيح لهذا البحث أن ينشر فى الوقت الذى يعنى فيه المتحدثون على شئون التعليم برسم سياسة تعليمية جديدة وما يتبعها من أنظمة وخطط جديدة ، فإذا استطاع هذا البحث أن يهدى هؤلاء المتحدثين إلى المحاولات والتجارب السابقة فى كثير من المسائل التى لا تزال تواجهنا حتى الوقت الحاضر ، ويثير فيهم من التفكير ما يعين على استقامة الطريق ووضوح الهدف ، لحقق هذا البحث خيراً كثيراً ذلك لأن دراسة تاريخ التعليم لا تقتصر قيمتها على توضيح ماضى الأمة فى أعزّ ناحية من تاريخها القومى ، وإنما هذه الدراسة خير هاد فى معالجة مسائل التعليم وتدبير أحكامه فى حاضر الأمة ومستقبلها .

* * *

والآن — وقد أتيح لهذا البحث أن ينشر — أشعر بأن على واجبا يجدر بى أن أؤديه ويسرنى أن أتيحت لى الفرصة لأؤديه . هو واجب التوجه بالشكر الخالص إلى حضرة صاحب المعالى الأستاذ الدكتور عبد الرازق أحمد السنهورى بك وزير المعارف العمومية ، فقد تفضل بالاطلاع على هذا البحث مخطوطاً ، وسجل لصاحبه كثيراً من عبارات الإطراء والتقدير ، وأمر بأن يطبع الكتاب على نفقة الوزارة ، فمكن لهذا البحث أن ينشر . فلمعاليه منى خالص الشكر وعرفان الجميل .

أما أستاذى الجليل ، محمد شفيق غربال بك ، فأعتقد أن نشر الكتاب فى الوقت الحاضر — وقد كانت له فى التوصية به اليد الطولى — خير مثوبة لما بذل من جهد فى الإشراف على البحث وتتبع مراحله حتى انتهى إلى المطبعة ويضاعف شكرى له ما أسبغه على الكتاب وصاحبه من شرف التقديم إلى جمهور القارئين ، فأضاف بهذا فضلا إلى مأثور أفضاله .

ويسرني أن أقدم خالص شكري للقائمين على دور المحفوظات بعابدين والقلعة ووزارة المعارف ومتحف التعليم ، فقد كان لمعونتهم الثمينة أثرها في استجلاء كثير من النتائج الهامة التي وصلت إليها في البحث . وأخص بالشكر حضرة صاحب السعادة يوسف جلاد باشا مدير الإدارة الأوروبية بديوان جلالة الملك المعظم وصاحب العزة جورج حندى بك رئيس قسم المحفوظات التاريخية بالديوان وحضرات الأساتذة المترجمين والموظفين بهذا القسم ؟

منشية البكرى — نوفمبر ١٩٤٥

احمد عزت عبد الكريم

الكتاب الأول

التعليم في عصر عباس

١٨٤٨ — ١٨٥٤

الفصل الأول

عبـــاس والتعــــليم

تولى عباس باشـــا الحكم فى مصر فى الأيام الأخيرة من شهر نوفمبر ١٨٤٨ (ذى الحجة ١٢٦٤) ، على أثر وفاة عمه إبراهيم باشا بعد حكم قصير ، وكان جده الكبير محمد على مازال أسير المرض .

وبوفاة إبراهيم وتولى عباس ينتهى عصر محمد على بعد أن طبع حياة مصر وتاريخها بطابع لايمحى . فقد ارتبطت حياة محمد على بحياة مصر القومية بأوثق رباط ، وفد محمد على إليها شابا مغمورا وعاش بها خير سنى حياته وأطول شطر من عمره ، وقضى بها حاكما ، ودفن بثراها بعد أن ملأ اسمه الأسماع وطار ذكره فى الشرق والغرب ، وخلف أبناء وحفدة يحكمون مصر من بعده .

قضى محمد على فى حكم مصر ثلاثة وأربعين عاما ، أدخل فى حياتها القومية من التغيير ما خلقها خلقا جديداً ووجه تاريخها وجهة جديدة ، ارتبط كل شىء فيها باسمه : خلق الرجال ووضع النظم ، ومس مختلف المرافق الحيوية ، واتصل بالزارع والتاجر والصانع وأنشأ المصانع وجيش الجيوش وبنى السفن . واستعان لبلوغ هذا كله بإنشاء المدارس يجمع لها أبناء الأهالى ليكون منهم أعوانه ورجاله . وحنا عليهم محمد على كما يحنو على أبنائه وعلق على هذا النبت الناشىء أعذب الآمال ، فما كان هذا النبت الناشىء غذاء مصر فى

عهده ، وإنما كان غداء الأجيال القادمة وعدة المستقبل [١] .

ولكن مدارس محمد علي وإن مست الحياة القومية المصرية — أن كان قوامها أبناء البلاد — إلا أنها مستها في رفق ولين ، وحسبك أن أكثرها كان يقوم في حاضرة البلاد ، فلم يقدر لها أن تتصل في صميم الريف حيث يعيش فلاح مصر جاداً مقبلا على عمله لا يلفته عنه سوى ما يصيبه من حين لآخر من اضطراب الحكم وعبث الحاكمين .

عاشت مدارس محمد علي حياتها كما تعيش المؤسسات الحكومية الصرفة ، مترفعة عن أن تمد يدها لنظام التعليم الشعبي الذي قام في مصر منذ أجيال ، منذ بدأت مصر تتصل — عقب الفتح الاسلامي — بلغة القرآن ودينه . ولم يكن هذا التعليم الشعبي — ويتمثل في تلك الكتاتيب المبثوثة في مدن مصر وقراها — من عمل الحكومات أو إنشاء الحاكمين ، ولكنه كان عملا قومياً خالصاً ظل بعيداً عن تدخل السلطان إلا فيما قد يمس الآداب العامة ، كما أنه ظل عملا خيرياً يقف عليه الأغنياء من مالهم ما يقوم بأوده ويمسك على القائمين عليه رزقهم .

وكانت هذه (الكتاتيب) من البساطة في كل شيء : في مؤدبيها وأطفالها وأمكنتها وتعليمها .. الخ بحيث استطاعت أن تنتشر في يسر وسهولة وأن تنال ثقة الشعب في الريف والمدن .

وظل السلطان — في حكم محمد علي — على أن هذا الضرب من التعليم أمر خيري يجمل بالسلطان أن يتركه لأصحابه ، وإذا أراد هو أن يعلم رهطاً من أبناء البلاد بعض

---

(١) انظر في سياسة محمد علي التعليمية كتابنا : تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ٢٧ — ٥٠

مايعين على إعدادهم لما يرد من خدمة البلاد فليكن ذلك فى (مدارس) خاصة يقوم على إنشائها والدعوة إليها والنفقة عليها والقيام دونها يصد عنها عوادى الجهل والحرمان.

وعلى هذا النحو كان النظام التعليمى الذى أنشأه محمد على : عاش قلقاً ، معلقاً فى الهواء ، لم تمتد جذوره إلى باطن التربة المصرية . فكان من ذلك ماتعرض له مما أصابه من الاستقرار حيناً والترنح حيناً آخر . ومن التوسع حيناً والانكماش حيناً آخر .

وفى حكم إبراهيم القصير تنبه القائمون على شئون التعليم إلى فكرة التعليم الشعبى الذى تكفله الدولة بمدارسها وتنفق عليه من الأموال العامة . ونهض للعمل فى سبيل هذه الفكرة والدعوة إليها أدهم باشا مدير ديوان المدارس ولامبير بك ناظر المهندسخانة فى ذلك الوقت [1] . ولكن الفكرة جاءت متأخرة ، ولم تمتد الحياة بإبراهيم حتى ينهض لتحقيقها .

وعلى يد عباس قبرت فكرة التعليم الشعبي وانهار النظام التعليمى الحكومى نفسه

* * *

وليس من شك فى أن مصر أحست بفقد محمد على وإبراهيم أكبر الفراغ ، ووضح أن الميدان قد خلا من أبطاله ، وأن الحاجة ماسة إلى الرجل الذى يستطيع أن يملأ الفراغ الذى خلفاه .

ولو أن النظم التى وضعها محمد على والمؤسسات التى قام على إنشائها كان لها من قوة الرسوخ والتغلغل فى حياة مصر القومية ما يمكنها من الحياة ، لكان الأمل قوياً فى استمرارها . ولكن كل شىء كان مرجعه إرادة الحاكم وكان الزمن يتعجله . كان

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٧ — ١٤٤ .

محمد على يخشى أن تنتهى حياته قبل أن يتم رسالته ، ومن هنا طبعت نظمه ومؤسساته بطابع العجلة ، واشتد الشعور بالحاجة إلى الرجل الذى يتلقى تراث محمد على ويتابع سياسته ويحنو على المؤسسات التى أنشأ والنظم التى وضع .

ولكن عباسا أظهر منذ تولى الحكم فى مصر أنه لن يكون الحاكم الذى يتابع سياسة جده ويحنو على مؤسساته ويؤيد نظمه . فقد فهم عباس الموقف فى مصر على أثر توليه فهماً جديدا .

ماذا كانت تحتاج اليه مصر بعد حكم محمد على العاصف وما اكتنفه من تغيرات عنيفة واصطدام بالدولة العثمانية صاحبة السيادة على مصر وبالدول الأوروبية ؟

لاشك فى أن البلاد كانت فى مسيس الحاجة إلى فترة طويلة من الهدوء والاستقرار تمحو فيها ما أثارته هذه الحروب من اضطراب فى حياة البلاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وتطرد فيها حركة الاصلاح الداخلى على أن يقوم هذا الاصلاح على قاعدتين :

الأولى — تقدير حاجات البلاد تقديراً صحيحاً يقوم على سياسة قومية تتجه إلى صالح المحكومين ولا تعتمد على أهواء الحاكمين .

الثانية — تقدير الحضارة الغربية تقديرا قوامه العمل على الاقتباس منها بالقدر الذى يعين على كمال الاصلاح الداخلى بعد صقله وتهذيبه والاستعانة بخبرات غيرنا فى مشكلات الحياة . ولا غرو فقد أثبتت حوادث النصف الأول من القرن التاسع عشر أن مصر لم تعد تستطيع أن تقف بمعزل عن تيارات الحضارة والسياسة الأوروبية . وكان يشارك مصر فى ذلك كثير من بلاد الشرق الأخرى . وخير من الوقوف فى طريق هـذه التيارات — بغية اعتراضها

أو اعتزالها وحرمان البلاد آثارها ، مسايرتها والأخذ منها مع السعي إلى تهذيبها وتجنيب البلاد ما قد يلابسها من أطماع وشرور

والحق أن محمد علي — ومن بعده إبراهيم — قدفهما الموقف بعد سنة ١٨٤٠ هذا الفهم وسيرتهما في الاصلاح الداخلي دليل على ذلك .

أما عباس فقد اضطرب بين هذه الآراء ، وكانت سياسته الخارجية والداخلية مظهراً لهذا الاضطراب .

وإذا كنا قد نحمد لعباس — في سياسته الخارجية — خطته في دفع عدوان الدولة العثمانية في الأزمة التي يسمونها أزمة والتنظيمات ، ، إلا أن سيرته في الاصلاح الداخلي كانت فشلا متصلا ، ولا يشفع له في ذلك أن حكمه كان قصيراً . وفي رأينا أن الباعث الأساسي لهذا أن خطة عباس قامت على تسفيه الجهود التي بذلها محمد علي وإبراهيم في ميدان الاصلاح الداخلي والسياسة التي اعتقد أنهما كانا يتمسكان بها ويدعوان إليها في تقرير علاقات مصر بالدولة العثمانية والدول الأوروبية .

اعتقد عباس أن خطة محمد علي وإبراهيم الخارجية كانت الاعتماد على فرنسا ، فابتعد عباس عن فرنسا وتقرب إلى انجلترا واعتمد عليها في تحقيق مشروعاته السياسية

واعتقد عباس أن جهود محمد علي وإبراهيم في الاصلاح الداخلي لم تثمر غير الفشل ، فأعرض عنها ، ولكنه لم يأت بما يحل محلها . فهم عباس إذن حاجة مصر إلى الهدوء والاستقرار بعد حكم محمد علي العاصف على أنها نكوص عن سياسة محمد علي وخططه في الاصلاح الداخلي . وبالغ عباس في ذلك حتى لنعد حكمه القصير (انتكاسا) وإذا كانت خطط محمد علي قد صحبها الشطط أحياناً وقلة التقدير للحاجات الشعبية أحياناً أخرى فقد كان الزمن كفيلا بأن يهذب هذا كله ، على أن تقوم عليها يد صناع يتوافر

لها حسن القصد وكمال التجربة . ولكن عباسا بالغ فى النظرة إلى أوجه القصور والنقص فى أعمال محمد على ، وبدلا من أن ينهض لإصلاحها أو إكمالها استقر رأيه على إلغائها .

ولسنا نود — وليس هذا مجالا — أن نتتبع خطى عباس فى شتى مناحى العمل ، ولكنا نقتصر على بيان خطته فى مسائل التعليم

وجاءت صفحة عباس لدى أكثر الكتاب والمؤرخين صفحة سوداء : فمنهم من يعتبر عهده « عهد رجعية ففيه وقفت حركة التقدم والنهضة التى ظهرت فى حكم محمد على ، وأنه كان ، قبل ولايته الحكم وبعد أن تولاه خلوا من المزايا والصفات التى تجعل منه ملكا عظيما يضطلع بأعباء الحكم ويسلك بالبلاد سبيل التقدم والنهضة . . . وبالجملة فلم تكن له ميزة تلفت النظر سوى أنه حفيد رجل عظيم أسس ملكا كبيرا ، فصار اليه هذا الملك دون أن تؤول اليه مواهب مؤسسه ، فكان شأنه شأن الوارث لتركة ضخمة جمعها مورثه بكفاءته وحسن تدبيره وتركها لمن هو خلو من المواهب والمزايا »[1] .

« أما المدارس فقد ساءت حالتها فى عهده فألغى معظمها (بعد الذى عطل منها فى أواخر عهد محمد على) وأقفلت أبوابها من عالية وثانوية وابتدائية ولم يبق منها إلا النزر اليسير ، وكأنما كان عباس يكره العلم والتعليم فإنه لم يكتف بإغلاق معظم المدارس بل أبعد إلى السودان طائفة من كبار علماء مصر فى ذلك العهد »[2] .

ومن المؤرخين من يرى أن « أبرز صفات حكومته ، عداؤه الوحشى للحضارة

(١) عبد الرحمن بك الرافعى : عصر اسماعيل ج ١ ص ٩ — ١٠
(٢) المصدر السابق ص ١٥

الأوروبية ونفوره الشديد من جميع الأعمال التي تألف منها مجد جده والتي جهد في تحطيمها شيئاً فشيئاً »[1] . « وما كاد يتولى مقاليد الحكم ـ وكان الشيخ العظيم ما زال حيا ـ حتى كان أول أعماله إلغاء أكثر المدارس التي أسسها محمد على وطرد الموظفين الأوروبيين ، وفى مقدمتهم كلوت بك الذي طالما عمل لتقدم الصحة في مصر ...... »[2] .

وكان عباس « مغرما بالاقامة فى الجهات البعيدة الموحشة وكان يتجنب جهد طاقته أن يتصل بالناس ، حتى يتسنى له أن يعيش بصحبة حيواناته وعلى الأخص كلابه وخيوله التي كان يربي منها العدد الكبير »[3] .

ويرى مؤرخ للتعليم فى مصر أن عباسا كان يدرك الحاجة إلى إصلاح أساسى ، فبدأ بأن أصدر الأمر بقفل المدارس حالا ، ولقد كان عنده الرغبة فى أن يعيدها إلى الحياة ، ولكن مشاغل أخرى شغلته عما كان ينتويه فأهمل التعليم ، والمدارس التي ظلت باقية إنما تدين ببقائها إلى ما كان يحوطها من إهمال[4] .

وظل الأمر على هذه الصورة حتى نهض للدفاع عن عباس أحد الكتاب المحدثين : يرى مستر « دن » (Dunne) أن عباسا كان أكثر إدراكا لحاجات بلاده من الرجال المحيطين به ، وأنه إذا كان قد أخرج من حسابه الثقافة الأوروبية فانه لم يهمل الثقافة الاسلامية . وقد حكم مصر ست سنوات منحت البلاد من السلام والهدوء ما كانت بحاجة اليه بعد حكم محمد على وإبراهيم الذي أرهق البلاد ، وإذا كان عباس قد كره الأوروبيين واعتزل

---

(1) Sammarco Précis de l' Histoire d' Egypte T. IV p. 4.

(2) Ibid. p. 5.

(3) Ibid p. 9.

(4) Dor, L' Instruction publique en Egypte, p. 214.

المجتمع فقد فشل ذلك ليحول دون توغل النفوذ الأوروبي [1] .

أما عن إلغاء عباس المدارس فيذهب الأستاذ دن ، إلى أن الكتاب المصريين يقيسون المستوى العقلي والتقدم بمجرد عدد المدارس وطلابها ومقدار المال الذي يصرف عليها . أما النوع والكفاية فيهملونهما أو ربما لا يفهمونهما ، وإذا كان النظام التعليمي قد فشل في حكم محمد علي — وهو قد فشل بالتأكيد — فلماذا إذن يراد من عباس أن يكون كبش الفداء [2] .

فأقوال الأستاذ دن كما ترى أقرب إلى الاعتذار منها إلى الدفاع .

أما عن فشل النظام التعليمي الذي وضعه محمد علي في حكم واضعه نفسه فأمر ينفرد في تقريره مستر دن ، ولم نجد مصدرا آخر يذهب في هذا الأمر مذهبه ، وليس في الوثائق ما يؤيده . وإذا كانت حكومة محمد علي قد رأت في سنة ١٨٤٠ أن تتجه بالتعليم والمدارس وجهة جديدة فأنقصت عدد تلامذتها وفصلت بعض معلميها ، فلم يكن في ذلك فشل النظام التعليمي ، وإنما هو أمر دعا إليه مجرد الاقتصاد . وقد درسنا بالتفصيل في كتابنا « تاريخ التعليم في عصر محمد علي » [3] مقومات هذه الحركة ، حركة تنظيم التعليم في سنة ١٨٤٠ ، وقد قصدنا — توكيدا لصفتها وأثرها في التعليم — أن ندعوها حركة (التنظيم الثاني) على اعتبار أنها (نظمت) التعليم المرة الثانية بعد تنظيمه أول مرة في سنة ١٨٣٦ ، فقد احتفظ محمد علي بأكثر المدارس التجهيزية والخصوصية ، مع تحديد عدد تلامذتها ،

---

(١) Dunne, An Introducton to the History of Education in Egypt, p. 290.

(٢) Ibid. p. 291.

(٣) ص ص ١٢٣ — ١٣٦

واذا كانت مكاتب المبتديان بالأقاليم قد اقتصر منها على أربعة مكاتب — عدا مدرسة المبتديان بالقاهرة — فالنظام التعليمى ظل مع هذا سليما .

ليس معنى هذا أن هذا النظام التعليمى كان محكما ، وأنه كان خاليا من وجوه النقص ، لم نقل هذا ولم يقله أحد . ولكن وجود هذا النقص لايبرر ما أقدم عليه عباس — وسعيد من بعده — من تقويض النظام التعليمى وهدم المدارس ووقف الحركة التعليمية . والنعوس القوية المستنيرة تقدم على الاصلاح وتراه خيرا من الهدم على أى حال . وهنا نكرر ما ذكرناه من أن عباسا كان يرى أسوأ الرأى فى منشئات محمد على . ويزيد عباس تمسكا بهذا الرأى بعض ما حدث فى أوائل حكمه حينما جمع المهندسين والأطباء البيطريين ودعا إلى امتحانهم ، وما لبث أن اتخــذ من نتيجة هذا الامتحان ذريعة بتسفيههم وتسفيه النظام التعليمى كله .

كان عباس يضيق بالاصلاح ويرى فى الهدم أقرب الوسائل وأيسرها إيثارا (للعافية) وليس تعيينا ماقيل من أنه كان ينتوى إعادتها إلى الحياة لو مد الله فى حكمه ، فليس فى سيرته ما يشير إلى شىء من ذلك .

ثم هناك حركة أخرى أغفلها سائر المؤرخين الذين كتبوا عن محمد على عامة والتعليم فى عهده خاصة ، وهى الحركة التى كانت ترمى إلى تجديد أساليب التعليم فى المكاتب الابتدائية وإنشاء المكاتب الأهلية أو مكاتب « الملة » كوسيلة لنشر التعليم الأولى « الحكومى » واختصر إبراهيم فى حكمه القصير هذه الحركة المباركة . وعمل لنجاحها أدهم باشا مدير ديوان المدارس فى ذلك الوقت وأنفذ لامبر بك ناظر المهندسخانة إلى انجلترا لدراسة الموضوع والاستنارة بنتائج دراســته عند تنفيذ المشروع فى

مصر (١) . وبتولى عباس قضى على هذه الحركة الناشئة .

* * *

كان عباس يمثل (النعرة) التركية فى حكم البلاد أتم تمثيل . حقا إن وظائف الدولة الكبرى كانت فى عصر محمد على احتكارا للطبقة الأرستقراطية التركية . ولكن محمد على كان يحرص دائما على أن يطامن من عنف هذه الطبقة واعتزازها بأصولها ، وأنف محمد على أن يكون (الحسب) وحده مقياسا للحظوة وعلو الشأن . ولم يشأ أن تكون هذه الطبقة قاصرة على الترك وحدهم ، فلم تكن هذه الطبقة كلها تركية الجنس ، بل لقد كانت أرستقراطية (لغوية) قبل أن تكون (جنسية) ، فإن فيها أخلاطا من أمم الشرق الأدنى كالسوريين والأرمن وغيرهم . وكانت هذه الطبقة تتسع كذلك للمصريين الذين يؤهلهم تعليمهم ووظائفهم لحذق اللغة التركية والاندماج فى أفراد هذه الطبقة . ذلك أن محمد على كان يرى « فى أولاد مصر نجابة وقابلية للمعارف » (٢) وأنه عز عليه أن يرى العقول المصرية تضيع هباء ، فعول على أن ينقذ لمصر تلك الثروة العقلية التى لا تعدلها ثروة » (٣) . واستطاع محمد على أن ينقذ قدرا ليس بالقليل من هذه العقلية ، وبدأ أبناء البلاد يلون مناصب كثير منها رئيسى ، وأصبح لهم بالتدريج فى إدارة البلاد ومعاهد التعليم فيها شأن . وهكذا دفع التعليم فى مصر رهطا من أبناء البلاد إلى مصاف الحاكمين وكان يرجى تقدم كبير فى هذه الناحية لو عاش إبراهيم طويلا . فقد كان أكثر

---

(١) انظر فى هذا الموضوع كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ١٣٧ — ١٤٤ و ٢٠٠ — ٢١٠ .

(٢) الجبرتى : عجائب الآثار ، المجلد الرابع ص ٢٧٢

(٣) من مقدمة الأستاذ شفيق بك غربال لكتابنا تاريخ التعليم فى عصر محمد على . صفحة ب

من أبيه اتصالا بالمصريين واهتماما بتكوين الدولة المصرية المستقلة دون كبير اهتمام بروابط التبعية العثمانية أو قيود السيادة الدولية ، وعرف عنه تقديره للعقلية المصرية واحتفاله لتقدمها والسعى لشق السبيل أمامها . ولكن عباسا كان يمثل الارستقراطية التركية فى أضيق حدودها وأشكالها : فطرابيش مستخدمى الحكومة وأرياؤهم يجب أن تكون على مثال ما يلبسه الموظفون فى (دار السعادة) [١] وعليهم أن يرسلوا لحاهم كما يعمل الموظفون فى دار السعادة أيضا [٢] ولم يكتف عباس بالمظاهر الخارجية وحدها ، بل نراه يكاد يقصر اهتمامه على تعليم أبناء الترك دون المصريين : عز عليه أن يرى بعض أولاد الترك يتشردون فى شوارع الاسكندرية فأمر بجمعهم وإلحاقهم بالمدرسة التى أنشأها لتعليم ابنه (إلهامى باشا) « وبهذه الوسيلة يكسب الوطن عنصرا صالحا » [٣] ولم نسمع شيئا يظهر اهتمامه بآلاف (المشردين) من أبناء البلاد !

وفى مدرسته الحبيبة اليه — مدرسة المفروزة — جمع عباس صفوة أبناء الترك فى كمال الجسم وتناسق الخلق ، حتى إذا ذهب يتفقدهم واحدا واحدا رأى فيهم من لا يرتاح إلى خلقه ، حكم بأنه من أبناء الفلاحين وأمر بإخراجه من صفوف الطلبة [٤]

وأبقى عباس من المدارس وجمع لها من التلاميذ ما يكفى فقط لتخريج العدد

---

(١) أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٢٤ ودفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢١٤٢ رقم ٢ ٣ الى مدرسة المبتديان فى ١٢ رمضان ١٢٦٥ ودفتر ٤٧١ (معية تركى) رقم ٥ ص مدير التشريفات إلى مدير الجهادية فى ٢١ رمضان ١٢٦٦

(٢) أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٢١

(٣) المصدر السابق ص ٣٠

(٤) محفظة ٣ (مدارس) رقم ٢٥٨ ودفتر ٤٩٧ (معية تركى) ص ٢٢ رقم ١١٨ أمر الى ديوان المدارس فى ٢٥ جمادى الثانية ١٢٦٥ .

الكافى لادارة المرافق المحدودة التى أبقاها : فهو محتاج إلى مهندسين لأبنيته وقصوره فليبق المهندسخانة لتخرج له المهندسين ، وليكل إليها هى نفسها إعداد تلامذتها الجدد . وجيشه ومستشفياته محتاجة إلى أطباء فيبق مدرسة الطب ، أما تلامذتها فلتأخذهم من أى مصدر شاءت : فآنا من الأزهر وكتاتيب البلاد وآنا من المهندسخانة . أما المدارس الحربية فلجمعها فى مؤسسة واحدة و (ليفرد) لها صفوة التلامذة من غلمان الترك .

ولاشك فى أن عباسا كان يود لو ملأ جميع المدارس بغلمان الترك ، ولكنهم لايكفون فليأخذ من أبناء البلاد ، وليعمل على فصلهم عن آبائهم وعائلاتهم ، حتى ليختار لهم أسماء تركية ويحرم عليهم وعلى أساتذتهم أن ينادوهم بأسمائهم الحقيقية ، ومن يفعل ذلك من التلاميذ جوزى بخمسة وعشرين سوطا ، فان كان من المدرسين فجزاؤه أن يحبس تسعة أيام [1] .

وعاش بوب طلبة الحقة المصريين - أو الفلاحين — فأنهم مازالوا متخلقين « بطباع الخرفة التى هى طبعهم الأصلية » ، ويتهددهم باعادتهم إلى القرية وتلبيسهم ملابس الفلاحين وسلكهم فى فلاحة الأراضى [2] .

ويعز على عباس أن ترتب الوقائع لعدد كبير من الموظفين والعلماء والتلاميذ وأعيان المصريين ، فقرر قصرها على أصحاب رتبة الأميرالاى وما فوقها . ذلك لأنه استشاط غضباً حين علم أنه ترسل « لجماعة أمية وسفلة مثل حسن آغا وكيل الخرج

---

(١) دفتر ٢١٣٥ (مدارس تركى) ص ٤٦ رقم ١٣ إلى المنتدبين والمهندسخانة فى ٣ المحرم ١٢٦٧ .

(٢) دفتر ٢٣٨ (مدارس عربى) ص ٣٦١ رقم ٧٢ الى التلامذة المصريين بمدينة ميونيخ فى ٥ ذى الحجة ١٢٦٨

ونيص الله أغا الطاهى وموسى اليهودى الآلاتى . . . فلما رأيت ذلك خجلت من نفسى ورأيت أن ارسال الجريدة إلى أمثال فيض الله أغا وحسن أغا من الأمية والجهلة الذين لا يعرفون معنى الجريدة لا سيما موسى اليهودى الآلاتى فقد عددت إرسال الجريدة لهم ذلا زائداً »[١] .

ويعرض حسابات لعباس فيشتد ألمه ، ولا يرى له عزاء إلا في الحقد يصبه على مدرسة الطب البيطرى بأساتذتها وتلامذتها ، فيشردهم إلى (اسطبل) منوف ثم يعصف بالمدرسة ويأمر بإلغائها[٢] .

ونظن أن ما قدمنا بين يديك يكفى الدلالة على أن عباسا كان قليل الاحتفال بالعقلية المصرية قليل الثقة بها راغبا عن بذل المال فى سبيلها .

وهنا نصل إلى الفكرة التى طافت بذهن عباس — بل تملكته — طوال حكمه ، وهى فكرة الاقتصاد الشديد فى الصرف على معاهد التعليم . والاقتصاد فى حد ذاته ليس عيبا ، بل لقد كان وقتئذ واجباً يأخذ به حاكمو مصر أنفسهم ، فقد كانت البلاد وشيكة الخروج من حروب أنهكت قواها فى المال والرجال . ولقد كان من قواعد سياسة محمد على نفسه بعد سنة ١٨٤٠ الاقتصاد فى الصرف على مختلف مرافق البلاد ، على أن لا يعطل ذلك اصطراد الاصلاح . وقد رأينا[٣] المجهود الذى بذله أعضاء لجنة تنظيم التعليم فى سنة ١٨٤١ للتوفيق بين الاقتصاد وحاجات البلاد التعليمية .

ولكن الاقتصاد عند عباس لم يكن سياسة مرسومة يمليها عليه الشعور بضرورة

---

(١) دفتر ٤٨٤ (معية تركى) رقم ٦٠ إلى مجلس الأحكام فى غرة ذى الحجة ١٢٦٨

(٢) دفتر ٤٤٩ (معية تركى) رقم ٣٧ إلى الكتخدا فى ٢٥ ربيع الآخر ١٢٦٥

(٣) تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ١٣٥

التنسيق بين مختلف حاجات البلاد فى حدود طاقتها المالية ، إذ بينا نراه يضن بالمال على معاهد العلم فيأمر بوضع (ترتيب) على أثر (ترتيب) لزيادة الاقتصاد فى مصروفاتها ، إذ بنا نراه ينفق المال الجم فى بناء قصوره بالعباسية وبنها والطور والدار البيضاء وغيرها .

وقد بلغ من أمر هذا (الاقتصاد) الشديد أن كان يعيش ديوان المدارس شهراً بل أشهراً لا يجد من المال فى خزانته ما يؤدى منه ما حق عليه أداؤه للمقاولين والعمال والموظفين بل ولا للطلاب والطالبات [1] . وأكثر من ذلك أن ديوان المالية نفسه — وهو المصدر الذى تستمد منه سائر الدواوين حاجتها من المال — كانت خزانته تبقى وقتاً طويلا قبل أن تزود بالمال [2] .

* * *

والآن فلنتتبع الخطوات التى نفذ بها عباس آراءه تلك وسياسته فى التعليم : على أثر تولى عباس الحكم فى مصر بدأ ديوان المدارس يضع لوائح جديدة يحقق بها رغبة عباس فى الاقتصاد ، ولهذا الغرض أوقف نقل التلامذة وترقية الموظفين وتعيين الخدم .. الخ ، وكان على رأس ديوان المدارس فى ذلك الوقت إبراهيم أدهم باشا . وقد أبقاه عباس مديراً للديوان ، لما كان بين الرجلين من سابق الود .

ولا شك فى أن أدهم قد استشعر الألم لوقف المشروع الذى بدأ فى حكم إبراهيم : مشروع مكاتب « الملة » . ولكنه مع هذا أقبل على عمله يسعى لانقاذ معاهد العلم القائمة ،

(١) دفتر ١٦٠ (مدارس عربى) ص ٤٠٣ رقم ٢٤٧ من المالية فى ٢٩ المحرم ١٢٦٦ ودفتر ٣٠٧ (مدارس عربى) ص ٣١٣٩ رقم ١١٦٨ إلى المالية فى ١٥ شعبان ١٢٧٠

(٢) دفتر ١٢٨ (مدارس عربى) ص ١٦٢٨ رقم ١١٩ إلى قنصل دولة فرنسا فى ١٨ ربيع الأول ١٢٦٥ .

بصنوه الأمل فى الباشا الجديد وحظوته لديه .

ولكن سياسة عباس بدأت تنكشف شيئاً شيئاً ، ووضح لأدهم أن الأمر أخطر من مجرد اقتصاد لبعض المال ، وأن الوالى الجديد لا يكن لمعاهد العلم القائمة صادق الرغبة . وآية ذلك أن عباسا لم ينتظر حتى تصدر اللوائح التى كان أدهم جادا فى وضعها بل أصدر أوامره بما يلى :

(١) نقل مدرسة الطب البيطرى إلى منوف فى نوفمبر ١٨٤٨ [١] ثم إلغاؤها بعد ذلك بشهرين وبضعة أيام [٢] .

(٢) فصل المدارس الحربية — المشاة والفرسان والمدفعية — عن ديوان المدارس وإلحاقها بديوان الجهادية فى فبراير ١٨٤٩ [٣] ، ثم إلغاؤها جميعا [٤] وعلى أنقاضها أنشئت المدرسة المفروزة .

(٣) إلغاء المدرسة البحرية فى فبراير ١٨٤٩ [٥] .

---

(١) دفتر ١٢٧ (مدارس عربى) ص ١٢٥٣ رقم ٥١٩ إلى مدرسة الطب البيطرى فى ٥ صفر ١٢٦٥ .

(٢) دفتر ٤١٩ (معية تركى) ص ٢٧٢ رقم ٣٧ أمر إلى الكتخدا فى ٢٥ ربيع الثانى ١٢٦٥ .

(٣) دفتر ١٢٨ (مدارس عربى) ص ١٧١١ (عرض) إلى مدرسة السوارى فى ٢٠ ربيع الثانى ١٢٦٥

(٤) دفتر ٢١٣٣ (مدارس تركى) ص ٥٢ فى ٢٤ المحرم ١٢٦٦ .

(٥) دفتر ٢١٣١ (مدارس تركى) ص ١٤ رقم ١٠ من ديوان البحرية فى ٤ ربيع الثانى ١٢٦٥ .

(٤) الغاء مكاتب المبتديان جميعاً بالأقاليم فى مارس ١٨٤٩ [١] .

(٥) إحالة كلوت بك إلى المعاش فى ابريل ١٨٤٩ [٢] .

(٦) تحويل المكتب العالى إلى (أورطة) خاصة تمهيداً لتكوين المدرسة المفروزة [٣] .

أدرك إبراهيم أدهم باشا من سلسلة الأوامر هذه أن عهداً جديداً قد بدأ للتعليم فى مصر ، وأنه لن يستطيع أن يعمل فى ظل هذا العهد الجديد ، فخرج من ديوان المدارس فى مارس ١٨٤٩

وفى غيبته عن ديوان المدارس صدرت اللوائح التى نظمت التعليم لأول مرة فى حكم عباس باشا فى ١٣ شعبان ١٢٦٥ (يونية ١٨٤٩) [٤] .

وبناء على هذا (الترتيب) هبطت ميزانية التعليم من : — [٥]

---

(١) دفتر ٢١٢٦ (مدارس تركى) ص ٨٦ رقم ١٥٢ إلى مديرية الغربيـــة فى ٤ جمادى الأولى ١٢٦٥ .

(٢) Documents concernant le Dr Clot Bey. p. 8.

(٣) دفتر ١٣٩ (مدارس عربى) ص ٥٢ - ٢ رقم ١٨ إلى المكتب العالى فى شعبان ١٢٦٥

(٤) دفتر ٤٦٧ (معية تركى) ص ٢٥٥ رقم ١٢٠٨ أمر إلى ديوان المدارس فى ١٣ شعبان ١٢٦٥ — وقد صدر أمر عباس باشا بترجمة هذه اللوائح من اللغة التركية الى اللغة الفرنسية تمهيداً لطبعها ونشرها ، ولكنا لم نعثر لأسانا على نشر لها .

(٥) دفتر ٤٦٧ (معية تركى) ص ١٣٩ رقم ٤٥ أمر الى ديوان المدارس فى ١٣ شعبان ١٢٦٥ .

جنيه	قرشا	
٣٥	١٧٢٫٢٨٢	فى الشهر إلى :
—	١٤٩٫٣٦٠	« « فيكون الوفر :
٣٥	٢٢٫٩٢٢	« « أو ٢٠ (بلده) ٧٤ (قرشا) ٢٧٥٠ (جنيها) فى السنة .

وكتب ديوان المدارس إلى المدارس القائمة : المبتديان والتجهيزية والمهندسخانة والطب والألسن يدعوها إلى أن (ترتب) شأنها طبقاً لما جرت به اللوائح الجديدة : ففصلت كل منها بعض تلامذتها ومعلميها وخدمها وربطت فرقها ودروسها بما يلائم النظام الجديد [1] .

واستعاض ديوان المدارس عن هذا الانكماش بتوسع فى ناحية أخرى غير ناحية تعليم، إذ أحيل ديوان عموم الأبنية على ديوان المدارس فى أواخر شعبان ١٢٦٥ [2] .

ويبدو أن عباس باشا قد أقنع أدهم بالعودة إلى ديوان المدارس ، فعاد إليه فى أكتوبر ١٨٤٩ (ذى الحجة ١٢٦٥) بعد غيبة نحو سبعة أشهر . وأراد عباس أن يظهر عطفه على مدير ديوان المدارس فمنحه رتبة المير ميران ومرتبها .

ولكن لا لوائح شعبان ١٢٦٥ ولا عودة أدهم باشا إلى ديوان المدارس استطاع أن ينقذ المدارس من المصير الذى أعده لها عباس .

بدأ عباس (عهده) مع ديوان المدارس بالوعيد والتهديد : كتب إلى مديره فى أوائل

---

(١) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢١٤٠ رقم ٧٠٣ إلى مدرسة الألسن فى ١٧ شعبان ١٢٦٥

(٢) دفتر ١٨٣ (مدارس عربى) ص ٢٩٦٨ رقم ١٣٦٣ إلى المالية فى ٧ رمضان ١٢٦٧

سنة ١٢٦٦ ، لما وصلت إلى المسامعنا المرة دعوت المهندسين المتخرجين في ديوان المدارس الذي هو مؤسس لتثقيف الشعب وتنشئة رجال نافعين للوطن وعقد أختبرى إياهم وجدتهم مجردين بالكلية من العلم والعمل . . . وفضلا عن هذا وجدنا بعضهم غير ملمين بعملية ضرب الأرقام ، فجمعنا من ذلك وسألناهم : كيف يؤدون عمليه الحساب مع كونهم مهندسين، فأجابوا بأنهم يؤدونه بمساعدة الكتبة الأقباط . فبينما نحن ننتظر فائدة منهم للبلاد قد وضح أنهم السبب في خرابها . لذلك أستحلفكم بالله أن تصلحوا أعمالكم ، كي هذا الاهمال ، وتعلموا أن دوام هذه الحالة سيضطرني إلى إلغاء ديوان المدارس الذي هو أساس الرقي وطرد أساتذته » وأمر عباس بطرد أولئك المهندسين وعددهم خمسة عشر مهندساً وتوعد بالعقاب من يعود إلى استخدامهم . كما أمر بتعيين خمسة من أكفاء المهندسين ليقوموا بعمل المهندسين المفصولين متوعدا بامتحانهم عند عودته من سياحته بالوجه القبلي ، فاذا تبين أنهم جاهلون أيضاً ولا يصلحون إلا لجلب الخسائر لحتما سأطردهم من الخدمة أيضاً وسأضطر إلى إلغاء ديوان المدارس » [1] .

ويبدو أن المهندسين الجدد قد أنقذوا الموقف ... وديوان المدارس !

على أن روح الحذر والشك هذه التي كان يكنها عباس نحو دواوينه والمحيطين به والناس أجمعين لم تفارقه : من ذلك أنه أمر بأن لا يرقى موظف من موظفي الديوان إلا بعد أن يؤدي امتحاناً دقيقاً أمام هيئة من الموظفين الاخصائيين في فنه على أن تضمن اللجنة في ذيل تقريرها الذي ترفعه إليه هذه العبارة « حيث أنه أصبح من اللازم ترقية فلان إلى رتبة (كذا) بناء على ما وجهنا إليه من الأسئلة المتعلقة فأجاب عليها بالوجه

(١) دفتر ٤٦٨ (معية تركي) ص ٨٧ رقم ٤٨٩ من الخديو العالي الى مدير ديوان المدارس في ٣ المحرم ١٢٦٦

اللائق وأنه فيما بعد إذا اقتضى الأمر وأعيد امتحانه فى حضور ولى عهد فإنه سينجح فى أدائه ، وفى حالة العدم عاقبه محل تحمل المسئولية وتوصى بالعقوبة التى توقع عليه .[1]

ولم تمض شهور معدودات على صدور لوائح شعبان ١٢٦٥ حتى اتجه الرأى إلى وضع لوائح جديدة تشبع رغبة عباس فى الاقتصاد ، وعهد إلى لامبير بك بوضع هذه اللوائح وفى رأينا أن اختيار لامبير بك ناظر المهندسخانة للقيام بهذا العمل راجع إما إلى رغبة عباس فى أن تكون مدرسة المهندسخانة محورا للنظام التعليمى الجديد ، أو إلى تأثير أدهم باشا الذى كان قد عاد الى ديوان المدارس ، وقد رأينا الصلة الوثيقة بين الرجلين ، وقد كان من مظاهرها إيفاد لامبير إلى انجلترا — فى حكم إبراهيم — لدراسة مشروع التعليم الشعبى تمهيدا لتعميمه فى مصر . ويبدو أن لامبير مضى فى عمله محاولا أن يوفق ما استطاع بين رغبة عباس فى الاقتصاد المحقق وبين مطالب التعليم فى مصر وأمله فى الاحتفاظ بالنظام التعليمى الذى اشترك فى وضعه منذ أربعة عشر عاما والذى جنت منه مصر أطيب الثمار . ومن ذلك أنه حاول — بعد إلغاء مدرسة المبتديان — أن يحتفظ بالمدرسة التجهيزية معهدا مستقلا يمهد للمدارس الخصوصية[2] . ووضع لامبير بك « ترتيبا » للمدارس الملكية والرصدخانة ، يبلغ مصرفه نحو ٢٠ ألف كيس ، فلما عرضه على الوالى « استعظمه »[3] ، ورأى أنه « اشتمل على محاذير لا مسوغ

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٩ من عباس الى مدير ديوان المدارس فى ٣ ربيع الأول ١٢٦٦ ودفتر ٤٦٨ (معية تركى) ص ١١٤ رقم ٦٢٠ من عباس الى مدير ديوان المدارس فى ٣ ربيع الأول ١٢٦٦

(٢) دفتر ١٤٤ (م عربى) ص ٨١٦ الى المهندسخانة فى ٢٨ المحرم ١٢٦٦ ودفتر ١٤٥ (مدارس عربى) ص ٢٧٧ الى الجهادية فى ٣ ربيع الأول ١٢٦٦

(٣) على مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٤

لها : مثلا قرر تدريس مقامات الحريري وغيرها من الكتب التي لا حاجة للتلاميذ بها ولا سمع تدريسها في مدرسة ، وقرر تطويل مدة الدرس زيادة عما يلزم ، وقرر فتح عدة ورشات في نفس المدارس (لعله يقصد المهندسخانة) لترميم مهمات المدرسة بينما أن مهمات الجيش يجرى تصميمها وترميمها في ورش المهمات ، وهذه الورشات والمدرسة كل منها في محروسة مصر ، وبما قرره من فتح تلك الورشات إيقاع الحكومة في مصاريف في غير محلها » [١] .

في تلك الأثناء كان نجم جديد قد بدأ يتألق في الأفق : فقد عاد — مع من عاد من أعضاء البعثات — شاب مغمور تخرج في المهندسخانة ثم درس بمدرسة سان سير العسكرية بفرنسا : هو « على مبارك » ، عاد قبل أن يتم دراسته ، فألحق أولا بمدرسة المدفعية بطرة ثم طلبه سليمان باشا الفرنساوى « رئيس الجهادية » أو « رئيس الرجال » كما كان يدعى [٢] ليكون في معيته « يستخدمه في محل مناسب بالاسكندرية » [٣] فأجيب إلى طلبه ، ويبدو أنه كان يقصد إلحاقه بجاليس بك (Ga lico) الذى كان يعمل إذ ذاك في تحصينات الاسكندرية [٤] وقدم على مبارك الى عباس . ولم تمض على ذلك أيام حتى عاد عباس فطلب الى سليمان باشا أن يرسل اليه على مبارك سريعا إلى الخانقاه [٥] ، وذلك لأن عباسا كان يقوض مصيبه ما انتواه من أن يعتبر

---

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٥ أمر الى مدير المدارس في ٢٤ جمادى الآخرة ١٢٦٦

(٢) ويقصد به « رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى » .

(٣) محفظة ٤ (جهادية) رقم ٦٨ أمر الى مدير الجهادية في ٢٥ ذى القعدة ١٢٦٥

(٤) Dunne, op. cit. p. 297-298.

(٥) محفظة ٤ (جهادية) رقم ٨٣ أمر الى مدير الجهادية في ٢٦ ذى الحجة ١٢٦٥ .

بمصه أو بمن يثق به موظفى الحكومة المتخرجين فى المدارس ، وعول — كما رأيت — على أن يبدأ بالمهندسين المتخرجين فى مدرسة المهندسخانة وكاتبين لديوان المدارس ، واعتزم أن يكل هذا العمل إلى شبان لم تربطهم بغيرهم صلات من الود أو التعاطف أو المصلحة . فلم يجد خيرا من مهندسيه الشبان الذين عادوا حديثا من فرنسا وهم على مبارك وحماد عبد العاطى وعلى إبراهيم . ولهذا الغرض دعاهم إليه فى الخانقاه ويصف على مبارك هذه المقابلة (التاريخية) التى وضعت أساس الصلة بين عباس وعلى مبارك والتى عادت على النظام التعليمى فى مصر بأخطر النتائج .. قال على مبارك : « وقال عباس وقد أمرت بامتحان مهندسى الأرياف ومعلمى المدارس لأن الكثير منهم ليسوا على (شىء وجعلتكم من أرباب الامتحان) . وشرط علينا أن لا نتكلم إلا بالصدق ولو على أنفسنا ، وإذا عثر على أحد منا كذب فى شىء فجزاؤه سلب نعمته وإلباسه لباس الفلاحين وسلكه فى سلكهم ، ثم حلفنا على ذلك واحداً واحداً خلفنا . وحينئذ أنعم علينا برتبة الصاغقول أغاسى وأعطانا نيشانات الرتبة » [1].

ومضى « الأفندية الامتحانجية » فى عملهم ، ولا شك فى أن عباسا قد ارتاح لأن نتائج الامتحانات قد أثبتت فى المدارس وخريجيها رأيه . فراح يتهكم على المدارس وديوانها ويتهدد الجميع بالعقاب [2].

أما على مبارك — وقد بدأ حياته الوظيفية على هذا النحو — فقد أدرك الفرصة المواتية فحرص على أن لا تفلت منه ، وراح يتنقل فى « الركاب الأصفى » من إقليم إلى

---

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٤ .

(٢) دفتر ٤٦٨ (عينة تركى) ص ٨٧ رقم ٤٨٩ من الجناب العالى إلى ديوان المدارس فى ٣ المحرم ١٢٦٦ .

إقليم يمتحن هذا وفصل ذاك ويعين ذلك ، وبدأ يتصل بمعهده القديم — المهندسخانة — يمتحن خريجيها ويفحص عن كتبها الخ[١]

وزاد على مبارك بعباس اتصالا ، ولاح لعباس أنه قد وقع على الشاب المستعد لأن يتعهد له أغراضه ويتحمس لها ، فمضى يعتمد عليه دون أدهم ولامبير وغيرهما من شيوخ العهد (البائد).

وكان لامبير قد فرغ من ترتيبه للمدارس الملكية والرصدخانة ، وقد بلغت ميزانيتها بمقتضاه — على ميقول على مبارك — نحو ٢٠ ألف كيس (أى ١٠٠ ألف جنيه) فاستكثر عباس هذا المبلغ ودعا إليه (مستشاريه) الثلاثة ، وأحال عليهم الترتيب الذى وضعه لامبير — ناظرهم وأستاذهم القديم — وطلب إليهم أن ينظروا فيه وأن يضعوا ترتيبا آخر يكون أكثر اقتصادا ، على أن يبقى الأمر سرا بينهم . ولكن مضى الوقت ولم يتفق (الفرسان الثلاثة) على رأى ، وخشى على مبارك فوات الوقت قبل تمام العمل ، فشرعت وحدى فى عملها من غير انتظار لرأى أحد ، فعملت لجميع المدارس ترتيبا مبلغ مصرفه ألف كيس وجعلت أساس ذلك احتياجات القطر لا غير . وأن جميع المدارس الملكية تكون فى محل واحد تحت إدارة ناظر واحد ، وأسقطت الرصدخانة بالمرة من الترتيب لعـــدم وجود من يقوم بها حق القيام إذ ذاك من أبناء الوطن مع احتياجها إلى كثرة المصرف ، وأبديت فى الترتيب أنه يلزم توجيه جماعة إلى بلاد الافرنج ليتعلموا فنون الرصدخانة وبعد قدومهم يصير فتحها وإدارتها ، وعينت لذلك محمود باشا الفلكى وكان إذ ذاك برتبة صاغقول أغاسى وإسماعيل باشا الفلكى وحسين بك

---

(١) دفتر ١٤٨ (مدارس عربى) ص ١٧٧٤ رقم ٣٠٣ الى المهندسخانة فى ٢ جمادى الأولى ١٢٦٦ .

ابراهيم وكانا من التلامذة الذين تمموا دروسهم ، ثم قرأت ذلك الترتيب على رفيق فلم يوافقني عليه ، فقال هو عندنا محفوظ فإن لم نعمل غيره نقدمه ليمسح عنا اللوم ، وقد كان ذلك عين الصواب ، لأنه بعد قليل طلب منا تقديم الترتيب ، ولم يكن عملنا غير هذا فقدمناه ، فاستغربه المرحوم عباس باشا وتعجب مما فيه من الأصول المخترعة مع قلة مصرفها ، وقال من عمل هذا ، فقلت أنا عملته » .[1] ولا شك في أن عباسا قد سر كثيرا (لهذه الأصول المخترعة) التي استطاعها هذا (الترتيب) الذي يهبط بميزانية التعليم من مائة ألف جنيه إلى خمسة آلاف جنيه فقط ، ولكنه لم يرد أن يقطع في هذا (الترتيب) الجديد برأي ، وخاصة لما وجد من خلاف بين أعضاء اللجنة ، فأحاله عباس باشا على مجلس خاص مكون من رئيس مجلس الأحكام ورئيس مجلس العسكرية ومدير الجهادية ومدير المشتريات ومدير الخارجية وكتخدا الباشا وترجمانه وكاتب الخارجية ورئيس الصيدلة ودعي لامبير إلى شهود المجلس ، وطالت المناقشة فيما يقول علي مبارك — ثمانية أيام ، وأخيرا رأى المجلس موافقا للمطلوب ، وفهم من إفادته التي قدمها أنه إذا أحيل إلى عهدته إجراء ذلك الترتيب بسبب أنه من ذوي المعرفة والكفاءة فإن إحالته إليه يكون سببا في حسن سيرته ، وأقر المجلس وجهة نظره والتمس من عباس باشا الموافقة على الترتيب ومكافأة صاحبه برتبة الأميرالاي لازدياد شوقه ، وتنمو رغبته في نيل الرضا العالي ، ونصبه ناظرا للمدارس التي اقترح افتتاحها في تقريره الذي وضعه ، أما لامبير بك فيميل إلى عضويه مجلس سك النقود ، وهي الوظيفة التي كان يشغلها من قبل ، ووافق عباس باشا على هذا كله وأصدر أوامره إلى ديوان

(1) علي مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٤ — ٤٥

المدارس بتنفيذه[1] .

وقد بلغ من ارتياح عباس لهذا النظام الجديد وحرصه على توفير أسباب نجاحه أن أقال مدير ديوان المدارس القديم ، إبراهيم أدهم باشا ، بعد تعيين علي مبارك بيومين اثنين متعللا بتقدمه في السن ، وأتى للمدارس بمدير جديد . وهكذا وضع (ترتيب سنة ١٢٦٦) — وهو الترتيب الذي نظم التعليم طوال عصر عباس — في خارج ديوان المدارس ، فلم يكن له في وضعه شأن ، حتى لقد شرع علي مبارك بتنفيذه قبل أن تصدر اللائحة رسميا : ضم المبتديان والتجهيزية إلى المهندسخانة[2] ، وكان الديوان يبعث إليه من وقت إلى آخر يستوضحه بعض ما غمض عليه من اللوائح الحديثة[3] .

وفي ١٧ رجب ١٢٦٦ (مايو ١٨٥٠) وافق الجناب العالي نهائيا على الترتيب الجديد وأصدر أوامره السنية إلى ديوان المدارس[4] .

وتتلخص هذه اللوائح — وليس لدينا نصها الكامل — في جعل مدرسة المهندسخانه محورا للنظام التعليمي الجديد ، فتضم إليها مدرستا المبتديان والتجهيزية ، ولذلك كان علي مبارك بك يدعى (ناظر المهندسخانه وملحقاتها) أما مدرسة الطب فبقيت فإنه جعلها تابعة لديوان المدارس من جهة وشورى الأطباء من جهة أخرى . أما المدارس الحربية

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٥ أمر إلى مدير ديوان المدارس في ٢٤ جمادى الآخرة ١٢٦٦ .

(٢) دفتر ١٥٣ (مدارس عربي) ص٨٨ و٢٥ رقم ١٠٤ إلى شورى الأطباء في ٢ رجب ١٢٦٦

(٣) دفتر ١٥٣ (مدارس عربي) ص١٠٠ و٢٦ رقم ٤٩٢ إلى المهندسخانة في ٢٣ رجب ١٢٦٦

(٤) دفتر ٤٦٨ (معية تركي) ص ١٥٨ رقم ٢٤ من الجناب العالي إلى مدير ديوان المدارس في ١٧ رجب ١٢٦٦ .

فقد قام على أنقاضها المدرسة الحربية المعروفة وتكون — هى الأخرى — قائمة بذاتها تابعة لديوان الجهادية . وهكذا نرى أن من أهم القواعد التى قام عليها التنظيم الجديد جمع كل من المدارس المدنية (الملكية) والحربية فى مؤسسة واحدة ، وتتبع الأولى ديوان المدارس والأخرى ديوان الجهادية . وستكون هذه القاعدة من الأسس التى سيتمسك بها على مبارك حين يصبح مديراً للمدارس فى عهد اسماعيل

الفصل الثانى

الادارة التعليميـــة

ديوان المـــدارس

لم يشأ عباس باشا أن يدخل تغييرات خطيرة على النظام الادارى الذى وضعه محمد على : نظام الدواوين والمجالس ، وفوق هذه الدواوين والمجالس إرادة « الجناب العالى» .
ومن هذه الدواوين ديوان المدارس ، احتفظ به عباس . وظل الديوان — كما كان منذ أنشىء فى سنة ١٨٣٧ [١] — الادارة المهيمنة على شئون التعليم والمدارس الحكومية .
وليس من شك فى أن اختصاص الديوان (العمى) أو (التعليمى) قد أصبح — على أثر إلغاء أكثر المدارس — محدودا ، فقد كان هذا الديوان يشرف — فى حكم محمد على — على عدد من المدارس والمكاتب الابتدائية فى القاهرة والأقاليم وعلى عدد آخر من المدارس التجهيزية والخصوصية فى القاهرة والاسكندرية ، وعلى الرغم مما أصاب التعليم فى سنة ١٨٤٠ — ١٨٤١ من التحديد أو التنظيم — إن شئت — [٢] فقد ظل ديوان المدارس

---

(١) انظر فى إنشاء ديوان المدارس كتابنا « تاريخ التعليم فى عصر محمد على »
ص ١٠٣ — ١٠٥ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ١٢٣ — ١٣٦ .

قائما له من نشاطه المتسع ما يجعل له خطره بين الدواوين والمجالس .

وقد رأيت أن عباس لم يشأ — على أثر توليه — أن يدخل انقلاباً فى التعليم ومعاهده ، فاحتفظ بأكثرها واحتفظ له بديوانها ، وقنع — فى لائحة ١٣ شعبان ١٢٦٥ — باقتصاد مبلغ ليس بالقليل من ميزانيتها .

ولكن عباسا بدأ عهده مع ديوان المدارس بالوعيد والتهديد ، وقد رأيت تهديده بإلغاء الديوان لما امتحن بعض المهندسين وقدر جهلهم .

ومضى عباس ينفذ سياسته فى التعليم دون إشراك لرجال ديوان المدارس ، ولم يعد ديوان المدارس يشرف إلا على معهدين اثنين : هما مدرسة المهندسخانة بأقسامها الثلاثة ومدرسة الطب وما يلحق بها . ونزعت الحكومة التعليم العسكرى وما يعد له من اختصاص ديوان المدارس وجعلته للجهادية . وحتى المهندسخانه كان لها من إدارة ناظرها الطموح « على مبارك » صاحب الحظوة لدى « الدولة » الجديدة ، دولة عباس ورجاله ما يهىء لها قسطا كبيرا من الاستقلال . أما مدرسة الطب — وقد فقدت جانب كبير من تقاليدها التى وضعها لها مؤسسها الأول « كلوت بك » — فقد مضت تتأرجح بين ألوان من الثقافات الأوروبية توحى بها أهواء الوالى وحاشيته ولم يكن لديوان المدارس فى توجيها نصيب . وحسبك أن اللوائح التى وضعت فى سنة ١٨٤٩ والتى نظمت التعليم طوال حكم عباس ، وضعت فى خارج ديوان المدارس ، وضعها أولا لامبير بك ثم على مبارك بك ، بل لقد بلغ من تحرج الديوان أن أبى مديره أن يتقدم بها إلى الوالى مؤثراً أن يتقدم بها واضعوها بأنفسهم [١] . وكذلك لا نكاد

---

(١) دفتر ٢٤٣٤ (مدارس تركى) ص ١٣١ رقم ٥٢ إلى مدرسة المهندسخانة فى ١٩ جمادى الأولى ١٢٦٦ .

نحس أثر الديوان فى وضع مناهج الدراسة بالمعاهد التابعة له ، أو بعبارة أخرى اقتصر عمله الفنى أو التعليمى على دائرة جد محدودة .

على أنا لا ننسى أن ديوان المدارس قد ورث عن الحكم الماضى إرثاً عظيماً عمل جاهداً على الاحتفاظ به : هذا الارث هو تلك النزعة إلى المركزية الشديدة فى تسيير الشئون ، وقد كانت عماد نظام محمد على الادارى . وقد بلغ من شدة تلك النزعة المركزية أن الديوان كان يأمر بأن لا يلحق تلميذ بالمدارس أو يفصل منها إلا بعد أن يؤتى به إلى الديوان ليراه رجاله ويكشف عنه طبيبه [٢] وإلا تعرض ناظر المدرسة للعقاب [٣] ، بل لقد أراد الديوان أحياناً أن يستوثق من صحة نتائج الامتحانات التى أجرتها المدارس فأعاد اختبار تلامذتها بحضور مديره [٤] ، ورغب مرة فى أن يكشف عن قدرة التلامذة والمعلمين فى (الخط) فكتب إلى المهندسخانة تبعث إليه نماذج من (خطوطهم) [٥] . هذا عدا ما احتفظ به الديوان — فى الناحية الادارية — من تعيين الموظفين على اختلاف مراتبهم وتأديبهم . . . . الخ . ونقل التلامذة من فرقة إلى أخرى ومن مدرسة إلى أخرى وتوقيع العقوبات والتحرج عن صرف أى قدر من المال إلا بإذنه . والمتتبع لأعمال ديوان المدارس فى حكم عباس — كما تبدو من سجلاته —

---

(٢) دفتر ١٥٤ (مدارس عربى) ص ٢٠٠٩ رقم ٥٩٧ إلى المهندسخانة فى ١٣ شعبان ١٢٦٦ ودفتر ١٥٧ (مدارس عربى) ص ٢٤٠٣ رقم ٢٦٣ إلى مدرسة الطب البشرى فى ٣٠ ذى القعدة ١٢٦٦ .

(٣) دفتر ٣٤٣ (مدارس عربى) ص ٤٦٤٢ رقم ٧٨٣ إلى المهندسخانة فى ١٨ ذى القعدة ١٢٧٠ .

(٤) دفتر ١٩٨ (مدارس عربى) ص ٨٥ رقم ٦ إلى معمورة الأطيان ، ٩ ذى القعدة ١٢٦٦

(٥) دفتر ٣٠٤ (مدارس عربى) ص ٢٤٠٥ رقم ٤٧٣ إلى المهندسخانة فى ١٧ جمادى الثانية ١٢٧٠ .

يدرك لأول وهلة كيف طغت الأعمال (الادارية) على نشاط الديوان طغياناً تاما، فكان هذا من أوضح أضرار النظام المركزى

ولكن ديوان المدارس كان يتصرف فى هذه المسائل وأشباهها فى حدود (أعماديته) أو ميزانيته، أما مازاد على ذلك فالبت فيه من اختصاص (مجلس الأحكام)[1] وكان أعلى هيئة إدارية فى حكم عباس.

على أن ديوان المدارس قد استعاض عن هذا النشاط التعليمى المحدود بنشاط ملحوظ فى ميدان آخر اضطر إليه اضطرارا، فتحمله ضيفاً به راغباً عنه، لأنه لم يكن يتصل بما ينبغى أن يقتصر عليه ديوان المدارس من شئون العلم والتعليم: هو ميدان العمل فى الأبنية والعمائر. وقد اجتاز ديوان المدارس مثل هذه (المحنة) أول حياته فى سنة ١٨٣٧ حين أثقلته حكومة محمد على بشئون الكتبخانات والمعامل والمناجم وقناطر الدلتا ومطبعة بولاق والوقائع المصرية وشئون الهندسة واسطبلات شبرا والرواتب حينا وورشة آلات الجراحة والأجزخانات والمساق والحدائق وغيرها حيناً آخر. على أن ديوان المدارس قد حرص على أن يتخلص من أكثر هذه (الفروع) حتى استقام له الأمر فى أواخر حكم محمد على، فأصبح لايتبعه — عدا المدارس والمكاتب — سوى المطبعة والكتبخانة والقناطر[2].

---

(١) دفتر ١٤٣ (مدارس عربى) ص ٤٧٠ رقم ٤٧ الى مجلس الأحكام فى ٢٩ ذى الحجة ١٢٦٥ ودفتر ١٤٤ (مدارس عربى) ص ٨٣٤ رقم ٧٤ الى مجلس الأحكام فى ٢٧ المحرم ١٢٦٦ — انظر ترتيب مجلس الأحكام فى كتاب (المحاماة) لفتحى زغلول ص ٦٣ وما بعدها (ملحقات).

(٢) تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ١٠٧ و ١٠٨

أما عباس فقد ألحق منذ أول حكمه ديوان الأبنية وما يتبعه من مصلحة الجبارة وأقسام العمارات بديوان المدارس [1] واستغرقت شئون البناء أكثر عمل الديوان، ذلك لأن عباساً كان كلفاً ببناء القصور فى جهات متفرقة، فكانت له قصور فى بنها والعباسية والطور وطريق السويس وغيرها. حتى إذا تصفحنا سجلات (استحقاقات) ديوان المدارس وجدنا أكثر موظفيه من المهندسين ومن يتصل عملهم بالأبنية والعمائر، وكذلك المتصفح لسجلات الديوان يجد (أن الطوب والرمل والجير) وغيرها من مواد البناء قد (طغت) على شئون العلم والتعليم حتى لا تكاد تعثر منها على شىء فى صفحة وصفحات. ولهذا كان الديوان يدعى أحياناً (ديوان المدارس والأبنية) [2].

ويلوح أن ديوان المدارس قد ضاق بهذا ذرعاً وحاول أن يتخفف منه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فكتب إلى المالية بأنه غير ملزم بأداء مصروفات العمائر أو تنظيم شئونها الكتابية والحسابية [3] وأن ليس عليه سوى الإشراف عليها من الناحية الفنية الهندسية [4] وكان هذا الأمر موضع جدل طويل بين ديوانى المدارس والمالية. ولما بدىء بإنشاء الخط الحديدى بين القاهرة والاسكندرية طلب عباس إلى مدير المدارس، أن يجتمع

---

(١) دفتر ١٨٥ (مدارس عربى) ص ١٤٠٣٤ رقم ٢٩٥٥ إلى عباسجى بك فى ٣ ذى القعدة ١٢٦٧

(٢) دفتر ١٦٨ (مدارس عربى) ص ٩٠٩٧، رقم ٥٧ إلى المالية فى ١٧ ذى القعدة ١٢٦٦

(٣) دفتر ٢٥٤ (مدارس عربى) ص ٣٩٠٩ رقم ٨٥١ إلى المالية فى ١٠ جمادى الأولى ١٢٦٩

(٤) دفتر ١٨٣ (مدارس عربى) ص ٣٠٧٦ رقم ٢٤٤٠ إلى عباسجى بك فى ٢٠ رمضان ١٢٦٧

عليه لأشغال السكة وإلا فإنه هو يستخدمها له »[1] ؟

ولم يستطع ديوان المدارس أن يتخلص من شئون البناء والعمارة حتى انتهى حكم عباس الأول ووضع سعيد باشا حداً لهذا كله ، فألغى ديوان المدارس جملة . والراجح أن قيام ديوان المدارس على شئون البناء والعمارة كان أهم مادعا حكومة عباس باشا إلى الاحتفاظ به ، فلما تولى سعيد وتخلص من هذه الشئون لم يجد مبررا لبقاء الديوان فألغاه .

فروع ديوان المدارس

في (الترتيب) الصادر في ١٣ شعبان ١٢٦٥ (يونيه ١٨٤٩) أحيل ديوان عموم الأبنية وفروعه على ديوان المدارس وكان من قبل تابعا (للخزينة الخديوية) فلما ألحقت الخزينة بالمالية أحيلت الأبنية على المدارس[2] . ولكن ديوان الأبنية — بعد ضمه إلى ديوان المدارس — احتفظ في أول الأمر بموظفيه وحساباته وسجلاته وكان ذلك مدعاة للاضطراب والتذمر ، مما دعا إلى عقد لجنة بديوان المدارس للنظر في هذا الأمر ، فقر رأيها على إلغاء (ديوان) الأبنية وضم أعماله جملة إلى ديوان المدارس ، وصدر بذلك أمر مجلس الأحكام في ١٤ جمادى الأولى سنة ١٢٧٠ (فبراير ١٨٥٤)[3] .

---

(١) حفظة ٤ (مدارس) رقم ٩١ أمر إلى مدير المدارس في غاية المحرم ١٢٦٨ .

(٢) دفتر ١٨٢ (مدارس عربي) ص ٢٩٦٨ رقم ١٢٦٣ إلى المالية في ٢٧ رمضان ١٢٦٧

(٣) دفتر ٣٠١ (مدارس عربي) ص ١٨٥٨ رقم ٩٧٦ إلى المالية في ١٧ جمادى الأولى ١٢٧٠ .

وفى سنة ١٢٦٦ (١٨٤٩ — ١٨٥٠) كانت (فروع) ديوان المدارس كما يلى [١] :

(أ) جهات لها حسابات خاصة بها : المطبعة . حبل المرمر . المحروسة (العباسية) .

(ب) جهات ليس لها حسابات خاصة بها : مدرسة المهندسخانة . مدرسة الطب البشرى . مخزن مهمات الأبنية . مطبعة الديوان الخديوى . قسم عمارات القلعة . مخزن المدارس . مخزن الأخشاب . مخزن قسم بولاق . قسم شبرا . قسم عمارات المحروسة . الكتبخانة [٢] . البركة (يقصد حديقة الأزبكية) . مصلحة الفرعانة . السواقى . قسم مصر القديمة . الجيارة .

وفى سنة ١٢٦٩ (١٨٥٢ — ١٨٥٣) زيد على هذه الفروع : عمارة بنها وعمارة وابور باسوس . وفى العام التالى (قبل إلغاء الديوان ببضعة شهور) بطل العمل فى (العباسية) والسواقى وقسم شبرا وألغى مخزن المدارس [٣] . وأصبحت الفروع التابعة لديوان المدارس ستة عشر (فرعا) [٤] .

أقسام الديوان

قسمت اللجنة التى عهد إليها تنظيم التعليم فى سنة ١٨٤١ (١٢٥٧ هـ) العمل بديوان المدارس على أقلام ثلاثة : القلم العربى والقلم التركى وقلم الهندسة . وظل هذا التقسيم قائما إلى نهاية عصر محمد على مع تغييرات اقتضاها حسن توزيع العمل [٥] .

---

(١) دفتر ١٦٨ (مدارس عربى) ص ١٥٢ رقم ٢٩ إلى الحسابات فى ١١ ذى القعدة ١٢٦٦

(٢) لم تكن الكتبخانة داراً للكتب بمعناه المعروف وإنما كانت داراً لبيع الكتب

(٣) دفتر ٢٩٣ (مدارس عربى) ص ٢٤٠ رقم ١٩ إلى المطبعة فى ١٤ ذى الحجة ١٢٦٩

(٤) دفتر ٣٢٥ (مدارس عربى) ص ٩ رقم ٥ إلى المطبعة فى ١٧ ذى الحجة ١٢٧٠ .

(٥) تاريخ التعليم فى عصر محمد على — للمؤلف ص ١١٠

وتشير سجلات الديوان فى عهد عباس إلى الأقلام التالية (١) :

(١) قلم الهندسة : وناظره حماد أفندى عبد العاطى (٢) زميل على مبارك فى البعثة إلى فرنسا . وفى أوائل حكم سعيد كان ناظر هذا القلم « اليوزباشى سلامه أفندى » وقد التمس مدير الديوان ترقيته (٣) .

(٢) قلم تركى ومحاسبة أو قلم تركى وخزينة وناظره « قائمقام على علوى أفندى » وقد خدم فى ديوان المدارس منذ إنشائه ، وأنعم عليه رتبة القائمقام فى سنة ١٢٦٣ ، وقد التمس مدير الديوان ترقيته فى أوائل حكم سعيد (٤) . وكان قلم المحاسبة يدعى أحياناً « ورشة الحسابات » (٥) وفى أواخر عهد الديوان كانت هناك وظيفة « مفتش حسابات المدارس » وكانت موكولة إلى « محمد عصمت أفندى » (٦) وكان من قبل معاونا بالديوان .

---

(١) وهذه السجلات هى سجلات الاستحقاقات (بالمعية) وسجلات (القيودات) و (المحافظ) بعابدين .

(٢) دفتر ١٧٢ (مدارس عربى) ص ٨٤٣ رقم ٥٦٠ الى حماد افندى ناظر قلم هندسة فى ٢٢ المحرم ١٢٦٧

(٣) محفظة ٤ (معية تركى) رقم ٣٨٦ من مدير الديوان الى كاتب ديوان الخديو فى ١١ صفر ١٢٧١ .

(٤) دفتر ١٨٢ (مدارس عربى) ص ٢٨٠٢ رقم ١٢٠٠ الى المالية فى ١٦ شعبان ١٢٦٧ ودفتر ٣١٢ (مدارس عربى) ص ٤٤٩٧ رقم ٢٤٣٥ الى ناظر قلم تركى ومحاسبة فى ٢٨ شوال ١٢٧٠ ومحفظة ٤ (معية تركى) رقم ٣٨٦ من مدير الديوان الى كاتب ديوان الخديو فى ١١ صفر ١٢٧١ — وكان هذا القلم يدعى أحيانا قلم الخزينة وقلم تركى .

(٥) دفتر ١٧٠ (مدارس عربى) ص ٤٠٩ رقم ١٢٦ الى المطبعة فى ٧ ذى الحجة ١٢٦٦

(٦) دفتر ٣٣٣ (مدارس عربى) ص ١٩٦ رقم ١٤٩ من المالية فى ٣ صفر ١٢٧١

(٣) قلم تحريرات المدارس : وناظره « مصطفى أفندى عبد العزيز » [1] وكان يدعى كذلك « القلم العربى » . وكان ناظره فى أوائل حكم سعيد الصاغقول محمد بهجت افندى . وقد انقص مدير الديوان ترقيته فى أوائل حكم سعيد [2] .

(٤) قلم المشتريات [3] : وكان يشرف على شراء الأدوات والمواد اللازمة للمدارس والمهمات . وكان يضم أحيانا الى قلم (تركى وخرية) .

ولكل قلم ناظر ورئيس (أو خلفة) وعدد من الموظفين .

على أن هناك قلمين هامين يكادان يستقلان فى طبيعة عملهما عن ديوان المدارس وإن كانا يتبعانه ويمتان اليه بأقوى الصلات : وهما قلم الترجمة . وسنتكلم عليه عند الكلام على مدرسة الألسن ، وقلم الوقائع .

قلم الوقائع

منذ أنشئت صحيفة الوقائع المصرية فى سنة ١٢٤٤ (١٨٢٨) جعلت تابعة لديوان المدارس . فأنشئ لها بالديوان قلم خاص يشرف على جميع شئونها من تحرير وتوزيع وحساب .

وفى الأيام الأخيرة من حياة إبراهيم باشا أنشئ قلم جديد للترجمة بالقلعة ، وأحيلت

---

(١) دفتر ٢٠٢ (مدارس عربى) ص ١٠٩٠ رقم ٤٨٤ الى الحسابات فى ٢٩ ربيع الأول ١٢٦٨

(٢) محفظة ٤ (معية تركى) رقم ٣٨٦ من مدير الديوان الى كاتب ديوان الخديو فى ١١ صفر ١٢٧١

(٣) دفتر ٢٨٢ (مدارس عربى) ص ١٧٩٨ رقم ٢٦٥ من مدرسة الطب البشرى فى ١٧ جمادى الأولى ١٢٦٩

عليه شئون الوقائع المصرية [1]، وكتب الديوان إلى مختلف المصالح والدواوين يعلمها أن المسائل التي تستحق النشر في الوقائع ترسل أولا بأول إلى قلم الترجمة [2].

ولكن مدرسة الألسن ما لبثت أن طالبت ديوان المدارس بإعادة مترجمي القسم العربي (أي الذين يقومون بالترجمة من الفرنسية إلى العربية) من قلم الترجمة إلى مكانهم الأول بمدرسة الألسن، فوافق الديوان. وكذلك أعيد قلم الوقائع إلى مكانه السابق بالديوان [3].

وعين ديوان المدارس موظفا يطوف بالدواوين ليجمع الحوادث والمسائل التي يراها جديرة بالنشر [4]، وكتب إلى الدواوين طالباً أن « تضبط كافة ما يحدث لطرفهم اللائق درجه بالوقائع المصرية من الأمور والمصالح حتى يرد لهم الأفندي المعين لتدارك وطلب الحوادث من الجهات ..... حتى لا يصير دخول الوقائع في سلك التأخير ويكون نشرها بأوقاتها حسب الأصول » [5].

أما تحرير الوقائع وتصحيحها فكانا عائدين على مصححي مطبعة بولاق [6].

(١) تاريخ التعليم في عصر محمد علي : للمؤلف ص ٣٤٤

(٢) دفتر ١٢٦ (مدارس عربي) ص ٨٦٣ رقم ١٥٤ الى مدرسة الطب البشري في ٢٦ جمادى الأولى ١٢٦٤

(٣) دفتر ١٢٩ (مدارس عربي) ص ٩٧٧ رقم ٢٧١ الى مدرسة الألسن في ١٨ المحرم ١٢٦٥ ودفتر ١٤١ (مدارس عربي) ص ٧٣٦ رقم ٧٧ الى قلم المسامات في ١٩ ذي القعدة ١٢٦٥

(٤) دفتر ١٥٤ (مدارس عربي) ص ٢٧٨٧ رقم ٧٦٩ الى الجهادية في ١٠ شعبان ١٢٦٦

(٥) دفتر ١٧٦ (مدارس عربي) ص ١٦٣٨ رقم ٦٩٣ الى المالية في ٢١٤ ربيع الثاني ١٢٦٧

(٦) دفتر ١٥٩ (مدارس عربي) ص ٣١١ رقم ١٨٤ من المطبعة في ١٣ المحرم ١٢٦٦

وعـــدا هذه الأقلام كان بديوان المدارس « ورشتان » أي إدارتان للحسابات : وهما ورشة الاستحقاقات (أي الماهيات) وورشة العمارات والمهمات والتشهيل [1]

مدير ديوان المدارس

تولى عباس الأول فى نوفمبر ١٨٤٨ (٢٧ ذى الحجة ١٢٦٤) وكان على رأس ديوان المدارس « إبراهيم أدهم باشا » فأبقاه فى منصبه . وقد قيل إن عباسا كان منذ حداثته يميل إلى أدهم ، وإلى عباس يرجع الفضل فى أن عفا محمد على عن أدهم — على أثر إعادته إلى مصر من انجلترة مغضوبا عليه — وعينه مديرا لديوان المدارس [2] وقد شغل أدهم هذا المنصب منذ وفاة مصطفى مختار بك أول مدير لديوان المدارس

— ومن هؤلاء المصححين : الشيخ محمد المرصفى والشيخ محمد قطة العدوى (دفتر ٢٤٤٣ مدارس عربى ص ١٣٨٥ رقم ٢٤٢ الى الحسابات فى ٨ صفر ١٢٦٨) والسيد محمد شهاب الدين أفندى (الباشمصحح) والشيخ محمد دعنا (دفتر ٢٤٦ مدارس عربى ص ١٨٩٣ رقم ٣٢٧ الى المطبعة فى غاية صفر ١٢٦٩) والشيخ سليمان السباعى والشيخ سليمان العدوى (الباشمصحح) دفتر ١٦٠ مدارس عربى ص ٤٣٠ رقم ٣١١ من المطبعة فى غاية المحرم ١٢٦٦

وكانت الوقائع المصرية توزع (اجباريا) ويخصم ثمنها من كل موظف مصرى أو غير مصرى يبلغ مرتبه ألف قرش أو يزيد عليه (دفتر ١٤٩ مدارس عربى ص ٣٢٧ رقم ٥٢ الى مديرية المنوفية فى ٢٠ ذى الحجة ١٢٦٥) ثم صدر أمر المالية بأن الوقائع لا ترتب إلا للحائزين رتبة الأميرالاى وما فوقها . أما من دون ذلك فلا ترتب له الوقائع إلا بحسب رغبته (دفتر ٢٥٣ مدارس عربى ص ٢٢٤٤ رقم ٦١١ الى الحسابات فى ٢٣ ربيع الثانى ١٢٦٩)

(١) انظر دفتر ١٦٢٩٩ (استحقاقات) بدار المحفوظات بالقلعة .

(٢) أمين باشا سامى : تقويم النيل ج ٢ ص ٤٩٥

فى مايو ١٨٣٩ حتى انفصل عنه فى مارس ١٨٤٩ ، وبذلك أتيحت للديوان — فى هذه السنوات العشر — إدارة متصلة خبيرة بشئون التعليم فى البلاد .

على أن أدهم باشا ما لبث أن ضاق ذرعا بخطة التهديد التى اتبعها عباس باشا بإزاء ديوان المدارس، وآثر أن ينجو بنفسه من ذلك الجو العاصف الذى لم يكن يتوقعه من الأمير الذى لمس عطفه من قبل . ولاشك فى أن أدهم كان يألم إذ يرى مشروعاته التعليمية التى كان قد بدأها فى حكم إبراهيم توقف بل يقضى عليها [١] ، وأعوانه (كرفاعه رافع وبيومى وغيرهما) يشتتون ، ولوائح جديدة توضع للتعليم ، لهذا كله اعتزل أدهم باشا منصبه فى ٢٤ مارس سنة ١٨٤٩ [٢] .

وتضرب أكثر المراجع صفحا عن المدير الذى خلفه . على أن الوثائق التى بين أيدينا تذكر اسم كامل باشا بوصفه مديرا لديوان المدارس فى جمادى الثانية ورجب سنة ١٢٦٥ [٣] (مايو ١٨٤٩) . والدكتور سالم باشا سالم يذكر فى ترجمته لحياته [٤] أن ديوان المدارس كان بالأزبكية وناظره المرحوم كامل باشا [٥] .

ويبدو أن عباسا قد عاد إلى سابق عطفه على أدهم ، واستطاع إقناعه بالعودة إلى الديوان الذى قام على خدمته سنوات كثيرة . وكانت اللوائح الأولى التى صدرت فى

---

(١) انظر كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص١٤١-١٤٣ ، ٢٠٩-٢١٠

(٢) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ١٠٩

(٣) محفظة ٤ (جهادية) رقم ٢٨ أمر إلى مدير الجهادية فى ١٣ جمادى الثانية ١٢٦٥ ورقم ٣٨ فى ٤ رجب ١٢٦٥ .

(٤) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٤ ج ١٣ ص ١٢٩

(٥) ولعله « يوسف باشا كامل » صهر محمد على — أمين باشا سامى تقويم النيل ج ٢ م ٣ ص ٢٩

١٣ شعبان ١٢٦٥ (يونية ١٨٤٩) قد وضعت فى غيبة أدهم عن الديوان ، وألغيت مكاتب المتديان بالأقاليم ، ورأى أدهم أن الامر لايعدو اقتصاد بعض المصروفات ، وحسبه أن معاهد الدراسة مازال أكثرها قائما . لهذا قبل أدهم أن يعود مديرا لديوان المدارس فى ذى الحجة ١٢٦٥ (أكتوبر ١٨٤٩) [1] . وأراد عباس أن يظهر له عطفه عليه فنحه أرفع رتبة عسكرية ، وهى رتبة الميرميران ومرتبها (١٥٠٠ جنيه فى السنة) فى ٢٦ صفر ١٢٦٦ [2] (ديسمبر ١٨٤٩) .

على أن أدهم باشا مالبث أن أدرك أن لوائح شعبان ١٢٦٥ لم تكن سوى مقدمة لما مابعدها ، ووجد أن الامر أخطر مما كان يظن ، فان رجلا (مغمورا) قد بدأ نجمه فى التألق (وهو على مبارك) ، وقد عهد اليه عباس بوضع لوائح جديدة بعد أن رفض تلك التى وضعها (لامبير) صديق أدهم . وهذه اللوائح الجديدة تلغى أكثر المدارس وتحصر التعليم كله — فيما عدا مدرسة الطب والمدارس العسكرية — فى معهد واحد هو مدرسة المهندسخانة . أيقن أدهم أنه لايستطيع العمل فى ظل النظام الجديد الذى يراد فرضه على التعليم فى البلاد ، وأنه لا يستطيع أن يتحمل مسئولية تنفيذ نظام وضعه آخرون . أما عباس فقد أيقن كذلك أن من العبث أن يكل إلى أدهم تنفيذ النظام الجديد وأن من الخير أن يكل ذلك إلى رجل (غريب) عن ديوان المدارس .

وصدرت لائحة على مبارك فى ٢٤ جمادى الثانية ١٢٦٦ (ابريل ١٨٥٠) ووافق عباس باشا على تعيين (على مبارك بك) ناظرا على المهندسخانة ليشرف على تنفيذ

---

(١) محفظة ٤ (جهادية) رقم ٧٧ أمر الى مدير الجهادية فى ٢ ذى الحجة ١٢٦٥

(٢) دفتر ٤٦٨ (معية تركى) ص ١١٤ رقم ٦٢٣ أمر الى مدير المدارس فى ١٩ ربيع الأول ١٢٦٦ .

لأنحته [١]، وبعد ذلك بيومين اثنين أصدر عباس باشا أمراً إلى (الكتخدا باشا) بفصل أدهم باشا من ديوان المدارس، مستنداً إلى أنه بلغ من السن مبلغاً لا يستطيع معه أن يقوم بما يتطلبه منصبه من «زيارة المعاهد والمدارس على الدوام وتفتيشها والفحص عن أحوالها وشئونها». وبتعيين عبدى شكرى بك الياور بالمعية مديراً لديوان المدارس «نظراً لكفاءته ودرايته»، مع توجيه رتبة اللواء إليه ومنحه مرتب (٩١٠ جنيهات في السنة) [٢]. وفي اليوم التالي (٢٧ جمادى الثانية) وجه عباس إلى أدهم خطاباً خاصاً يبلغه فيه إقالته من منصبه ويؤكد له حرصه على مودته. قال الوالي «إنكم وإن كنتم من رجال الدولة المخلصين والممتازين بالعلم والمعرفة، وقد أظهرتم الصدق والاستقامة في جميع الوظائف التي قمتم بأدائها لغاية الآن وفقاً للرغائب العالية، فإن سن الهرم سيحول دون استمراركم في أداء الوظيفة، وحيث أن ديوان المدارس من الدوائر الجسيمة وأن المصلحة تقضى بأن يكون مديرها رجلاً قوى الجسم سريع الحركة والتنقل، بناء عليه ونظراً لكونكم من قدماء الرجال المتحلين بالاستقامة والذين قاموا بأداء خدمات نافعة، فقد بدر إلى خاطرنا إعفاؤكم من مديرية ديوان المدارس وتعيينكم عضواً بمجلس الأحكام». وفي ختام الكتاب طلب الأمير إلى صديقه القديم أن «يذكره دائماً بالخير والبركة ويدوام الحضور لزيارته كسابق العهد» [٣].

إلا أن (سن الهرم) لم تمنع عباساً نفسه من الاستفادة من (خبرة) أدهم باشا في

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٥ أمر إلى مدير المدارس في ٢٤ جمادى الآخرة ١٢٦٦ .

(٢) دفتر ٤٦٨ (معية تركى) ص ٢٢٥ رقم ١١٤٣ أمر إلى الكتخدا باشا في ٢٦ جمادى الثانية ١٢٦٦ .

(٣) دفتر ٤٦٨ (معية تركى) ص ١٢٢ رقم ١٣٥ أمر إلى أدهم باشا في ٢٧ جمادى الثانية ١٢٦٦ .

أعمال أخرى غير عضوية مجلس الأحكام . قيل إن أدهم باشا عين — فى وقت نقله من ديوان المدارس — مفتشاً للمهمات الحربية وناظر الأوقاف الحرمين الشريفين [1] على أن الوثائق تتحدث عنه — بعد أربعة أشهر من انفصاله عن المدارس — مديرا للتجارة والمبيعات بالاسكندرية [2]. كما أن شيخوخة أدهم لم تمنع سعيدا فى أول حكمه من أن يعين (الوزير) القديم مديرا لديوان الخارجية ومفتشا عاما للمدارس ثم محافظا للقاهرة ، كما أنها لم تمنع اسماعيل بعد ذلك من إعادته فى أوائل سنة ١٨٦٣ إلى منصبه القديم فى ديوان المدارس .

ومات إبراهيم أدهم باشا فى سنة ١٨٦٩ [3] .

أما المدير الجديد لديوان المدارس — عبدى شكرى باشا — فقد كان من رجال الجيش . ذكر المصور لها أمين باشا سامى والأمير عمر طوسون [4] وعنهما نقل الكتاب المحدثون [5] أنه نجل حبيب أفندى مأمور الديوان الخديوى على عهد محمد على وأنه أرسل فى بعثة سنة ١٨٢٦ إلى فرنسا ودرس الإدارة المدنية ، ولما عاد إلى مصر عين ناظراً لمجلس الملكية ، ثم ترقى حتى عينه عباس باشا مديراً لديوان المدارس . والواقع أن عبدى شكرى هذا نجل حبيب افندى قد توفى فى سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤)

---

(١) على باشا مبارك . الخطط التوفيقية م ٣ ج ١٢ ص ٥ ومرمك باشا : حقائق الاخبار ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٢) عفظة ٤ (معاديه) رقم ١٦٥ أمر إلى مدير الجهادية فى غرة ذى الحجة ١٢٦٦

(٣) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ١٢ ص ٦

(٤) البعثات العلمية ... ص ٣٤ — ٣٥

(٥) Dunne, op. cit. p. 292.

فى حياة أبيه [١] . أما ، عبدى شكرى ، الذى نحن بصدده فقد درس بمدرسة قصر العينى ثم تخرج فى مدرسة المدفعية بطرة وترقى فى السلك العسكرى ، وفى عهد عباس عين قائمقام المفروزة ثم منح رتبة الأميرالاى وألحق بمعية الوالى ، ثم عين مديراً لديوان المدارس مع ترقيته إلى رتبة اللواء . وظل مديراً لديوان المدارس حتى ألغى الديوان فى ١٦ ديسمبر سنة ١٨٥٤ (١٠ ربيع الاول ١٢٧١) . وتقلبت الأحوال بعبدى شكرى ، فعين مأموراً بضبطية مصر ثم فصل ، ساء على كذبه وعدم ناموسه ، ثم عين عضواً بمجلس استئناف مصر . وأخيراً أحيل إلى المعاش فى رجب ١٢٨٢ (١٨٦٦) وتوفى فى ١٧ ديسمبر سنة ١٨٩٠ [٢] .

وكيل الديوان

بدأ حكم عباس الأول فى نوفمبر ١٨٤٨ ووكيل ديوان المدارس ، القائمقام إبراهيم أدهم افندى ، فأبقاه الوالى فى منصبه وبعد قليل أنعم عليه برتبة الأميرالاى [٣] .

وقد شغل إبراهيم رأفت هذا المنصب من ١١ ستمبر ١٨٤٨ فى عهد نظارة إبراهيم أدهم باشا للديوان وظل يشغله إلى نوفمبر ١٨٤٩ [٤] . ولم يكن رأفت غريباً عن المدارس ، فقد قضى حياته الوظيفية متنقلا بين أقلام الديوان وإدارة المدارس ، كان معاونا بديوان المدارس ثم نقل وكيلا للمدرسة التجهيزية ثم ناظراً لها فى أوائل

---

(١) دفتر ٥٧ (معية تركى) رقم ٢٥٣ الى حبيب افندى فى ٤ جمادى الأولى ١٢٥٠ محمد على يعزى حبيب افندى فى ابنه عبدى بك .

(٢) أخذنا هذه المعلومات من ملف معاش ورثة عبدى شكرى باشا بمحفوظات القلعة .

(٣) محفظة ٢ (مدارس) رقم ٢٦١ أمر الى مدير ديوان المدارس فى ٢٨ رجب ١٢٦٥

(٤) دفتر ١٦٢٩٩ (استحقاقات) بدار المحفوظات بالقلعة .

سنة ١٨٣٧ ، وكان وهو فى منصبه هذا يلقى دروسا فى المدرسة والجبر على الطلاب بطريقة حببته إليهم وأطلقت لسان على مبارك بالثناء عليه [١] .

حتى إذا أعيد تنظيم المدارس فى سنة ١٨٤١ وضمت المدرسة التجهيزية إلى مدرسة الألسن تحت إدارة رفاعة بك رافع الطهطاوى نقل إبراهيم بك رأفت ناظرا للقسم العربى بديوان المدارس . وظل به إلى أن عين وكيلا للديوان فى سبتمبر ١٨٤٨ [٢] .

وخلفه فى وكالة الديوان « القائمقام حسن أفندى » ، وقد ظل فى منصبه هذا من أول ديسمبر سنة ١٨٤٩ إلى قبيل إلغاء الديوان فى عهد سعيد فى ١٠ ديسمبر ١٨٥٤ [٣]. وبذلك عمل تحت نظارة أدهم باشا ثم عبدى باشا للديوان .

وقد حاز حسن أفندى ثقة عبدى باشا ، فكتب قبل إلغاء الديوان طلباً بترقيته إلى رتبة الأميرالاى كأسلافه وكلاء الديوان « وهو يعمل منذ ست سنوات ويؤدى الخدمات الأميرية المفروضة عليه بعبودية وينجزها فى أوانها بالصدق وحسن الاستقامة » [٤] .

موظفو الديوان

ويعاون المدير والوكيل فى سائر ما يتطلب منهم أداؤه — عدد من نظار الأقلام « معاونو الديوان » وقد قلنا عنهم فى عصر محمد على إنهم عيون الديوان التى ينظر بها فى

(١) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٣٨

(٢) تاريخ التعليم فى عصر محمد على المؤلف ص ١١٠ و ٢٣٥

(٣) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ١٠٩ ودفتر ١٦٣٠١ (استحقاقات) بالقلعة .

(٤) محفظة ٤ (معية تركى) رقم ٣٤٤ من مدير المدارس إلى كاتب الديوان الخديوى فى ١٠ صفر ١٢٧١

المؤسسات التابعة له . وكانوا حلقة الاتصال بين الادارة المركزية فى الديوان وفروعه [١].
على أن مهام المعاونين أخذت تنحصر فى الشئون الادارية البحتة ، وأخصها شراء الأدوات والمواد اللازمة للمدارس والأبنية وتحقيق بعض القضايا وجرد المخازن . الخ [٢].

أما العمل الكتابى بالديوان فيقوم به الكتبة المختصون فى سائر الأقلام . ويرأسهم « باشكاتب الديوان » . أما الأعمال الحسابية فيشرف عليها « رئيس الحسابات » ، ويبدو أن هاتين الوظيفتين أصبحتا وظيفة واحدة ، يتقلدها موظف واحد كان يدعى أحيانا « باشكاتب ورئيس محلة المدارس » [٣].

وكانت « مواد الكتابة والكتاب » فى سائر الدواوين يرأسها موظف كبير يلقب « بمحاسبجى بك » ، « أو محاسبجى مصر » [٤].

وقد أدى الاغراق فى بناء القصور وغيرها إلى اتساع العمل بالديوان [٥]، فوضع الباشكاتب « مرتبا جديدا » عن « كتاب عموم وفروع الديوان » ، سمت به الزيادة عن

---

(١) تاريخ التعليم فى عصر محمد على لدزلف ص ١١٦ — ١١٧

(٢) نذكر من هؤلاء المعاونين محمد أمين . أبو السعود . مصطفى خلوصى سليمان حمدى سليم افندى . عبد الله السيد . عبد القادر افندى حسن المصرى . محمد عصمت . حسين عبد الحليم . حسين عاكف .

(٣) دفتر ٢٤٣ (مدارس عربى) ص ١٣١٧ رقم ١٠ الى محاسبجى مصر فى ٢٢ صفر ١٣٦٩ — وقد شغل هذا المنصب على التوالى المعلم على منصور . الشيخ محمد طه الشيخ براهيم عمران . الشيخ صالح محمد

(٤) دفتر ١٨٥ (مدارس عربى) ص ٣٤١٤ رقم ٢٦٥٥ الى محاسبجى بيك فى ٣ ذى القعدة ١٢٦٧

(٥) دفتر ٢١٩ (مدارس عربى) ص ٤٣٨٧ رقم ٣٧٣١ إلى محاسبجى مصر فى ٨ ذى القعدة ١٢٦٨

ترتيب شعبان ١٢٦٥ مبلغاً زهيداً [1] وزيد عدد الخدم من ١٨ إلى ٢٣ خادماً [2].

أما الخدمة الصحية بالديوان وفروعه فقد عهد بها إلى طبيب خاص للديوان يقوم على فحص التلاميذ الجدد والمرضى المرضى [3].

وقد اقتضى عمل الديوان في الأبنية والمشتريات .. الخ تعيين « معاسرة » للديوان ، وكان الديوان يطلب تعيينهم من « سر تجار المحروسة » بعد الضمانة عليهم بمجلس التجار [4] ، على أن يكونوا « ذوى ديانة ومعمورية » [5].

مكاتب الديوان

كان الديوان أول إنشائه في سنة ١٨٣٧ في قصر الدفتردار بالأزبكية وبقى

---

(١) دفتر ٢٤٣ (مدارس عربى) ص ١٣١٧ رقم ١٠ إلى محاسبجى مصر فى ٢٣ صفر ١٢٦٩

(٢) دفتر ١٩٢ (مدارس عربى) ص ٧٩٢ رقم ٧٦ من المعية فى ١٤ محرم ١٢٦٦ ودفتر ٢١٩ (مدارس عربى) ص ٢٨٦٧ رقم ١٢٥٤ الى المالية فى ٢٣ رجب ١٢٦٨

(٣) وقد شغل هذا المنصب سنوات طويلة « مسيو أورير » وقد فصل فى سنة ١٢٧٠ لمرضه ورغبته الاقامة فى أوروبا — دفتر ٣٠٥ (مدارس عربى) ص ٢٦٣٤ رقم ١٦ الى شورى الأطباء فى ٧ رجب ١٢٧٠ — ثم عين فى وظيفته مؤقتاً « زهران افندى » طبيب المهندسخانة (دفتر ٣٠٩ مدارس عربى ص ٣٦٠٥ رقم ٦٦٢ الى المهندسخانة فى رمضان ١٢٧٠) حتى نقل الدكتور أنطونيو كولتى حكيماً فى اسطابلة البحرية طبيبا بديوان المدارس (دفتر ٣٣٨ (مدارس عربى) ص ١٨٥ رقم ١٩٢ من ديوان الجهادية فى ١٣ صفر ١٢٧١)

(٤) دفتر ١٧١ (مدارس عربى) ص ٦٢٢ رقم ٤٥٨ الى سر تجار المحروسة فى ٦ المحرم ١٢٦٧

(٥) دفتر ١٠٣ (مدارس عربى) ص ٢٧٢٢ رقم ٢٠٣٨ فى ٥ شعبان ١٢٦٦

به تسع سنوات، وفي جناح منه كانت مدرسة الألسن وقلم الترجمة، حتى ضاق المكان من الديوان فبني له بناء جديد بالناصرية بجاور مدرسة المهندسخانة وانتقل إليه في سنة ١٨٤٥. وظل ديوان المدارس بالناصرية نحو خمسة أعوام ونصف عام [1]، ثم نقل بعدها إلى «دائرة السلحدار بالقلعة» [2]، وجعل بناء الديوان بالناصرية ومدرسة المهندسخانة داراً للضيافة (مسافرخانة) [3].

---

(١) تاريخ التعليم في عصر محمد علي للمؤلف ص ١١٨ — ١١٩

(٢) دفتر ٢١٣٢ (مدارس تركي) ص ٥٢ في ٦ المحرم ١٢٦٦

(٣) دفتر ١٦١ (مدارس عربي) ص ٧٣١ رقم ٢٤٦ من ديوان كتخدا في غرة ربيع الثاني ١٢٦٦

الفصل الثالث

معاهد الدراســة

-

المدارس الملغاة

مكاتب المبتديان بالأقاليم

يرجع إنشاء المكاتب الابتدائية بالأقاليم إلى أوائل سنة ١٨٣٣ ، وقد توسعت حكومة محمد على فى إنشائها حتى بلغ عددها فى ثلاث سنين ستة وستين مكتباً [١] . أما الغرض من إنشائها فقد وصفه محمد على بأنه « تعليم وتثقيف أبناء العباد » [٢] .

وبذلك كانت هذه المكاتب أولى المؤسسات التعليمية التى أنشأتها الحكومة فى عواصم الأقاليم وقراها . فلأول مرة فى تاريخ مصر الحديث نرى التعليم « الحكومى » يتطلع وقرى مصر يحمل إلى أهلها تعليما أوليا بسيطا كانوا فى أشد الحاجة إليه . على أنه يجب ألا ننسى أنه إلى جانب هذه المكاتب (الأميرية) كانت تقوم المكاتب (الأهلية) البعيدة عن سلطان الحكومة ورقابتها . ولاشك فى أن عددها كان أكبر من مكاتب

---

(١) تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف . انظر عن مكاتب المبتديان الفصول الثلاثة الأولى من الكتاب الثالث .

(٢) دفتر ٥٨ (معية تركى) رقم ٩٢ الى محرم أطا فى ١٩ ذى القعدة ١٢٤٩

الحكومة، وكانت أشد قدرة على اجتذاب الأطفال وإن كانت أضعف منها موردا وعملا.

حتى إذا كانت سنة ١٨٣٦ — ١٨٣٧ اعتزمت حكومة محمد على أن تسلك مكاتبها الابتدائية جميعا في سلك واحد وأن تربط ما بينها وبين مراحل التعليم الأخرى، فوضعت لائحة للتعليم الابتدائي، نصت المادة الأولى منها، على أن المراد من مدارس المبتديان تحضير التلاميذ وتهيئتهم إلى مدرسة التجهيز ونشر مبادىء العلوم للأهالى، وجرت مادته الثانية بأن يكون عدد المدارس الابتدائية خمسين مدرسة بالقاهرة والاسكندرية والمدن الرئيسية بالأقاليم.

ثم تناقص عددها حتى أصبحت ثمانية وثلاثين مكتبا في سنة ١٨٤٠، كان نصيبها جميعاً الإلغاء في الترتيب الأول الذى وضع في سنة ١٨٤١، ثم أعيد افتتاح أربعة منها في الترتيب الثاني في هذا العام أيضاً لتمد — مع مدرستي المبتديان بالقاهرة والاسكندرية — تلاميذ المدرسة التجهيزية.

وعلى الرغم من أن قلة عدد مكاتب الأقاليم قد مكنت الحكومة من أن تحسن القيام على شأنها بتزويدها بالرجال الصالحين والأدوات الصالحة، على الرغم من هذا فإن حكومة عباس لم تشأ أن تمد لها في فرصة الإصلاح، ولم تشأ أن تتخذ منها نواة صالحة لتعليم أولى — ابتدائى في الأقاليم، ولم تعد هذه الفكرة إلى الظهور إلا على يد اسماعيل، بعد ذلك باثنى عشر عاما.

ولى عباس الحكم ومكاتب المبتديان قائمة في برش وأسيوط والزقازيق والجزيرة، والعمل جار لتنفيذ الأمر العالى الذى صدر في أوائل سنة ١٢٦٣ (١٨٤٧ م) بإنشاء مكاتب (الملة) في كل قسم من أقسام القاهرة الثمانية، حسب الأصول الحديثة

المرعية فى أوروبا ، مع الاستعانة بغلة وقف الحرمين ، وقد أحيلت نظارة هذا الوقف إلى عهدة مدير ديوان المدارس [١] وأنشئ فعلا من هذه المكاتب ، مكتب المظفر ، [٢]

ولكن لم تمر شهور على تلك الحركة الفنية حتى عاجلها الفناء .

لم ينتظر عباس صدور لائحة شعبان ١٢٦٥ ، بل عاجل مكاتب الأقاليم بالإلغاء فى الفترة التى اعتزل فيها أدهم باشا الديوان أول مرة ، فالأمر الذى أصدره فى ٤ جمادى الأولى سنة ١٢٦٥ [٣] (مارس ١٨٤٩) : « بما أن مدرسة المبتديان الكائنة بالمحروسة وجدت الآن كافيه لأداء مطلوب المدارس الميرية فصار الآن لا لزوم لمكاتب المبتديين الكائنة بالأقاليم بطرف الميرى ، (أى على نفقة الحكومة) وصار مقتضى إبطالهم ، إلا أنه من كون لم يزل مقصود الإرادة العلية تعليم وتربية الأهالى وحسن تقدمهم واكتسابهم الرفاهية ، رؤى ألا يصير قطع وإزالة التعليم كلية من تلك المكاتب ، بل أن يصير رفت التلامذة والمستخدمين فقط من دفاتر الميرى ويصير إبقاء جميع الخوجات بالمكاتب المذكورة بمرتباتهم على طرف الميرى لأجل تعليم أولاد الأهالى الراغبين فى تعليم أولادهم بدون مقابل ، وجعل تلك المكاتب إلى الملة (يقصد جعلها أهلية) بدلا عن كونها ميرية ، وأن يصير فرش محلات الدروس بالحصر كالسابق من طرف الميرى (بعد أن كان قد استبدل بها مقاعد من خشب) ، ويصير إبقاء نفر فراش ونفر سقا فى كل مكتب لأجل نظافته وكنسه ورشه ، وإن كل من أراد تعليم ولده

---

(١) دفتر ١١٧ (مدارس عربى) ص ٢١٨ رقم ٧ إلى الروزنامة فى ١٢ ذى القعدة ١٢٦٤

(٢) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠١٦ رقم ٢٥٠ إلى مدرسة المبتديان فى ١٢ جمادى الثانية ١٢٦٥

(٣) دفتر ١٢٨ (مدارس عربى) ص ١٧٤٨ رقم ٢٧٨ إلى قلم الحسابات فى ٤ جمادى الأولى ١٢٦٥

من الأهالى فقيراً كان أو غنياً يحضر ولده إلى أحد المكاتب المذكورة يتعلم بدون مقابل ويحضر إلى المكتب صباحا ويتوجه لأهله مساء . وإذا أراد إخراجه من المكتب فلا يكون لأحد سبيل عليه . وحيث عرض ذلك للأعتاب الكرام وجد ذلك موافقا للإرادة العلية ، فتحرر لحضرات المديرين بما لزم عن ذلك ، وتحرر لنظار المكاتب لأروبة بأنه بوصول الأوامر يصير رفت جميع التلامذة والمستخدمين الكائنة بالمكاتب لغاية وصول الأوامر ، ويصير إشعار الديوان عن تاريخ الرفت ، وأن يصير تخلية سبيل التلامذة لأجل توجيههم لأهلهم ، وأن يصير إرسال كشف إلى المديريات بمرتب جميع الخوجات وأحد الفراشين وأحد السقايين الذين يلزم إبقاءهم بالمكتب لخدمته ونظافته لأجل تيدم بوجيبهم بالمديرية ، وأن يصير تسليم الحصر والأحجار الموجودة بالمكاتب من الباشخوجات وأخذ السندات اللازمة عليهم ، وما عدا ذلك من مهمات الميرى يصير إحضارها مع النظار لأجل تسليمها لمدرسة الألسن . ما عدا التعيين والطبالى والمنقولات التى لا يجب جلبها لهذا الطرف يصير تسليمها لأشوان المديريات ويؤخذ بها السندات اللازمة . وأن طلوسات التلامذة السابق خصمها بالأيرادية (أى على ميزانية الديوان) لا تؤخذ منهم ، واستحقاقهم الذى يصير إضافته جهات حساب الشهر المفتوح حسابه ، وأن يصير حضور الكتاب مع النظار لهذا الطرف لأجل تقديم الحسابات المطلوبة للديوان » .

وكذلك كتب ديوان المدارس إلى المديريات عما تقدم ، وذكرها ، بأن وجود هــذه المدارس على الوجه المطلوب يتوقف على مبلغ عناية حكام المديريات التى تقوم فيها هذه المدارس . وحيث أن من البداهة أن كل مدير مكلف بأمر تعليم وتثقيف أهالى مديريته فقد عرض على الجناب العالى إحالة إدارة مدارس الأقاليم على

المديرين لملاحظتها وتفقدها » (١) .

وهكذا اختفت مكاتب الأقاليم في ظلام الجهل والحرمان ، ولم نعد نسمع عنها شيئا ، وتخلت الحكومة عن واجب من أهم واجباتها في تعليم ناشئة البلاد .

مدرســـة المبتديان بالقاهرة

كانت مدرسة المبتديان بالناصرية (٢) من أكثر المدارس المصرية ازدهارا ، وكانت تعـــد نموذجا لمدارس الابتدائية الأخرى ، فكانت هذا مركز « التجديد » في التعليم الابتدائي إذ أنشئ بها قسم خارجى نستطيع أن نعد إنشاءه دليلا بارزا على نجاح المدرسة في اجتذاب طبقة من الأهالي لايريدون أن تتكلف الحكومة في تربية أبنائها ماتتكلفه لسائر الناس .

كما ألحق بها مكتب أنموذجى يسير على طريقة مستحدثة في تعليم الصبية : هى طريقة لانكستر الانجليزية ، ليكون نواة لتعميمها في المكاتب الابتدائية القائمة والمكاتب المزمع إنشاؤها .

على أن هذا كله لم يحل دون هدمها في أوائل حكم عباس باشا الأول ، بدأت مدرسة المبتديان تقاسى حين أقحمت الجهادية على « فرز » أكثر من نصف عدد تلامذتها (٢٧١

---

(١) دفتر ٢١٣٦ (مدارس ترك) ص ٨٦ رقم ١٥٢ الى مدير الغربيـــة في ٤ جمادى الأولى ١٢٦٥

(٢) انظر عن مدرسة المبتديان في عهد محمد على : تاريخ التعليم في عصر محمد على للمؤلف ص ٢١١ — ٢٢٠

ليذا) وانتزعتهم من المدرسة [1] . ولكن ديوان المدارس ما زال يشعر بضرورة المحافظة على مدرسة المبتديان . لهذا أبقى عليها فى ترتيب ١٣ شعبان ١٢٦٥ ، كما أبقى على المدرسة التجهيزية والمدارس الخصوصية . وأصبحت مدرسة المبتديان موئلا للتلاميذ الذين فصلوا من المكاتب والمدارس الأخرى [2] . وخيل إلى الديوان أن القصر يدخر للمدرسة حياة طويلة ، فأخذ يشير عليها بكتب المطالعة متدرجة حتى لا يسأم التلميذ من المطالعة فى كتاب واحد [3] ، ويضم إليها تلاميذ جددا ويخطط بالمكتب المسجد ، وهكذا .

ولكن (السياسة العليا) كانت تتجه وجهة أخرى وتبيت للمدارس خطة جديدة ، بدأ تنفيذها فى أواخر سنة ١٢٦٥ (أكتوبر ١٨٤٩) بإبعاد مدرسة المبتديان (هى والمدرسة التجهيزية) من قلب العاصمة إلى أبى زعبل فى البناء الذى كانت تشغله مدرسة الطب التى نقل تلامذتها إلى الجيزة [4] . وأخذت مدرسة المبتديان تقاسى فى مكانها الجديد : فالأمراض تفتك بتلاميذها ولا طبيب ولا صيدلية أو دواء والسلطات تصم أذنيها عن شكواه [5] . وكانت المدرسة تجود ذلك تأخر أقساطها ، ففى الأيام الأولى

---

(١) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠٠٠ رقم ٢٣٤ ورقم ٢٣٦ إلى مدرسة المبتديان فى ٢٩ جمادى الأولى ١٢٦٥ . ص ١٩٩٤ رقم ٣٠٠ إلى نظار المدارس فى ٢٩ جمادى الثانية ١٢٦٥

(٢) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠٤٦ رقم ٢٥٩ إلى المبتديان فى ٢٤ جمادى الثانية ١٢٦٥

(٣) دفتر ١٤١ (مدارس عربى) ص ٣٠٠٣ رقم ١٩ إلى المبتديان فى ٦ ذى الحجة ١٢٦٥

(٤) دفتر ٢١٣٣ (مدارس تركى) ص ٣٧ فى ٢٩ ذى الحجة ١٢٦٥

(٥) دفتر ١٤٣ (مدارس عربى) ص ٤٠٤ رقم ١٦ ، ١٧ إلى شورى الأطباء فى ٢٦ وآخر ذى الحجة ١٢٦٥

من عام ١٢٦٦ – وقبل صدور الترتيب الثانى – «تعلقت الإرادة الآصفية بلغو مدرسة المبتديان»، وعهد إلى على مبارك «بأن يفحص تلامذتها فى وجه صحيح الحسم موافقا للتعليم طبقه بالقسم التجهيزى، وأما المعلمون فيمتحنهم لمن نجح بقى بالمدرسة ومن لم ينجح كتب عنه للديوان. أما التلاميذ الجدد الذين يقبلون بالقسم التجهيزى فلا يجب أن يتعدوا الثامنة، ويشترط فيهم أن يعرفوا قراءة القرآن والخط وأن يكونوا مكتملى الأعضاء صحيحى الأبدان[1]».

وأكد الترتيب الجديد هذا القرار، فجعل من مدرسة المهندسخانة معهداً ينتظم – عدا قسم الهندسة – قسما ابتدائيا وآخر تجهيزيا.

المدرســـة التجهــــيزية

تركنا المدرسة التجهيزية – فى أواخر عصر محمد على – وقد ضمت فى ترتيب سنة ١٨٤١ إلى مدرسة الألسن تحت إدارة رفاعة بك رافع، وقرر لها ثلاثمائة تلميذ. وليس من شك فى أنها قد أفادت من نظارة رفاعة المستنيرة الحازمة، فأدخلت بها مواد دراسية جديدة[2].

على أن القدر كان يدخر لها فى أول حكم عباس نهاية عاجلة.

بدأت المدرسة التجهيزية حياتها فى أول هذا الحكم مطمئنة إلى مصيرها، فأخذت تزيد من تلامذتها، فألحقت بها عدد كبيراً من تلامذة المبتديان[3] وشرعت تختار من

(١) دفتر ١٤٣ (مدارس عربى) ص ٦٩٠ رقم ٢٣ إلى المهندسخانة فى ١٧ المحرم ١٢٦٦

(٢) عن المدرسة التجهيزية فى عصر محمد على انظر تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ٢٢٩ – ٢٣٥

(٣) دفتر ١٣٩ (مدارس عربى) ص ٢٠٠٠ رقم ٢٣٦ إلى مدرسة المبتديان فى ٢٩ جمادى الأولى ١٢٦٥

الكتب أصبحها للتلاميذ.[1] وقد أبقى عليها ترتيب ١٣ شعبان ١٢٦٥، على أن حياتها في أواخر ذلك العام بدأت تضطرب - فقد صدر الأمر بإخلاء مكانها في الأزبكية، فنقلت مدرسة الألسن إلى الناصرية مكان المبتديان وضمت التجهيزية مع المبتديان إلى أبي زعبل[2] وأصبحت المدرستان تحت إدارة ناظر المبتديان عبدالقادر أفندي، وكان بها إذ ذاك من التلاميذ ١٩٥ (مع أن المرتب لها من التلاميذ ٣٢٥) وعدد معلميها وضباطها ٣٥[3].

وأخذت المدرسة تقاسي في مكانها الجديد - طالبت بزيادة عدد تلامذتها وأساتذتها وتعيين طبيب لها والاستغناء عن مستشفاه[4]. وضاق الديوان ذرعاً بهذه المطالب التي لا يستطيع تحقيقها، فأمهلها حتى يعود «ولي النعم ويستعمل ترتيب عن المدارس»[5]. ورأت نصيحة المدرسة، فامتحن «عن مدارك» تلامذتها وأخرج منهم عدداً ليس بالقليل، «وجدهم» عادمين العلم ولا لهم منفعة بالمدرسة وأغلبهم كبار السن»[6]، حتى.

---

(١) دفتر ١١١ (مدارس عربي) ص ٢١٥ رقم ٦٠ إلى مدرسة الألسن في ٦ ذي الحجة ١٢٦٥

(٢) دفتر ٢١٣٢ (مدارس تركي) ص ٣٧ في ١٩ ذي الحجة ١٢٦٥

(٣) دفتر ١٦١ (مدارس عربي) ص ٧٥٨ رقم ٦٥ من التجهيزية في ٨ المحرم ١٢٦٦

(٤) دفتر ١٦١ (مدارس عربي) ص ٧٥٨ رقم ٧٦ من التجهيزية في ١٤ المحرم ١٢٦٦ ودفتر ١٤٣ (مدارس عربي) ص ٦٥٩ رقم ٧٨ إلى شورى الأطباء في ١٩ المحرم ١٢٦٦

(٥) دفتر ١٢٧ (مدارس عربي) ص ١٣٨١ رقم ٣٩١ إلى مدرسة الألسن في ٥ صفر ١٢٦٥.

(٦) دفتر ٦٠ (مدارس عربي) ص ٥٦٠ رقم ١٣٠ من المهندسخانة في ١٨ صفر ١٢٦٦

هبط عدد تلامذتها إلى نحو نصف العدد المقرر لها (١). وعلى أثر ذلك حصل تخفيف من أساتذتها وموظفيها (٢).

وتم إلغاؤها كمدرسة مستقلة فى ٢٤ رجب ١٢٦٦، ونقل ناظرها عبد القادر أفندى – معاونا بقلم المشتريات بالديوان، وقيد موظفوها مستودعين بثلث مرتباتهم (٣). ووضعت تحت نظارة «على مبارك» ناظر المهندسخانه وعين وكيلا لها «محمد مصطفى افندى أبو سن» أحد معلمى المهندسخانة. وطلب الناظر الجديد أن ينقل تلاميذ التجهيزية إلى مكان قريب من مدرسته إما بالمحروسة أو ببولاق (٤)، وانتهى الأمر بنقلهم إلى المهندسخانة ببولاق.

وهكذا خلت أبو زعبل والخانقاه من أية منشأة تابعة لديوان المدارس (٥).

---

(١) دفتر ١٦٣ (مدارس عربى) ص ١٠٧٦ رقم ١١٧ من التجهيزية فى ٢٩ جمادى الأولى ١٢٦٦.

(٢) دفتر ١٤٧ (مدارس عربى) ص ١٥٤٢ رقم ٦٩٩ إلى الحسابات فى ١٣ ربيع الثانى ١٢٦٦، دفتر ١٤٩ (مدارس عربى) ص ١٨١٧ رقم ٧٧٠ إلى الحسابات فى ١٠ جمادى الأولى ١٢٦٦.

(٣) دفتر ١٥٥ (مدارس عربى) ص ٣٠١١ رقم ١١٩٨ الى الحسابات فى غرة رمضان ١٢٦٦.

(٤) دفتر ١٦٤ (مدارس عربى) ص ١٢٥٨ رقم ٥١٠ من المهندسخانة فى ٢٨ جمادى الثانية ١٢٦٦.

(٥) دفتر ١٥٥ (مدارس عربى) ص ٣١٤٧ رقم ٨٧٦ الى الجهادية فى ٢٤ رمضان ١٢٦٦.

المــــدارس الخصوصـــية

مدرســـة الألسن

أنشئت مدرسة الألسن في سنة ١٨٣٥ ، وما لبثت أن أصبحت إحدى الدعامات القوية للحركة التعليمية في عصر محمد علي [١] . والفضـــل في ذلك يعود إلى مؤسسها وناظرها «رفاعة رافع الطهطاوي» ، فقد جهد ليأخذ تلاميذه على تشرب الثقافتين العربية والأوروبية ، فكان منهم المعلمون والمترجمون . وقد عمل رفاعة بك على أن يجعل من مدرسته مؤســـسة كبيرة تنتظم معاهد عدة ، فبعد سنة ١٨٤١ ضمت إليها المدرسة التجهيزية وأنشئت أقسام لدراسة الفقه والادارة الملكية والادارة الزراعية والمحاسبة ، هذا عدا قلم الترجمة الذي نظم في سنة ١٨٤١ وقام سنوات طويلة على إمداد المدارس بما تحتاج إليه من الكتب المعربة في مختلف العلوم .

كما كان بمدرسة الألسن مخزن عام يقوم على إمداد المدارس بالأدوات والملابس وغيرها . وكان بها كذلك دار صغيرة للآثار وأخرى للكتب الأجنبية . وإلى جانب هذا كله كان رفاعة بك يشرف على امتحانات المكاتب الابتدائية ، فيطوف بها ويمتحن تلاميذها ويفتش عن شئونها وهكذا شملت مدرسة الألسن في سائر نواحي النهضة التعليمية ، وكان لها في إدكائها أثر ملحوظ ولكن مدرسة الألسن كانت إحدى ضحايا أهواء عباس الأول .

وقد قيل في تعليل ذلك ماشاع من سوء التفاهم أو الكراهية بين عباس باشا ورفاعة ، تلك الكراهية التي لاحقت رفاعة ، فلم تقنع بالغاء المدرسة بل طاردته حتى السودان ،

---

(١) انظر كتابنا : تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ٣٢٩ — ٣٣٩ .

وأنشأت له مدرسة ابتدائية بالخرطوم نصبته على إدارتها ، ويرى بعض الباحثين في ذلك إصبع علي مبارك ، الذي عاد من أوربا مليئاً بالأطماع ، والذي كان ينفس على رفاعه ما أصاب من مكانة . وقد قرب عباس إليه علي مبارك وأبعد رفاعة إلى السودان ، فلما خلفه سعيد قرب إليه رفاعة وأبعد علي مبارك إلى القرم . كما يحتمل أن رفاعة قد لقى معارضة من بعض المشايخ المتعصبين الذين ربما عدوه متطفلا على ميدانهم في دراسة الشريعة والفقه [1] . ومن هذا كله تجمع الحقد على رفاعة والكيد له ولمدرسته .

بدأ العمل بإلغاء قسم الفقه بالمدرسة وفصل أساتذته وتحويل تلاميذه إلى تعلم المحاسبة [2] . وتلا ذلك (فرار) عدد كبير من طلبة المدرسة وفصلهم منها [3] ولم يستطع الترتيب الذي وضع في شعبان ١٢٦٥ إنقاذ المدرسة طويلا .

وفي الشهر الأخير من عام ١٢٦٥ (أكتوبر ١٨٤٩) صدر الأمر بنقل مدرسة الألسن إلى مكان مدرسة المبتديان بالناصرية ، وبذلك حرمت المدرسة من مكانها الذي عاشت فيه أربعة عشر عاما ؛ وضاق بها مكانها الجديد حتى اضطروا إلى نقل الكتبخانة الافرنكية و الانتيكات إلى المهندسخانة ببولاق [4] ولم تمض أيام على ذلك حتى ألغيت مدرسة الألسن في شهر المحرم سنة ١٢٦٦ (نوفمبر ١٨٤٩) وضم تلاميذها إلى

---

(١) Dunne, op. cit. p. 296 - 7

(٢) دفتر ١٢٨ (مدارس عربي) ص ١٧٧٣ رقم ٥٤٩ إلى مدرسة الألسن في ١٧ جمادى الأولى ١٢٦٥ .

(٣) دفتر ١٢٩ (مدارس عربي) ص ٥٥ - ٢ رقم ٥٨٦ إلى مدرسة الألسن في ٥ جمادى الثانية ١٢٦٥ .

(٤) دفتر ١٤١ (مدارس عربي) ص ٣٤٩ رقم ٧١ إلى مدرسة الألسن في ١٥ ذي الحجة ١٢٦٥ .

المدرسة التجهيزية قبيل إلغائها [(١)] واقتصر رفاعة بك على نظارة قلم الترجمة [(٢)]، وبعد قليـــل رحل إلى الخرطوم [(٣)]. ثم بدأ العمل في بناء فندق (شبرد) مكان مدرسة الألسن بالأزبكية [(٤)].

قلم الترجمة

أما قلم الترجمة فكان له مصير آخر :

كان إنشاء قلم الترجمة ثمرة من ثمرات تنظيم التعليم في سنة ١٨٤١ : جعل أربعة أقسام وضم إلى مدرسة الألسن ، بل يمكن القول بأنه كان (امتدادا) هذه المدرسة ، إذ كان يلحق به خريجوها ليمرنوا على أعمال الترجمة ، وكادت تقتصر على ترجمة المؤلفات الفرنسية إلى اللغة العربيـة .

وفي أواخر سنة ١٢٦٤ شرع إبراهيم باشا في إنشاء قلم جديد للترجمة إلى اللغة التركية ، وكتب إلى ديوان المدارس بامتحان المترجمين بالديوان وفروعه وغيرهم ممن لم كتابة

---

(١) دفتر ١٦٠ (مدارس عربي) ص ٢٠ رقم ١٩ من المدرسة التجهيزية في ٢ صفر ١٢٦٦ ويذكر أمين باشا سامي ... خطأ ... أن مدرسة الألسن ألغيت في مايو ١٨٥١ (التعليم في مصر القسم الخامس من الملحقات ص ٤٦)

(٢) دفتر ١٤٤ (مـــدارس عربي) ص ٨٥٧ رقم ٤٤٣ إلى ناظر قلم ترجمة في آخر المحرم ١٢٦٦

(٣) دفتر ٢١٣٣ (مدارس تركي) ص ١٢٠ في رجب ١٢٦٦

(٤) دفـــتر ٢١٣٤ (مدارس تركي) ص ١٨ في ٩ جمادى الأولى ١٢٦٦ ، ودفتر ٩١ جزء رابع (معية عربي) ص ٧٠٧ رقم ٧٢٨ إلى المالية في أول رجب ١٢٦٢

ودراية فى الترجمة من المعاونين والكتبة لاستخدام الناجحين منهم فى القلم الجديد [١].
أما قلم الترجمة الملحق بمدرسة الألسن فقصر على الترجمة إلى اللغة العربية كقسم من القلم الجديد . وجاء فى جريدة الوقائع ما يلى [٢] :

« لما كانت ترجمة الكتب المرغوبة التى تشتمل على القوانين والتراتيب والآداب وسائر العلوم والفنون النافعة من اللغة الفرنساوية إلى التركية والعربية وطبعها ونشرها وسيلة عظمى لتكثير المعلومات المقتضية وقضية مسلمة عند أولى النهى ، وكان حصول ذلك لا يتأتى إلا بوجود المترجمين البارعين فى ألسنة الافرنجى والتركى والعربى واجتماعهم فى محل واحد وقسمهم إلى قسمى ترجمة وضمهم إلى نظارة حضرة أمير اللواء كانى بك وكيل ديوان التفتيش الفريد فى فن الترجمة المشهور بالسلاسة والبلاغة . حصل عقب القلبين كما ذكر وقد تعين حضرة رفاعة بك أميرالاى الذى كان ناظر مدرسة الألسن التابعة إلى ديوان المدارس ناظراً على قلم الترجمة العربى فى معية حضرة الأمير المومى إليه ، وجعل قلم الترجمة الجديد — وقد ضم إليه قلم الوقائع أيضاً — تابعاً للديوان الخديوى وأقيم بديوان الغورى بالقلعة [٣] . على أن الاقامة بالقلعة لم تطب لرفاعة

---

(١) محفظة ٣ (مدارس) رقم ٢٤٣ من عباس إلى مدير المدارس فى ١٧ ذى القعدة ١٢٦٤

(٢) الوقائع المصرية : العدد ١٢٧ فى ٢٦ ذى القعدة ١٢٦٤

(٣) على مبارك : الخطط التوفيقية م ٥ ج ١٧ ص ٩٤ ودفتر ٢٦ / ٢ (مدارس تركى) ص ٣٨ رقم ٢٧ فى غرة ذى الحجة ١٢٦٤ ، ص ٤٢ رقم ٢ إلى مدير قلم الترجمة فى ٤ ذى الحجة ١٢٦٤

وتلامذته المترجمين (١) . واستقر الرأى على إعادة قلم الترجمة إلى تبعيته لديوان المدارس ، فانقسم قسمين : قسم الترجمة العربية ونقل إلى مكانه القديم بمدرسة الألسن وقسم الترجمة التركية وقلم الوقائع بديوان المدارس (٢) . وأزمع قلم الترجمة أن يعود إلى نشاطه القديم . على أن هذا الاضطراب قد أثر فى نظام القلم ونشاط موظفيه ، حتى لقد شكا رفاعة بعض مترجميه وطلب توقيع الجزاء عليهم (٣) .

على أن إلغاء مدرسة الألسن فى نوفمبر ١٨٤٩ لا شك قد أثر أثرا بليغا فى قلم الترجمة ورجاله ، فقد حرمه المعاونة القوية التى كان يعتمد عليها فى عمله الفنى وحرم المصدر الذى كان قائما على تغذيته بالمترجمين ، كما حرم ناظره رفاعة تلك المكانة السامية التى كانت له فى دوائر التعليم . وبعد أشهر رحل رفاعة إلى السودان ، ولم يستطع القلم أن يحيا بعد فقد مؤسسه ومديره فتشتت رجاله (٤) إلى أن أعيد تكوينه على يد رفاعة نفسه فى أوائل حكم سعيد .

---

(١) دفتر ٢١٢٦ (مدارس تركى) ص ٤٠ رقم ١٥ الى مصلحة المدارس فى ٩ المحرم ١٢٦٥ ودفتر ١٢٦ (مدارس عربى) ص ٩٧٧ رقم ٢٧١ الى مدرسة الألسن فى ١٨ المحرم ١٢٦٥

(٢) دفتر ٢٢٦ (مدارس تركى) ص ١٦ رقم ٢ الى الديوان الخديوى فى ٢١ المحرم ١٢٦٥

(٣) دفتر ١٤١ (مدارس عربى) ص ٣١٩ رقم ٦٥ الى مدرسة الألسن فى ذى الحجة ١٢٦٥

(٤) يتردد فى الوثائق الى سنة ١٢٦٨ ذكر قلم الترجمة ، دفتر ٢١٢ (مدارس عربى) ص ٣٢٨٨ رقم ٤٩ الى المالية فى ٢٠ شعبان ١٢٦٨ ويقول Dunn ص ٢٩٦ من غير أن يذكر المصدر الذى أخذ منه أن قلم الترجمه ظل قائما حتى حكم سعيد باشا ، ويبدو أن على مبارك قد ضمه اليه لأنه كناظر لمدرسة المهندسخانة أخذ على عاتقه مهمة إمداد المدارس بالكتب المدرسية .

مدرسة المحاسبة

في سنة ١٨٣٦ أنشئت مدرسة للمحاسبة بالسيدة زينب لتخريج كتاب لفروع الجيش والمصالح والدواوين ، وبعد عامين رؤى إلغاؤها والاكتفاء بتدريس المحاسبة لتلاميذ مدرسة الألسن .

ونزع عباس باشا إلى إنشاء قسم خاص لتعليم فن المحاسبة ، قصداً لإزالة تسلط القبط على هذا الفن وجعله تحت يد المسلمين «[1] ففي أوائل حكمه (في جمادى الأولى ١٢٦٥) أمر بإنشاء قسم خاص للمحاسبة بمدرسة الألسن ، واختير له أربعون من تلامذة وأسبرانات وملازمي مدرسة الألسن ليتمرسوا على « علي رجمي افندي » ، ورتبت لهم الأدوات اللازمة ، وكان منهم أغلب تلامذة قسم الفقه[2] . وكان يكتفي في التلميذ الذي يطلب التحاقه بقسم المحاسبة أن يكون « خطه مناسبا ويعرف بعض من الحساب » وعين لهم معلمون جدد[3] . وكان الديوان يتجه في كل شئون المدرسة إلى « محاسبجي مصر » وهو المتحدث على شئون الكتابة والكتاب في مختلف الدواوين والمصالح ، بل كان يرسل إليه التلاميذ الجدد قبل إلحاقهم بالمدرسة .

وعلى الرغم من إلغاء مدرسة الألسن في نوفمبر ١٨٤٩ فقد بقي قسم المحاسبة أو

---

(١) علي باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٥ ج ١٧ ص ٩٥

(٢) دفتر ١٢٨ (مدارس عربي) ص ١٧٥٩ رقم ٥٣٤ إلى مدرسة الألسن في ١٤ جمادى الأولى ١٢٦٥ و ص ١٧٧٢ رقم ٥٤٨ في ١٧ منه .

(٣) دفتر ١٢٩ (مدارس عربي) ص ٢٠٣٩ (عرض) إلى مدرسة الألسن في ٢٢ جمادى الثانية ١٢٦٥ و ص ٢١٦٧ رقم ٤٤١ في ٢٥ شعبان ١٢٦٥

مدرسة المحاسبة قائمة تحت نظارة رفاعة بك ناظر قلم الترجمة بالديوان ، وإن كان رئيسها المباشر هو « علي آفندي رمزي » وهو خريجها ، الذي استقل بإدارتها — بعد رحيل رفاعة — تحت رياسة محاسبجي مصر [1]. وبعد عام كامل تخرج أول فريق من تلامذتها ، وكانوا ستة وثلاثين تلميذاً ، وقدرت لكل منهم في وظيفته الجديدة مائة قرش في الشهر وأوصى بهم (باشكتاب) الدواوين ليوالوهم بعنايتهم [2]

وظل عباس بعد المدرسة بعطفه فأصدر أمره باختيار أربعين تلميذاً ليحلوا محل المتخرجين منها [3]. ولعل من تشجيع الحكومة لهم أن رفعت عنهم ضريبة (الفرده) التي كانت تجبى على جميع الموظفين وذلك « لأجل ترغيبهم في تعلم الكتابة » [4]، ورتبت لهم مرتبات تفوق مرتبات التلامذة في سائر المدارس [5].

على أن (أهواء) عباس المتقلبة لم ترحم المدرسة التي طالما حدَّها في رعايته ، فصدر أمره إلى المالية في ٢٥ ذي القعدة ١٢٦٧ (أغسطس ١٨٥١) — أي بعد عامين من

---

(١) دفتر ١٤٦ (مدارس عربي) ص ١٣٧٧ رقم ٨١٣ إلى ناظر قلم ترجمه في ٢٦ ربيع الأول ١٢٦٦

(٢) دفتر ٢٢١ (مدارس عربي) ص ١٤ رقم ٧ من المالية في ٢٩ ذي القعدة ١٢٦٧

(٣) دفتر ١٦٠ (مدارس عربي) ص ٥٣٤ رقم ٢ من أعتاب كرام إلى الديوان في غرة ربيع الثاني ١٢٦٦

(٤) دفتر ١٦٤ (مدارس عربي) ص ١١٦٩ رقم ٧٨٨ من المالية في ١١ جمادى الثانية ١٢٦٦

(٥) دفتر ١٥٩ (مدارس عربي) ص ٢٢٧ رقم ٨٩٤ إلى الحسابات في ١٨ جمادى الثانية ١٢٦٦

إنشاء المدرسة — بإلغائها وفصل معلميها وتوزيع تلامذتها على المديريات والدواوين [1] .

المكتب العالي

أنشئ المكتب العالي بالخانقاة في يوليه ١٨٣٦ ، لتعليم مماليك الجناب العالي واليتامى والأطفال الآخرين الذين يحظون بالعطف السامي مع أنجال الحضرة الخديوية ، وقد تلقى العلم به من أنجال محمد علي الأميران عبد الحليم بك ومحمد علي بك . ولهذا كان المكتب تابعاً للديوان الخديوي ، ولكن كان لديوان المدارس الإشراف الفني عليه . ثم نظم المكتب ثلاثة أقسام : ابتدائي وتجهيزي وخصوصي ، وقد بلغ من شدة الإقبال عليه أن بلغ عدد تلامذته قبيل انتهاء عصر محمد علي ٦٤٠ تلميذاً [2] .

ضاق عباس بالمكتب العالي كما ضاق بأكثر المؤسسات التعليمية التي أنشئت في حكم محمد علي ، فبدأ بتشريد تلامذته ، أرسل بعضاً منهم إلى المكتب الذي أنشأه لتربية ابنه إلهامي ، ثم أرسل أكثرهم إلى مدرسة الألسن حتى ضاقت بهم فتقرر أن يقضي (سكوات) منهم الليل في بيوتهم ويتوجهوا إلى المدرسة في الصباح [3] . وكانت مدرسة الألسن تحتضر إذ ذاك ، فما لبث هؤلاء التلامذة أن رفت بعضهم ووزع

---

(١) دفتر ٢٢٦ (مدارس عربي) ص ١٤٠ رقم ٧ من رحي بك عاصجي معرفي ٢٨ ذي القعدة ١٢٦٧

(٢) تاريخ التعليم في عصر محمد علي للمؤلف ص ٢٤١ — ٢٤٨

(٣) دفتر ١٢٨ (مدارس عربي) ص ١٧٧٣ رقم ٥٤٧ إلى مدرسة الألسن في ١٧ جمادى الأولى ١٢٦٥

البعض الآخر على المدارس الباقية (١).

وفى لائحة شعبان ١٢٦٥ جعل المكتب العالى « أورطة خاصة وصار ترتيبها بمعرفة الجهادية لا بمعرفة المدارس » (٢). وبذلك أصبح المكتب العالى نواة أورطة أو مدرسة المفروزة. وعلى هذا النحو كانت نهايته — أما بناؤه فى الخانقاه فجعل مستشفى للمرضى (٣).

مدرسـة الطب البيطـرى

رأينا أن عباسا الأول بمجرد توليه الحكم أوحى إليه خلقه القائم على الحذر والشك وقلة ثقته بالمؤسسات التعليمية القائمة بامتحان خريجى هذه المدارس. بدأ بالمهندسين ثم بالأطباء البيطريين، وقام ديوان المدارس على امتحانهم وأرسل إلى المعية بيانا بالناجحين منهم طالبا تعيينهم فى فرق المدفعية والفرسان وفى الأقاليم التى تكثر فيها المواشى، وينصح بإسكانهم فى أماكن مناسبة على أن يقوموا بعلاج دواب الأهالى ومواشيهم المريضة وتتحمل الحكومة جانبا من مرتباتهم، ويكلف المتعهدون والعمد والأهالى بإعطائهم أجورهم فى مقابل علاج دوابهم. أما الأطباء الذين ثبت عدم صلاحيتهم

---

(١) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠١٣ رقم ٢٩٥ إلى مدرسة الألسن فى ٩ جمادى الثانية ١٢٦٥

(٢) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠٥٢ رقم ٦٨ إلى المكتب العالى فى ٥ شعبان ١٢٦٥. وقد ذكر أمين باشا سامى خطأ أن المكتب العالى ألغى فى سبتمبر ١٨٥٢ (التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ٥٢).

(٣) دفتر ٢٩٩ (مـدارس عربى) ص ١٤٤٨ رقم ٥٦١ إلى الجهادية فى ١٠ ربيع الثانى ١٢٧٠.

فقد وافق الديوان على فصلهم[1]. وطبيعي أن الوالي لم يرح إلى نتيجة الامتحان وزادته اعتقادا في فشل المدارس : أساتذتها وخريجيها وتلامذتها . وبدأ الجو متجهما أمام مدرسة الطب البيطري . ولكن الديوان — وكان أدهم باشا مازال مديره — يعمل على انقاذ المدرسة ، فيحاول أن يبرر الحاجة اليها فيذكر للوالي « ان الحاجة ستمس أيضا إلى التلامذة ، كما أن الأساتذة والمدرسين سيستخدمون في تفاتيش المواشي بالمناوبة »[2] .

أما عباس فكان إذ ذاك قد ضاق بالمدارس وإن لم يقر رأيه بعد على إلغائها . فكما شتت المدارس وأرسل بها بعيداً عن نظره في القاهرة — إلى أبي زعبل . كذلك أصدر أمره بنقل مدرسة الطب البيطري من إسطبل شبرا إلى الوجه البحري . وأوفد الديوان بعض كبار الأطباء لزيارة (اسطبلات) الحكومة في الوجه البحري ، فلم يجد في زيارته وشين الكوم محلات عالية ، ورأى « أن اصطبل منوف جامع ومناسب » . فأرسل الديوان إلى المدرسة يأمرها برفت بعض تلامذتها وإلحاقهم جنودا بمدرسة الفرسان وإبقاء تلامذة الفرقة الأولى بشبرا (١١ تلميذا) وترحيل ثلاثة من مدرسيها مع الستة عشر تلميذا الباقين إلى منوف يصحبهم بعض الخيول والموظفين . أما اسطبل شبرا فبقي به بعض الأطباء المدرسين لعلاج الحيوانات المريضة التي تصل إليه ، كما يبقى بالمستشفى البيطري الملحق بالاسطبل بعض الأطباء والموظفين « لنظر القضايا الطبية التي ترد من الجهات »[3] .

---

(١) دفتر ٤٦٣ (معية تركي) ص ٢٧ رقم ٢٥٣ الى المعية في ١٦ ذي الحجة ١٢٦٤

(٢) دفتر ٤٦٦ (معية تركي) رقم ١٨٢ الى المعية في ٢٦ ذي الحجة ١٢٦٤ .

(٣) دفتر ١٢٧ (مدارس عربي) ص ١٢٥٣ رقم ٥١٩ الى مدرسة الطب البيطري في ٥ صفر ١٢٦٥ و ص ١٢٧٢ رقم ٢٦٣ الى مدرسة السواري في ١٢ منه .

وهكذا تشرد أساتذة المدرسة وأطباؤها وتلاميذها [١] ، واقتصرت مدرسة شبرا البيطرية على ستة عشر تلميذا وثلاثة مدرسين وألغى تدريس بعض المواد بها ومنها اللغة الفرنسية [٢] .

وإذا كانت مدرسة الطب البيطرى حقيقة أشد المدارس التى أسسها محمد على حاجة إلى الاصلاح والتعمير فإن نقلها إلى منوف وحرمانها بعض أساتذتها وأطبائها لم يكن السبيل إلى هذا الاصلاح . وكما كان نقل المدرستين الابتدائية والتجهيزية من القاهرة إلى أبى زعبل مقدمة سريعة لالغائهما ، كذلك كان انتقال المدرسة البيطرية إلى منوف إذ لم يمض على الأمر العالى بنقلها إلى الوجه البحرى شهران حتى صدر أمر عباس الأول إلى الكتخدا بالغاء المدرسة وطرد جميع الأطباء البيطريين من خدمة الحكومة واسترداد ماهياتهم ، معللا ذلك بأن « الأطباء البياطرة الذين نشئوا منذ صغرهم وأعدوا للعمل بعد نفقات عظيمة واحتمال كثير من النصب والمشقة كانوا هم السبب الوحيد فى هلاك عدد كبير من الدواب والمواشى بالجفالك وغيرها من الجهات الأميرية ، فضلا عن أنهم أسمنوا الجواد الأحمر المقلاوى الذى أرسله حضرة الشريف إلى حضرة مولانا الأكبر ، كما أن الجواد عيان الأشهب المشهور الذى

---

(١) أنشئت مدرسة الطب البيطرى برشيد فى سنة ١٨٢٨ ثم نقلت بعد ثلاث سنوات إلى أبى زعبل بجوار مدرسة الطب البشرى وفى سنة ١٨٣٧ نقلت مدرسة الطب البيطرى إلى شبرا (انظر عن هذه المدرسة : تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ٣٠٩ — ٣٢٤) .

(٢) دفتر ١٢٨ (مدارس عربى) ص ١٥٩٦ رقم ٩٢٩ إلى مدرسة الطب البيطرى فى ٨ ربيع الأول ١٢٦٥ .

أعداء البنا فيصل قد أصيب بمرض السفاوى لعدم اعتنائهم به ، وقد تبين لنا من فحصه أن لا أمل فى شفائه . . ولم يبق من هؤلاء الأطباء قائمة حتى الآن ، بل إن الحـــاير التى سببوها ظاهرة ظهور الشمس فلا محل لاستخدامهم مفقات باهظة ولا لتحمل خسائرهم من كلا الوجهين »[1] .

وهكذا ألغيت مدرسة الطب البيطرى بدون انتظار للوائح التى كانت تعد للمدارس إذ ذاك ، والتى صدرت فى شعبان ١٢٦٥ وبذلك كانت هذه المدرسة أولى ضحايا سياسة عباس فى التعليم .

المـــدارس الحربيـــة

كانت المدارس الحربية — مدارس المشاة بأبى زعبل والفرسان بالجيزة والمدفعية بطرة تابعة لديوان المدارس منذ إنشائه فى سنة ١٨٣٧ وقد أدت للجيش المصرى خدمات جليلة : إذ قامت — خلال تاريخها الطويل الحافل — على إعداد الضباط لمختلف الأسلحة . وفى أول ولاية عباس باشا ألحقت هذه المدارس بديوان الجهادية من ابتداء ربيع الثانى ١٢٦٥ (فبراير ١٨٤٩)[2] فتهيأت لها بذلك حياة مستقرة منظمة فى ظل الديوان الذى يدير جميع الشئون المتصلة بالجيش وإعداد الضباط له . على أن

(١) دفتر ٤٤٩ (معية تركى) ص ٢٧٢ رقم ٣٧ أمر إلى الكتخدا فى ٢٠ ربيع الآخر ١٢٦٥ .

(٢) دفتر ١٢٨ (مدارس عربى) ١٧١١ رقم (عرض) إلى مدرسة السوارى فى ٢٠ ربيع الثانى ١٢٦٥ وص ١٧٠٤ رقم ٢٤١ إلى مدرسة الطوبجية فى آخر ربيع الثانى ١٢٦٥

رأى الوالى فى كل المؤسسات التعليمية القائمة إذ ذاك لم يكن ما يضمن لها حياة مستقرة، هذا إلى أن فكرة الوالى كانت متجهة إلى تنظيم التعليم العسكرى تنظيما جديداً يجعله وحدة مستقلة تتلقى الطالب منذ صباه حتى تخرجه ضابطا لسلاح من أسلحة جيش المختلفة. وهذا التنظيم الجديد يقوم فيا سمى بالمدرسة المفروزة. لهذا لم تمض شهور على إلحاق المدارس الحربية بالجهادية حتى صدر الأمر العالى فى أوائل سنة ١٢٦٦ (نوفمبر ١٨٤٩) بإلغائها وطرد جميع معلميها واسترداد أوسمتهم (١). وعلى أنقاضها قامت المدرسة المفروزة.

المدرســــة البحــــرية

وكذلك كان مصير المدرسة البحرية بالاسكندرية.

صدر الأمر بإلغائها فى ربيع الثانى سنة ١٢٦٥ (فبراير ١٨٤٩)، وكان عدد تلاميذها إذ ذاك ٢٢٥ تلميذاً أرسل منهم عشرون إلى الجهادية وفصل ١٢٤ منهم. أما الباقون وهم الذين تزيد أعمارهم على عشر سنين فقد أرسلوا إلى مدرسة أنشئت بالأسطول (٢). وأعيد ناظرها — عبد الرحمن أفندى — إلى ديوان المدارس حيث عين «معاون صرور» (٣).

* * *

(١) دفتر ١٦٠ (صادر عربى) ص ٤٨٨ رقم ٣٩١ من الجهادية فى ١٠ المحرم ١٢٦٦، دفتر ٢١٣٣ (مدارس تركى) ص ٥٢ فى ٢٤ المحرم ١٢٦٦

(٢) دفتر ٢١٣١ (مدارس تركى) ص ١٤ رقم ١٠ من ديوان البحرية فى ٤ ربيع الآخر ١٢٦٥.

(٣) دفتر ٢١٣٦ (مدارس تركى) ص ٨٠ رقم ٦٥ إلى المهبة فى ٤ جمادى الأولى ١٢٦٥.

المـــدارس الحربية المفروزة

قلنا إن من القواعد الأساسية التي قام عليها نظام التعليم في عصر عباس جمع المدارس المدنية في مؤسسة واحدة والمدارس الحربية في مؤسسة أخرى ، ولكل منهما أقسام ابتدائية وتجهيزية تعد لها تلامذتها ، فالمهندسخانة والتجهيزية والمبتديان في دار واحدة ببولاق . أما المدارس الحربية فكان لعباس في تكوينها شأن خاص .

كان من جراء اللوائح التي وضعت للتعليم في شعبان ١٢٦٥ (يونيه ١٨٤٩) أن نقص عدد التلاميذ في المدارس إلى درجة كبيرة ثم ألغيت المدارس الحربية وسرح أكثر تلامذتها . ولكن عباسا لا يسعه — والجيش قائم — أن يهمل أمر التعليم العسكري في البلاد ، لا بل إنه ألغى هذه المدارس ليقيم على أنقاضها مدرسة جديدة يختار لها التلاميذ من أفضل العناصر التي احتوتها المدارس المدنية والعسكرية على السواء . وهكذا أنشئت « الأورطة المفروزة » التي سميت بعد ذلك « المدارس الحربية المفروزة » .

طاف رجال الحكومة من كبار الضباط وغيرهم بالمدارس يجمعون صفوة تلاميذها للأورطة الجديدة[1] . فكان من ذلك مزيج من منتدبي طلبة الطب والألسن والمكتب العالي والمهندسخانة والمدارس الحربية ، بل كان منهم من لم يبق على تخرجهم بمدرسة الطب سوى أشهر معدودات فألحق « سيدا عسكريا » لتحصيل العلوم العسكرية بالمدرسة الحربية الجديدة[2] .

---

(١) على باشا مبارك . الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٣ وإسماعيل باشا سرهنك . حقائق الأخبار ... ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٢) من ترجمة سالم باشا سالم بالخطط التوفيقية م ٤ ج ١٤ ص ١٣٦ .

وجمع الطلبة الجدد بالمكتب العالي بالخانقاه ، وذهب عباس يزورهم ويتفقد شئونهم بنفسه ويرى بعينيه هذا الغرس الناشىء الذي يعلق عليه أكبر الآمال ، ويبدو أن عباساً لم يكن يعنيه منهم رجحان العقل بقدر ما كان يعنيه « قوة الجسم وجمال الخلق وتناسب الأعضاء » ، فإذا به يرى من بينهم « من هو أحدب ومن هو على قبح فاحش في الوجه ومن هو نحيف جداً أو مريض » . واستدل من ذلك على « أن معظم هؤلاء التلاميذ ليسوا إلا أولاداً للفلاحين جمعوا وأدخلوا المدرسة بدون نظر لما تقدم » . وعلل عباس رأيه بأنه « لما كان فريق من هؤلاء سيتخرجون ضباطاً وفريق منهم مهندسين وسيكونون بحكم مراكزهم في الحياة موضع أنظار النــــاس واعتبارهم واحترامهم فإنه يجب وضع هذا الأمر موضع الاهتمام ، من الآن لا يرسل تلاميذ إلى تلك المدرسة إلا إذا كانوا على أقل تقدير على جانب من القوة والصحة والجمال والتناسب في الأعضاء »[1] .

وعلى هذا الاعتبار كان يفضل في الالتحاق بها المماليك وأولاد الترك[2] ، بل كان يؤتى لها بتلاميذ من قوله . . وغيرها[3] .

ويظهر أن عناية الوالي بالمفروزة أضفت عليها لوناً براقاً في أعين تلامذة المدارس الأخرى وجعل لها في نفوسهم مكانة خاصة ، فأخذ لفيف منهم يتسللون من مدارسهم ويقصدون إلى المفروزة ملتمسين قبولهم بها ، وضاقت مدرسة المهندسخانة بهذا

---

(١) محفظة ٣ (مدارس) رقم ٢٥٨ ودفتر ٤٦٧ (معية تركي) ص ٢٢ رقم ١١٨ من الجناب العالي إلى مدير ديوان المدارس في ٢٥ جمادى الثانية ١٢٦٥ .

(٢) محفظة ٤ (جهادية) رقم ٦٦ من الجناب العالي إلى مدير الجهادية في ٢ ذي القعدة ١٢٦٥

(٣) محفظة ٣ (معية تركي) رقم ٥٥ من محافظة الإسكندرية إلى المعية في ٥ ذي القعدة ١٢٧٠

وكتبت للديوان أنه « لا يصح توجيههم من تلقاء انفسهم ، وإن سلم لهم فان باقى التلاميذ تنظر لهم » ، وكذلك فعلت مدرسة الطب[1] . ولكن ديوان الجهادية لا يعبأ باحتجاج المدارس[2] .

ونظم التلاميذ نظاماً عسكرياً فدعوا « عساكر » [3] « بالأورطة » ، المفروزة ووضع على رأسهم قائد [4] .

ولكن عباسا لم يرتح إلى مقام المفروزة بالخانقاه مقر بعض المدارس البائدة ، وكان قد شرع يقيم فى صحراء « الحصوة » مدينة جديدة دعاها « لعباسية » ، فأمر بأن ينشأ بها بناء خاص لأورطة المفروزة ، ونقلت إليه فى المحرم ١٢٦٦ (نوفمبر ١٨٤٩) [5]

---

(١) دفتر ١٦٠ (مدارس عربى) ص ٥٦٠ رقم ١٢٨ من الجهادية الى المهندسخانة فى ١٩ المحرم ١٢٦٦ ودفتر ١٩٨ (مدارس عربى) ص ٢٦٧ رقم ١٧٢ الى الجهادية فى ٨ المحرم ١٢٦٧ .

(٢) دفتر ١٦٤ (مدارس عربى) ص ١٣٤٩ رقم ٧٧٩ من الجهادية فى ١٤ رجب ١٢٦٦

(٣) دفتر ١٤١ (مدارس عربى) ص ٢٠٤ رقم ٢٠ الى المهمات فى ١٧ ذى القعدة ١٢٦٥

(٤) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢١٧٨ رقم ١٣٢١ الى تكباشى الأورطة المفروزة بالخانكاه فى ٢٨ شعبان ١٢٦٥

(٥) دفتر ١٤٣ (مدارس عربى) ص ٦٨١ رقم ١٩٦ الى المالية فى ١٤ المحرم ١٢٦٦ ودفتر ١٤٥ (مدارس عربى) ص ١٠٢٢ رقم ٤٣٠ الى الحسابات فى ١٦ صفر ١٢٦٦

بعد إقامة قصيرة بالمكتب العالى بالخانقاه ، وجعلت تابعة لديوان الجهادية[1] .

وقد بلغ من حرص عباس على سرعة نقل تلاميذ المفروزة إلى العباسية أنه نقلهم ولما يتم البناء بعد ، فاضطروا إلى الإقامة فى الخيام ، وثارت عواصف شديدة اقتلعت الخيام وأثارت الرمال والغبار فأصيب أكثر التلامذة بالرمد وأمراض أخرى ، وغضب عباس وأمر بسرعة إتمام بناء الثكنة[2] وكان لها مستشفى خاص[3] .

وقد عاون ديوان المدارس على تنظيمها وإمدادها بما تحتاج إليه فى أول حياتها ، فقد عهد إلى ناظر المهندسخانة ، على بك مبارك ، بأن يختار لها الكتب والمعلمين[4]

---

(١) دفتر ١٥٣ (مدارس عربى) ص ٢٧٤٤ رقم ١٤٣ إلى المعية فى ٨ شعبان ١٢٦٦

(٢) أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٢٩

(٣) دفتر ١٥٦ (مدارس عربى) ص ١٢٤٤ رقم ١١١ إلى عمارات المحروسة فى ١٢ ربيع الأول ١٢٦٦

(٤) وقد اختير لها المعلمون الآتية أسماؤهم .

ساتذة الهندسة : على فرحات ، محمد الحكيم ، محمد اسماعيل ، رجب عبد الفتاح ، محمد ابراهيم البقلى ، حسين العاصى .

أساتذة الرسم : حسين ابراهيم (قد أرسل فى بعثة الفلك مع زميلين من المهندسخانة) وعبد الرحمن على ، مصطفى الجركسى ، ابراهيم الحولى ، حسن طايش .

أحمد ورق (دفتر ٢١٣٢ (مدارس تركى) ص ٦٠ رقم ٤٩ من الديوان إلى قائمقام المفروزة فى ١١ المحرم ١٢٦٦) .

وكذلك اختير للتدريس بها بعض خريجى مدرسة الألسن وهم سليم الحجازى ، أحمد أفندى ، حسن أفندى حسن أغا كتخدا أحمد باشا يكن ، محمد أفندى سعل =

ويرتب دروسها . وكان قائد الأورطة يتجه إلى ديوان المدارس فى كل ما يخص المعلمين وأدوات الدراسة والكتب والمهمات اللازمة للطلبة .

كما أن مدرسى المدرسة كانوا يتجهون إلى ديوان المدارس رافعين إليه شكواهم مما يلقون بالأورطة من قلة المرتبات أو إعراض التلاميذ عن الدرس أو عدم توفر الأدوات والكتب اللازمة .

وكان ديوان المدارس حريصاً على أن يمد المدرسة المفروزة بكل ما تحتاج إليه على وجه السرعة[1] . كما كان يطلب إلى قائدها أن ينبه المعلمين إلى زيادة الجد والاجتهاد فى عملهم ، حتى إذا ظهرت ثمرة عملهم فى الامتحان أنعم الجناب العالى بمضاعفة مرتباتهم[2] . وقد كانت تكون لديوان المدارس الرئاسة (الفنية) على المدرسة : فكان يكتب دائماً إلى قائدها للتشديد على الطلبة والمدرسين بالانتظام فى الدروس « لأجل الحصول على المقصود واكتساب رضى ولى النعم الأصلى »[3] .

وكان الديوان يقوم على طبع ما تحتاج إليه (المفروزة) من الكتب ، سواء بمطبعة المهندسخانة أو بالمطبعة الكبرى .

= حسن أغا الأرنؤودى (دفتر ٢١٣٣ مدارس تركى) ص ٣٤ رقم ٤٤ من الجهادية إلى مدير المدارس فى ٣ محرم ١٢٦٦)

(١) دفتر ١٠٢ (مدارس عربى) ص ٢٤٦٨ رقم ٤٥٦ إلى المهندسخانة فى ١٣ رجب ١٢٦٦

(٢) دفتر ١٠٣ (مدارس عربى) ص ٢٦٥٦ (عروض) إلى الأورطة المفروزة فى ٢٨ رجب ١٢٦٦ .

(٣) دفتر ١٠٣ (مدارس عربى) ص ٢٧١٦ رقم ٢٠٢٥ إلى أمير الاى عساكر مفروزة فى ٣ شعبان ١٢٦٦ .

وعلى الرغم من الصبغة العسكرية التى كانت للمفروزة والنظام العسكرى الذى كان طلبتها يخضعون له فقد كانوا يقرؤون الكتب التى يقرؤها طلبة المدارس الأخرى كجملة الصرف والكفراوى وإنشاء العطار وكتب الهندسة والحساب ويتعلمون لرسم فى أمشق . . . الخ

وقد أدركت الحكومة ذلك فما لبثت أن حولت اسمها إلى « المدارس الحربية المفروزة »[1] ودعيت بهذا الاسم حتى ألغيت فى أول حكم سعيد باشا .

ويظهر أنها قسمت — أسوة بالمهندسخانة — إلى ثلاثة أقسام : قسم ابتدائى وقسم تجهيزى وقسم خصوصى أو عال ، ويعد كل قسم لما يليه . ويتخصص طلبة القسم العالى فى الفنون العسكرية إما مشاة أو فرساناً أو مدفعيين[2]

---

(١) دفتر ١٩٤ (مدارس عربى) ص ١٧٩٩ رقم ١٢٩٣ من المالية فى ٩ شوال ١٢٩٧

(٢) عمطة ٩ (معية تركى) إلى الميدان ٤ ذى الحجة ١٢٦٩ — ويظهر ذلك من الكتب التى كانت تدرس بها ويذهب دن (ص ٢٩٤) إلى هذا الرأى . ويقول أمين باشا سامى (التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ١٥) أنه كان بها قسم ابتدائى وقسم عال . وليس فى الوثائق ما يثبت ما ذكره دن (ص ٢٩٤) من أنها كانت تنظم قسما هندسيا عسكريا ومدنيا معتمدا على أن أمين باشا سامى (التعليم فى مصر ص ١٥) يستعمل تعبير (المفروزة والألسنة) . على أن وثائق ذلك العهد تشير كثيرا إلى « مدرسة الكورجية » أو « مدرسة المهندسين الطلمبية » أو « مدرستى الكورجية والمهندسين » وكان يقبل بها أحيانا تلاميذ من المهندسخانة ؛ ويبدو من هذا أنها كانت تعد مهندسين عسكريين للجيش ولذلك كانت تابعة لديوان الجهادية أو يمكن القول إنها قسم من أقسام الجيش .

وكان يلحق بها أحيانا تلاميذ من المهندسخانة[1] ، وأرسل من تلاميذها في سنة ١٢٦٨هـ بعثة كبيرة مؤلفة من ثمانية عشر عضواً إلى النمسا وبروسيا خصص تسعة منهم لدراسة الطب[2] .

ويشيد « إسماعيل باشا سرهنك » بنجاح المدرسة المفروزة في أوائل حكم عباس الذي « كانت عنايته بهذه المدرسة فوق الحصر فارتقت بها المعارف في أول حكمه . وكثرت بسببها المؤلفات في كل فن وطبعت في المطابع الحجرية . ونبغ منها رجال خدموا المصالح واشتهروا في أعمالهم بحسن الإدارة ومع ذلك لم يطل عمرها فأصابها الإهمال كما أصاب غيرها » [3] .

نظارة المدرسة

يقول أمين باشا سامي[4] إن أول ناظر عين لإدارتها « الأميرالاى إسماعيل بك الكريدلى » حتى نقلت إلى الاسكندرية في آخر سنة ١٨٥٠ فخلفه « الأميرالاى إسماعيل بك سليم » ثم تعاقب عليها آخرون حتى ألغيت في سبتمبر ١٨٦١

أما الوثائق فلا تذكر سوى « اسماعيل بك سليم أميرالاى المفروزة » وقد نقل

(١) دفتر ٢٨١ (مدارس عربى) ص ١٩٤٠ رقم ٢٦٣ من المهندسخانة فى غاية ربيع الثانى ١٢٦٩

(٢) دفتر ٢٣٨ (مدارس عربى) ص ٢٢٣ رقم ٢ الى التجارة فى غرة ذى الحجة ١٢٦٨

(٣) حقائق الأخبار » ج ٢ ص ٢٦٢

(٤) التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ٤٥

فى المحرم ١٢٧٠ (سبتمبر ١٨٥٣) وكيلا لديوان الجهادية ، وكان مديره إذ ذاك الأمير إلهامى باشا نجل عباس الأول[1] ثم أصبح سليم بك بعد أشهر محافظ للاسكندرية[2]. وهو « اسماعيل سليم باشا » أحد الرجال العسكريين الذين اعتمد عليهم سعيد باشا فى تشكيلاته العسكرية الجديدة ، إذ عينه « فريق العساكر السعيدية »[3] ، وهم جند سعيد المفضلون .

أما المدارس الحربية المفروزة فقد عين « أحمد كمال باشا » مديراً لها ، وظل على رأسها حتى أوائل حكم سعيد[4] .

مدرســـة الطب

أهم المدارس العالية فى مصر وأبقاها أثراً وأكثرها إنتاجاً[5] . أنشئت فى أبى زعبل فى سنة ١٨٢٧ ثم نقلت بعد عشر سنين إلى مكانها الحالى بقصر العينى . وقد

---

(١) محفظة ١ (معية تركى) من اسماعيل سليم مدير المدارس الحربية المفروزة الى المعية فى ١٤ ذى الحجة ١٢٦٩ .

(٢) محفظة ٣ (معية تركى) رقم ٥٥ من اسماعيل سليم محافظ الإسكندرية الى المعية فى ٥ ذى القعدة سنة ١٢٧٠ .

(٣) محفظة ١٢ (معية تركى) رقم ١١٢ من اسماعيل سليم فريق العساكر السعيدية الى خازن الخديو فى ٢٧ رمضان ١٢٧٢ .

(٤) محفظة ٤ (معية تركى) رقم ٢٤ من أحمد كمال مدير المدارس الحربية الى كاتب ديوان العالى فى ٦ المحرم ١٢٧١

(٥) انظر عن تاريخ هـــذه المدرسة « تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ٢٥١ — ٢٨٦

أتاحت لها إدارة كلوت بك المتصلة مدى اثنين وعشرين عاما حظاً كبيراً من الاستقرار واطراد التقدم . على أن هذه الإدارة نفسها قد جلبت على المدرسة فى حياة مؤسسها حسد الحاسدين ونقد الناقدين ، كما أن بسببها تعرضت المدرسة — بعد اعتزال مؤسسها — للانهيار . فقد كان الدكتور كلوت قوى الشخصية تخرج على يديه جميع الأطباء فى مصر ممن درسوا بقصر العينى ، ومن تلامذته كان أساتذة المدرسة من المصريين . فكان الطلبة والأساتذة ينظرون اليه كمدير وأستاذ وأب لهم . وليس من شك فى أن اختفاء هذه الشخصية القوية كان له أثره فى اختلال نظام المدرسة وضعف الإدارة وفساد علاقة الطلبة بأساتذتهم وعلاقة المدرسة بالسلطات الحاكمة .

ولو قد أتيح لأحد تلامذته الأطباء ممن درسوا عليه وتشربوا بمبادئه أن يخلفه عن إدارة المدرسة ويتسلم التراث الذى خلفه أستاذه ، لكان من الممكن أن تظل التقاليد التى شيدها كلوت بك طوال إدارته للمدرسة سياجا لها يعصمها من العبث والفساد .

ولكن المدرسة — بعد كلوت بك — حرمت الإدارة الثابتة الموجهة الخبيرة بأحوال البلاد وحاجاتها ، واختلفت عليها ألوان مختلفة من الثقافات : الفرنسية والألمانية والإيطالية ، أما العنصر المصرى فكان قد بدأ يضع قدمه فى عهد إدارة كلوت بك حتى أصبح منه غالب المعلمين فى المدرسة ، وهم الذين درسوا بقصر العينى ثم أتموا الدراسة بفرنسا . كما أن أحدهم وهو محمد الشافعى من أوائل خريجى المدرسة وعضو بعثة الطب فى فرنسا فى سنة ١٨٣٢ أصبح وكيلا للمدرسة منذ سنة ١٨٤٦ ، وكان على إدارتها حين استقال كلوت بك وخرج من مصر فى ابريل ١٨٤٩ [١] ، ثم أصبح

---

(١) دفتر ١٢٦ (مدارس عربى) ص ١٢٨ رقم ٤٤٨ إلى مدرسة الطب البيطرى فى المحرم ١٢٦٥

ناظراً عليها بعد سفر كلوت بك [١] ، وكان الشافعي إذا تغيب عن المدرسة حل محله في إدارتها حتى يعود الدكتور محمد علي (البقلي أفندي) . وقد استمر الدكتور الشافعي ناظراً على المدرسة حتى سنة ١٨٥٣ ، ولكنه كان دائم التغيب عن المدرسة ، فآنا نجده في ركاب الوالي إلى الحج وآنا نجده في الركاب الأصلي [٢] ويبدو أنه كان من ضعف الشخصية بحيث تركه رؤساء شورى الأطباء على اختلاف شخصياتهم ومنازعهم ناظراً على المدرسة طوال حكم عباس . كما أن ديوان المدارس كان كثير الانتقاد لإدارته ، حتى لقد هدده يوما بالعقاب الشديد على أثر ما عمه من كثرة حوادث هروب التلاميذ [٣]

وكذلك كان العنصر المصري متفوقاً بين أعضاء هيئة التدريس بالمدرسة . ويكفي لبيان ذلك أن نثبت فيما يلي أسماء الأطباء المدرسين والمعيدين بالمدرسة :

للجراحة والتشريح : محمد علي البقلي ومحمد عبد السميع ومحمود شباسي وحسن

(١) دفتر ١٥٧ (مـــدارس عربي) ص ٣٤٢٠ رقم ١٢٣٠ إلى الحسابات في ٢٨ شوال ١٢٦٦

(٢) دفتر ١٥٧ (مـــدارس عربي) ص ٣٤٢١ رقم ٣٦٧٩ إلى محمد علي أفندي في ٢٨ شوال ١٢٦٦ ودفتر ١٨٣ (مـــدارس عربي) ص ٣٠٣٠ رقم ٦٤ إلى شورى الأطباء في ١١ شوال ١٢٦٧ ودفتر ٢٠٣ (مدارس عربي) ص ٣٨٣ رقم ٥٠ إلى مدرسة الطب البشري في ١٧ المحرم ١٢٧٠ ودفتر ٣٩٧ (مدارس عربي) ص ٥ رقم ١٣ من شورى الأطباء في ١٨ صفر ١٢٧٠ . وهذه الوثائق تثبت تماما خطأ ما ذكره الدكتور نجيب باشا محفوظ (ص ٩٤) ونقله دن ص ٣٠٠ من أن محمد أفندي الشافعي انفصل عن نظارة المدرسة في سنة ١٨٥٠ .

(٣) دفتر ١٩٩ (مدارس عربي) ص ٥٦٠ رقم ٢٤ إلى مدرســـة الطب البشري في ١٨ ذي الحجة ١٢٦٧

عبد الرحمن (وكان أيضا رئيس أطباء قسم الأمراض الجلدية بالمستشفى).

للفسيولوجيا : مصطفى السواطى.

للاقرباذين : حسين غانم وبدوى سالم وعيسوى النحراوى.

للمادة الطبية : حسين الكفراوى وأحمد حمدى.

الكيمياء والطبيعة : حسين على وصالح على ودرويش زيدان وعيسوى على وموسى حنفى ومحمد الشافعى (وكان أيضا أمين المكتبة ومترجم المواد الطبية).

للصيدلة : حسين الرشيدى ومنصور أحمد وبدوى سالم وسليم حنفى وعلى رياض وحسن الكفراوى ومحمد بدر.

للتاريخ الطبيعى : أحمد ندا وزهران محمد.

للرمد : حسين عوف وحسن منتظر.

مدرسو اللغة الفرنسية: مصطفى رضوان ومحمد هدايت ومحمد الحلوانى (وكان أيضا مترجم مشورة عموم الطب).

مدرس الحساب : حسين حسنى (وكان فى الوقت نفسه أمين صندوق المدرسة).

على أن الإدارة الحقيقية للمدرسة لم تكن لناظرها المصرى أو أعضاء هيئة التدريس المصريين ، فقد كانت هناك مشورة الطب أو شورى الأطباء ، وكانت الهيئة المشرفة على كافة شئون الطب والأطباء فى مصر ، وكانت تابعة لديوان الجهادية ، وكان رئيسها وأكثر أعضائها من الأطباء الأجانب ، وكان لها — بهذه الصفة — الرياسة العليا على مدرسة الطب ، ويعد رئيسها مديرا للمدرسة ، فضلا عن قيامه بإلقاء بعض

الدروس بها . وهذا المنصب هو الذى حرص عليه الأطباء الأجانب واحتفظوا عليه ، وقد تضاءل إلى جانبه منصب الناظر المصرى للمدرســة حتى اقتصر على الشئون لإدارية كملبوسات التلامذة وحساباتهم . أما « تعليمات » التلامذة أو شئونهم الفنية فكانت من اختصاص شورى الأطباء ، وكان الشورى حريصا على سلطته . فكان يحتم أن تجرى المراسلة بشأن مدرسة الطب بين الشورى وديوان المدارس رأسا [١] ، كما حرص على أن لا يقبل تلميذ بالمدرسة أو يفصل منها إلا بعد موافقته [٢] ، وعلى أن يشرف على امتحانات المدرسة وتقديم ما يلزم من المقترحات [٣] . وكان شورى الأطباء يعمل على تقوية العنصر الأجنبي فى هيئة التدريس بالمدرسة ، وقد أدى هذا إلى إبعاد الأساتذة الوطنيين الذين تعرف فيهم قوة الخلق أو يبدون مقاومة لتغلغل النفوذ الأجنبي ؛ وأوضح مثال لذلك أحد الطب المصرى الكبير محمـــد على البقلى (باشا) أستاذ الجراحة بالمدرسة ووكيلها زمنا ما ومن أوائل خريجيها وبعثاتها . كبر عليه أن يعين الطبيب الألمانى راير Reyer أستاذا للجراحة وأن يطالب منه أن يكون مساعدا له . فأبى قبول هذا المركز ورفض أن يسلم إليه أدوات الجراحة إلا إذا

---

(١) دفتر ١٥٨ (مـــدارس عربى) ص ١٤٧ رقم ١٩ من شورى الأطباء فى ٢٩ المحرم ١٢٦٥

(٢) دفتر ١٥٨ (مدارس عربى) ص ١٤٧ رقم ٢١ من شورى الأطبـــاء فى ٢٨ المحرم ١٢٦٥ .

(٣) دفتر ١٥٣ (عربى مدارس) ص٢٥٨٨ رقم ١٠٥ الى شـــورى الأطباء فى ٥ شعبان ١٢٦٦ .

صدر اليه أمر من الوالى (١) . وعلى أثر ذلك صدر الأمر العالى بنقله طبيباً لأحد الأقسام الصحية بالقاهرة (٢) . وقد ورث شورى الأطباء عنه السلطة العظيمة مذ كان كلوت بك يجمع بين رياسة الشورى ونظارة المدرسة ، فلا عجب — مع هذا — إذا عد رؤساء شورى الأطباء النظار أو المديرين الحقيقيين لمدرسة الطب وتحدثت عنهم الكتب بهذا الوصف .

على أثر تولية عباس باشا فى نوفمبر ١٨٤٨ ظهر لكلوت بك بجلاء أن إقامته فى مصر وقيامه بواجبات وظيفته أصبحت مستحيلة . فقد ضرب عباس عرض الحائط بوعود يقول كلوت بك إن محمد على وعده بها . ولا يذكر كلوت تعليلا لذلك سوى أن عباسا شرع منذ توليه الحكم يبعد جميع الرجال الذين كانوا قد تشربوا تقدير محمد على وعطفه وخاصة الفرنسيين منهم ، فطلب كلوت إحالته إلى المعاش ، وصدر بذلك الأمر العالى فى ١٠ ابريل ١٨٤٩ (٣) وقدرت له الحكومة المصرية خدماته مدى خمسة وعشرين عاما للصحة والطب فى مصر فقررت أن يصرف له نصف مرتبه السنوى مدى الحياة وربعه لأولاده الثلاثة من بعده حتى يبلغو

---

(١) دفتر ١٨٦ (مدارس عربى) ص ٩ رقم ٩ من شورى الأطباء فى ١٧ ذى القعدة ١٢٦٦ .

(٢) دفتر ١٨٦ (مدارس عربى) ص ١٦٦ رقم ٧ الى مفتش الصحة بالمحروسة فى ٢٠ ذى الحجة ١٢٦٦ — على أن هذا النقل أفاد الدكتور محمد على البقلى فقد أذاع اسمه بين الناس وصار أكثر الأهالى يأتون اليه وقل الوارد على الاسبتالية واشتهر أمره جدا ، على مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ١١ ص ٨٥ .

(٣) Documents concernant le Dr. Clot Bey. p. 8.

سن الرشد (١) .

ولكن كلوت لا يود أن تمر المسألة فى هدوء ، ولا يود أن يكون فريسة سهلة لخصومه فى مصر ، لهذا عمل على أن يحيط نفسه على أثر عودته إلى بلاده بدعاوة قوية تظهر للملأ مقدار الخدمات التى أداها لمصر ، وكان قد انتهز فرصة زيارة الدكتور Lallemand الأستاذ بمدرسة الطب بمونبلييه لمصر لعلاج إبراهيم باشا وطلب إلى مدير ديوان المدارس أن يدعوه لزيارة المؤسسات الصحية ومدرستى الطب والولادة وامتحان تلامذتهما ووضع تقرير عنهما (٢) .

وأزمع ديوان المدارس أن يقف على أحوال المدرسة التى طالما ثار الجدل حولها ، فاتخذت الضمانات اللازمة لضمان صحة الامتحان وخاصة الدقة والأمانة فى ترجمة أسئلة الامتحان وإجابات الطلبة . وكان الامتحان — وقد عقد فى ديسمبر ١٨٤٨ — حفلا بالشخصيات البارزة ، واقتنع Lallemand بتقدم الطلبة ، وقال إن طلبة فرنسيين — فى مثل ظروفهم — لا يستطيعون أن يصيبوا من التقدم أكثر مما أصاب هؤلاء ، وخاصة إذا راعينا أنهم أخذوا بدون فحص قدرتهم وميولهم ، وقال إنه وجد من بينهم من يعد فخراً لأية كلية . وأشاد بمدح كلوت بك ، وقدم بعض مقترحات لموالاة تقدم المدرسة كزيادة عدد تلامذة المدرسة واقتصار المدرسين على دروسهم وتزويد المكتبة بالكتب الحديثة ومعامل الكيمياء والطبيعة ومتحف التاريخ الطبيعى

---

(١) محفظة ٤ (جهادية) رقم ١٨ من الوالى إلى مدير ديوان الجهادية فى ١٧ جمادى الأولى ١٢٦٥ .

(٢) Documents concernant le Dr. Clot Bey. p. 9.

بالأدوات والمجموعات اللازمة وعدم تخريج تلامذة من المدرسة قبل إكمال دراستهم وزيادة مدة الدراسة والإكثار من بعثات إلى أوربا (١).

على أن هذا التقرير لم يصادف حظه من العناية، بل إن عباسا لم يرتح لما جاء فيه من عبارات المديح لكلوت بك، وتعرضت المدرسة نفسها للالغاء لولا شعور الحكومة بالحاجة إلى أطباء. إذ أنه لما أغلقت المدرسة المفروزة أخذ تلامذة الطب اليها وأقفلت المدرسة أبوابها ثم عاد إليها نحو العشرين من نجباء التلامذة (٢).

ضاق عباس بالأطباء الفرنسيين، كلوت ولالمان وغيرهما، فتحول إلى وجهة أخرى. دعا إليه عباس طبيبه الخاص الألماني برونر بك وطلب إليه أن يضع لمدرسة الطب نظاما جديدا، ويقول كلوت إن الوالي طالب بي برونر أن يقدم إليه تقريرا يعارض فيه ما نشره كلوت، وإن الدافع له لم يكن حقدا شخصيا ولكن رغبة في أن يحل العنصر الألماني في تعليم الطب محل العنصر الفرنسي (٣).

أقبل برونر بك على عمله، فبدأ باستعراض طلبة المدرسة وفصل الذين لا يصلحون وإبقاء الصالحين (٤) ثم وضع نظاما لدروس المدرسة (٥).

---

(١) نشر كلوت بك هذا التقرير على أثر دعوته الى فرنسا بعنوان: L'organisation médicale en Egypte jugée par le Dr. [illegible] ضمن مجموعة عنوانها Relation des phases parcourues par l'Instruction médicale en Egypte sous les gouvernements d'Abbas et de Said Pacha.

(٢) علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية م ٢ ص ٨٨ ج ١١ Artin, L'Instruction Publique en Egypte. p. 89.

(٣) Relation des phases.. p. 360.

(٤) دفتر ١٢٩ (مدارس عربي) ص ١١٩٢ — عروض — الى مدرسة الطب البشري في ٢٧ جمادى الثانية ١٢٦٥

(٥) محفظة ٣ (مدارس) رقم ٢٦٥ أمر الى مدير المدارس في ٢٧ رمضان ١٢٦٥

بدأ « برونر » تقريره بأن الغاية من مدرسة الطب تخريج أطباء ليؤدوا وظائف المساعدين في فرق الجيش والأقاليم والمستشفيات . ومما يلفت النظر في تقريره محاولة واضعه أن يربط ما بين المدرسة وحاجات البلاد ، فيجب أن تكون العلوم والفنون التي تدرس في تلك المدرسة مطابقة في حالها وكيفيتها لطبع البلاد ، « ففي التاريخ الطبيعي تدرس الحيوانات والنباتات والمعادن المصرية وفي دراسة الأمراض تبذل العناية لتدريس أمراض المناطق الحارة وخاصة المتوطنة في مصر الخ . ومن الأمور البارزة في التقرير مناداته بضرورة تقديم العمل على العلم لهذا يجب العناية بمعامل الطبيعة والكيمياء ، ومتحف التاريخ الطبيعي وحديقة النباتات ومكتبة المدرسة وقاعات التشريح ، ويجب أن لا يقتصر الطلبة على الدراسة بقاعات المدرسة بل يخرجون من وقت لآخر لمشاهدة ما يلزم مشاهدته ولتطبيق العلم على العمل ، كما يجب أن يقتصروا في دراسة العلوم النظرية على الضروري منها من غير الدخول في التفصيلات .

وأشار التقرير إلى ضرورة الرجوع إلى الكتب الأجنبية في علوم الطب ، لهذا ينبغي أن يكون الطلبة على علم بإحدى اللغات الأوربية . واعترف الطبيب الألماني بأن اللغة السائدة في مصر إذ ذاك هي اللغة الفرنسية . وقد جرت العادة تدريسها في المدارس المصرية . لهذا وجب أن تدرس في جميع فرق المدرسة ، وأن يتمكن منها الطلبة المبعوثون إلى أوربا . وعزم عباس أن يعهد إلى أطباء من الألمان بالإشراف على تنفيذ مقترحات طبيبه الألماني « برنر » ، فاستدعى من ألمانيا الدكتور Wilhelm Griesinger أستاذ الباثولوجيا في جامعة كيل ليخلف كلوت بك رئيسا لشورى الأطباء ، ومديرا لمستشفى قصر العيني وطبيبا خاصا للوالي . وأقبل جريزنجر على عمله الجديد مؤملا أن يكشف عن أمراض هذه البلاد (المجهولة) ،

ووصل إلى القاهرة فى يونيه ١٨٥٠ يصحبه تلميذه السابق دكتور تيودور بلهارز Theodor Bilharz كمساعد له ودكتور راير Rayer الجراح ليعمل معه فى المستشفى والمدرسة.

ولكن سرعان ما وجد جريزنجر عمله محوطا بالمتاعب، فزياراته للوالى فى الصحراء مضيعة للوقت، واجتماعات مجلس الصحة (شورى الأطباء) لا طائل منها، ووزير الحربية يهدد المدرسين المصريين بالعصا فى حضوره، وتلامذته — وقد أخذ أكثرهم ذكاء للجيش — راغبون عن التعليم، والمترجم الذى ينقل دروسه من الفرنسية إلى العربية جاهل الخ.

ولم يلبث جريزنجر أن ترك مصر فى مايو ١٨٥٢ عند انتهاء عقد استخدامه وكان لمدة عامين، ولكنه كان قد أقبل على دراسة عادات الأهالى وأمراضهم، وقد حاضر فى فينا وويزبادن — بعد عودته من مصر — فى الأمراض المصرية. وفى سنة ١٨٥٣ — ١٨٥٤ نشر مكتشفاته عنها ومنها الانكلستوما. وقد أصبح جريزنجر أستاذا للطب فى جامعة برلين ومرجعا هاما فى علم النفس [١].

أما تيودور بلهارز — وكان قد تخرج فى جامعة فرايبورج فى ١٨٤٩ — فقد عمل فى قصر العينى مساعدا لجريزنجر ثم كان أستاذا مساعدا للجراحة ثم أستاذ للطب، وفى سنة ١٨٥٦ أصبح أستاذا للتشريح الوصفى (Descriptive Anatomy). وفى سنة ١٨٦٢ صحب دوق جوتا إلى مصوع حيث أصيب بحمى التيفويد ومات

---

(١) Sandwith The History of Kasr El Ainy (Records of the Egyptian Government. School of Medicine) p. 47.

سا في القاهرة في ٩ مايو ١٨٦٢ [١] بعد أن أعلن اكتشافه ديدان المرض الذي سمي باسمه.

أما الدكتور رايز فقد أتى إلى القاهرة في ١٨٥٠ مع جريزنجر وخلفه بعد عامين مديرا لقصر العيني وطبيبا خاصا للوالي [٢]. ولما تولى سعيد باشا في ١٨٥٤ نفيه في مدرسة المهندسين وأضيف اليهما رياسة مجلس الصحة. وقد ترك رايز مصر في سنة ١٨٦٠ وقد نشر بحوثه عن بعض الأمراض المصرية [٣].

أما رياسة شورى الأطباء (أو مجلس الصحة) فقد عهد بها بالوكالة — بعد رحيل جريزنجر في ١٨٥٢ — إلى طبيب ألماني آخر هو الدكتور لاوتر (Lautner) [٤] وكان قبل ذلك يقوم على معلما بمدرسة الطب بناء على اقتراح لجنة امتحان المدرسة [٥]. فكان هذا بدأ صلة لاوتر بخدمة الحكومة المصرية، وقد استمرت هذه الصلة إلى حكم إسماعيل وانفصمت على أثر حادث مريب.

ولم يمض على ذلك سوى عام واحد، ولم يفسح مزاج عباس القلق المجال

---

(١) Franz Pacha, Notice Necrologique (Bull. de l' Inst. Egyptien 1896, p. 41.

(٢) دفتر ٢١٦ (مدارس عربي) ص ٢٨٨٩ رقم ٣٣٥ الى مدرسة الطب في ٥ شوال ١٢٦٨ و Mahfouz Pacha. Medical Instruction p. 40

(٣) Rev. d' Egypte, Feb. 1896 p. 574.

(٤) دفتر ٢٧٨ (مدارس عربي) ص ٢٢-١ رقم ٣٨٧ من الجهادية في ٤ ربيع الاول ١٢٦٩

(٥) دفتر ٢١٤١ (مدارس تركي) ص ٢٠٣ رقم ٢٧ في ١٩ ذي القعدة ١٢٦٨

للأطباء الألمان أكثر من قبل . فما لبث أن لحق بالأساتذة الألمان فقرر في سنة ١٨٥٤ — وكان الدكتور لاوتنر رفيقاً بمعية الأمير إلهامي باشا في أوربا [١] أن يتجه وجهة أخرى . وقد أشار عليه أحد التجار الإيطاليين المقربين إليه ويدعى « Petrucchi » بأن يتجه نحو عاصمة توسكانيا وفيها كلية للطب ذات شهرة ذائعة . فعهد إليه عباس بأن يختار من أساتذة طوسكانة طبيبين ممتازين يتعاقد معهم على العمل في مصر . وعين الدكتور « Raggi » طبيباً خاصاً للوالي والدكتور « Ranzi » رئيساً لشورى الأطباء ومدرسة الطب ، وعهد إليهما بتدريس بعض فروع الطب في المدرســـة . وكان ذلك قبل موت عباس بشهور ثلاثة . ولم يستطع الأول أن يبقى طويلاً بمصر فرحل عنها ، وبقي رازى مقبلاً على العمل [٢] . ووضع هو الآخر نظاماً جديداً . فقد قيل إنه طلب إليه في عقد استخدامه أن ينظم مدرسة الطب بالقاهرة على مثال مدرسة طوسكانة [٣] . وقد انعقدت بين رازى وكلوت صلات الود : فقد أعلن رازى في افتتاح المدرسة عرفان مصر للخدمات التي أداها كلوت بك ، واعترف بأن النظام الذي وضعه للمؤسسات الطبية هو خير ما يمكن تطبيقه . وعلى أثر ذلك تبودلت خطابات الود بين الزميلين . وقال رازى في آخر خطاباته للمؤسس الأول للمدرسة : « سأحاول أن أحتفظ بالنار المقدسة التي أشعلتها في هذه البلاد » [٤] .

(١) محفظة ٥ (معية تركي) رقم ٢٨١ من مدير المدارس إلى كاتب الديوان الخديو في ٤ المحرم ١٢٧١

(٢) ودفتر ٣١٩ (مدارس عربي) ص ٥٧٤ رقم ٢٧ في ٥ رجب ١٢٧٠ ; Relation des phases ... p. 7-8.

(٣) Relation des phases ... p. 17.

(٤) Ibid, p. 8-10.

وظل رازى فى رياسة شورى الأطباء ومدرسة الطب حتى تولى سعيد باشا فى يوليه ١٨٥٤ وعاد كلوت بك إلى مصر فقدم رازى استقالته ، ولم يكن قد مضى عليه فى مصر سوى عام واحد ، ووضع العمل بين يدى كلوت بك [١]

وهكذا تناوب على رياسة شورى الأطباء وإدارة المدرسة أربعة أطباء فى مدى أربعة أعوام (من ١٨٥٠ إلى ١٨٥٤) كما اختلفت عليها الثقافة الألمانية ثم الثقافة الإيطالية ، واضطربت المدرسة بين نظم مختلفة توضع لتنقض ، وعاشت مدرسة الطب فى حكم عباس متعثرة لا تكاد تستقر على نظام حتى تخضع لنظام آخر .

هذا إلى أن المراجع العليا — من ديوان المدارس إلى الوالى نفسه — لم تكن تمنح المدرسة الرعاية اللازمة بل كانت تضيق عليها باستمرار . فالمعلمون ينقلون من المدرسة ولا يؤتى بمن يقوم على دروسهم ، والمعيدون يقضون سنوات طويلة من غير ترقية فتفتر همتهم ، ويرى الديوان أن المعيدين لا ضرورة لهم وأن المصححين يثقلون ميزانية المدرسة من غير عمل يقومون به ، والمكتبة فقيرة وحديقة النباتات تهدم ، وتشريح الجثث يؤذى الشعور فلا يجب الاقدام عليه إلا لعذر الخ . والحق أن لجان الامتحان — وأغلب أعضائها هم أعضاء شورى الأطباء — لم تقصر فى الشكوى من هذه الحال : فتقاريرها السنوية عن امتحانات المدرسة [٢]

---

(١) Ibid, p. 14-15.

(٢) انظر تقارير الامتحان السنوية فى : دفتر ٢١٣٥ (مدارس تركى) ص ١٤ رقم ٣ فى ٨ ذى الحجة ١٢٦٦ ودفتر ٢١٣٨ (مدارس تركى) ص ٢٥٤ رقم ٣٥ فى غرة ذى القعدة ١٢٦٧ ودفتر ٢١٤١ (مدارس تركى) ص ٢٠٣ رقم ٢٧ فى ١٩ ذى القعدة ١٢٦٨ ومحفظة ١ (معية تركى) رقم ١٧٩ ودفتر ٢١٤٥ (مدارس تركى) ص ٢٩ رقم ٢ فى ٢٩ صفر ١٢٧٠ ودفتر ٢١٤٩ (مدارس تركى) ص ٤٧ رقم ٨٩ فى ٢١ صفر ١٢٧١ .

تقضى بالتوصية على ترقية المعلمين وتعيين المعيدين وتعزيز المكتبة .. الخ . ولكن السياسة العليا كانت تحرص على الاقتصاد فرفض ديوان المدارس أن يضع ميزانية خاصة بالمدرسة « إذ أن إدارة المدارس من اختصاص الديوان ، وطلبات المدرسة لا تزال تصرف فى حينها بفضل الخديو الأعظم فلا تعاق صرفها بوجه من الوجوه »[1] .

وهكذا ضعف نشاط المدرسة العلمى ، وركدت حركة الترجمة التى أمدت المكتبة العربية فى عصر محمد على بمئات الكتب المعربة والمؤلفة فى مختلف فروع الطب ولم نسمع عن عهد عباس الأول سوى الفراغ من وضع قاموس الطب واختلاف الأطباء فى أمر طبعه[2] ، حتى أزمع الديوان فصل مصححى المدرسة « لعدم الإسراف على الميرى فى صرف شىء من غير لزوم »[3] . وكذلك أصبحت

(١) دفتر ٢١٣٥ (مدارس تركى) ص ١٤ رقم ٣٠ من الديوان إلى المركب العالى فى ٨ ذى الحجة ١٢٦٦

(٢) دفتر ٢٠٨ (مدارس عربى) ص ٢٢٦٠ رقم ٢٣٦ إلى الطب البشرى فى ١٤ جمادى الثانية ١٢٦٨

(٣) دفتر ٢٠٤ (مدارس عربى) ص ١٥٨١ رقم ٥١ إلى شورى الأطباء فى ٤ جمادى الثانية ١٢٦٨ وكان باشمصحح المدرسة الشيخ محمد الشودى ، والمصححون الشيخ محمد هلال وكان يعطى دروسا فى العربية ، والشيخ سالم عوض ثم أحيل إلى المعاش وعين بدله الشيخ على محمود الدقى ، ثم الشيخ محمد الحرمى ، ثم الشيخ أحمد عنانى ، ثم استغنى عن المصححين جميعا واكتفى بمصحح واحد ليقوم بالتصحيح ويلقى دروس اللغة العربية بمدرسة الطب ومدرسة الولادة . انظر دفتر ٢٠٨ (مدارس عربى) ص ٢٢٥٦ رقم ٢٥٨ إلى ...

« الوقائع الطبية » التى كانت المدرسة تقوم على وضعها ونشرها بين الأطباء [1] .

أما المستوى العددى لطلبة المدرسة فلم يكن مما يطمأن اليه : كان بالمدرسة لما زارها الدكتور لالمان وامتحن تلامذتها فى أواخر سنة ١٨٤٨ — أى فى أوائل حكم عباس باشا — ١١٧ تلميذاً . ولما أنشئت مدرسة المفروزة واختير لها أفضل تلاميذ المدارس نقل اليها تلاميذ مدرسة الطب ، ثم أعيد اليها ما كان بها — نحو العشرين تلميذا ، وهم نواة مدرسة الطب فى عهد عباس . ثم صدر الأمر با كمالها إلى ستين تلميذا ، وأخذ الطلبة المطلوبون من المكتب العالى إلى مدرسة الألسن [2] . وقد أشارت لجنة الامتحان فى سنة ١٢٦٦ (١٨٤٩ — ١٨٥٠) بزيادة عدد تلامذة المدرسة إلى ١٢٠ تلميذا ، ولكن عباسا وافق على إبلاغهم إلى تسعين فقط [3] . وظلت المدرسة محتفظة بهذا العدد طوال حكم عباس والحق أنه لم يكن من الحكمة التوسع فى زيادة عدد تلامذة المدرسة فى الظروف التى كان يجتازها التعليم

= مدرسة الطب فى ٢٧ جمادى الثانية ١٢٦٨ ، دفتر ٢٢٨ (مدارس عربى) ص ١٤٨٢ رقم ٢١٨ من مدرسة الطب فى ٢٠ جمادى الثانية ١٢٦٨ ، دفتر ٢٢٦ (مدارس عربى) ص ١٢٢٦ رقم ٧٥ من مشورة الطب فى ٨ جمادى الثانية ١٢٦٨

(١) دفتر ١٥١ (مدارس عربى) ص ١٢٧ رقم ٢٧ من شورى الأطباء فى ٨ ذى الحجة ١٢٦٥

(٢) دفتر ١٢٨ (مدارس عربى) ص ١٧٣٥ رقم ٥٩ إلى المكتب العالى فى ١٢ ربيع الثانى ودفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٣٠٣٦ رقم ٦٢١ الى مدرسة الألسن فى ٢٢ جمادى الثانية ١٢٦٥

(٣) دفتر ٤٧٥ (معية تركى) رقم ٢٥ من الجناب العالى الى مدير المدارس فى ٢٥ ذى الحجة ١٢٦٦

فى مصر فى ذلك الوقت : فقد كان من الصعوبة بمكان أن تحصل المدرسة على كفايتها من التلاميذ الذين أعدوا إعدادا عنياً يؤهلهم لتلقى دروس الطب ، ذلك لأن المدرسة التجهيزية — وهى المعهد الوحيـــد الذى كان يقوم على إمداد المدارس الخصوصية بحاجتها من التلاميذ فى أوائل عصر عباس — كانت قد ألغيت فى الوقت الذى كانت فرقها الدراسية قد تمت وبدأت المدرسة تؤتى أكلها من التلاميذ الذين أتموا الدراسة التجهيزية ، وأنشىء بدلها قسم تجهيزى بمدرسة المهندسخانة لا يستطيع أن يخرج تلامذته إلا بعد مضى سنوات أربع . وقد بلغ من حاجة مدرسة الطب أن لجأت إلى قبول طلبة كل زادهم من العلم معرفة القراءة والكتابة وقليل من الحساب [1] . واجهت لجان الامتحان هذه المشكلة فلم تر لها حلا سوى قبول « أذكياء التجهيزية والمكاتب الأهلية وسائر الراغبين » [2] . وعادت مدرسة الطب فى سنة ١٨٤٩ بعد ما فعلته أول إنشائها فى سنة ١٨٢٧ : عادت إلى قبول تلاميذ من الأزهر والمكاتب بالقاهرة والأقاليم .

وكتب إلى شيخ الأزهر بذلك [3] . ولكن شورى الأطباء لا يرتاح إلى هؤلاء الطلبة فى علومهم وسلوكهم ، فكان دائم الشكوى منهم ، يفصل البعض منهم ويرفض

---

(١) دفتر ١٤٣ (مدارس عربى) ص ٩٠٥ رقم ١٢ من مشورة الطب فى ٩١ المحرم ١٢٦٦

(٢) دفتر ٢١٣٥ (مـــدارس تركى) ص ١٤ رقم ٣ الى الموكب العالى فى ٨ ذى الحجة ١٢٦٦

(٣) محفظة ٤ (مـــدارس) رقم ٧٩ الى مدير المدارس فى ٢٣ المحرم ١٢٦٧ ودفتر ١٧٣ (مدارس عربى) ص ٩٩٩ رقم ٧٠٠ إلى شيخ الجامع الأزهر فى ٨ صفر ١٢٦٧

الصعيد الأحمر عشجاً ، بأن الفلاحين لا يصلحون تلامذة بمدرسة الطب ، ! لهذا كان لا يقبل أحداً منهم إلا بعد امتحانه وبقائه في المدرسة خمسة عشر يوما على سبيل التجربة ، فإن أثبت صلاحيته قبل نهائيا بالمدرسة وإلا أعيد إلى بلده [1] .

وضاقت المدرسة بهم ، فطلبت (رخصا) لتأديبهم [2] ، وكثرت حوادث هروبهم من المدرسة [3] ، حتى إذا أمضوا عاما بالمدرسة فصل لبعضهم من لم تر لجنة الامتحان فيهم قابلية أو قدرة لمتابعة دروس الطب .

وألحت شكوى الشورى ، فصدر أمر أوال بالانصراف عن تلامذة الأزهر والمكاتب والاقتصار على قبول تلامذة التجهيزية [4] ولكن المدرسة كانت تلقى أكبر الصعاب في العثور على تلاميذ من التجهيزية يليقون لها ، حتى أنها ظلت تقبل تلاميذ من الخارج لا يمتاز أحدهم بشيء سوى «كونه يعرف يقرى ويكتب المصروع» [5] فما نعجب إذا كانت المدرسة تشكو من أن تلامذة الفرقة الخامسة — أي السنة

---

(١) دفتر ١٨٧ (مدارس عربي) ص ٣٥٨ رقم ٥٠ من شورى الأطباء في ٤ صفر ١٢٦٧

(٢) دفتر ١٩٠ (مدارس عربي) ص ٨٦٠ رقم ٢٢٧ من مدرسة الطب في ١١ ربيع الثاني ١٢٦٧

(٣) دفتر ١٩٩ (مدارس عربي) ص ٥٦٠ رقم ٣٤ الى مدرسة الطب البشري في ١٨ ذي الحجة ١٢٦٧

(٤) دفتر ١٩٤ (مدارس عربي) ص ١٦٩٢ رقم ١٢٥ من شورى الأطباء في ٩ شوال ١٢٦٧

(٥) دفتر ٢٨٧ (مدارس عربي) ص ٢٩٤٣ رقم ٥٣ من شورى الأطباء في ٢٤ ذي الحجة ١٢٦٩

الأولى — لم يتموا «عــلوم المبتديان» (١)، وأنه «فى الزمن السابق كانت التلامذة تحضر من مدرسة التجهيزية متعلمة الحساب والآن صارت لتلامذة التى تدخل لا سيم الحساب وتعليمه ضرورى» (٢). لهذا اضطرت المدرسة إلى أن تبدأ بتعليم تلامذتها ما كان يجب أن يتعلموه فى التجهيزية كالحساب واللغتين العربية والفرنسية والطبيعة والكيمياء الخ. وقصر الاهتمام فى تدريسهم علوم الطب على المبادئ العامة دون الدخول فى التفصيلات. وفاضت تقارير الامتحان بالشكوى من ضعف التلاميذ ونقص خبرتهم العملية واقتصارهم على حفظ كلمات وعبارات عن ظهر قلب دون تصور أو تعقل. هذا كله لا يسعنا إلا أن نحكم بأن إنتاج المدرسة — وكانت تخرج نحو عشرة أطباء فى كل عام — كان قليلا، وأن كفاءة الأساتذة الألمان أو الإيطاليين لم تستطع أن تعوض النقص الكبير الذى لحظناه فى تلاميذ مدرسة الطب.

مدرســـة الولادة

أنشئت مدرسة الولادة (٣) بمستشفى أبى زعبل فى سنة ١٨٣٢، وكانت نواتها الأولى أربعين وعشراً من الجوارى. ونجحت التجربة نجاحا شجع الحكومة على أن تزيد عدد تلميذات المدرسة حتى وصل فى أواخر عصر محمد على إلى ستين تلميذة جلبن من

(١) دفتر ١٦٤ (مدارس عربى) ص ١٣٤٣ رقم ١٦٨ من شورى الأطباء فى ١٧ رجب ١٢٦٦

(٢) دفتر ٢٣٩ (مدارس عربى) ص ٢٩٦ رقم ٩٥ من مدرسة الطب البشرى فى ٢٧ محرم ١٢٧١

(٣) انظر عن تاريخ مدرسة الولادة فى عصر محمد على: تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ٢٩٤ — ٣٠٩

المصريات الفقيرات اللاتى لا عائل لهن أو من بنات الجند ، ولم يكن يشترط فيهن معرفة القراءة والكتابة ، بل كان يكفى أن يكن أبكارا تتراوح أعمارهن بين الثانية عشرة والثالثة عشرة حسنات السير والسلوك .

ولما نقلت مدرسة الطب إلى قصر العينى فى سنة ١٨٣٧ نقلت إليه مدرسة الولادة أيضا ، ثم نقلت بعد أشهر إلى المستشفى الملكى الذى أنشئ فى الأزبكية (١)

وكانت مدرسة الولادة إحدى المدارس القليلة التى احتفظ بها عباس باشا .

وقد عمل شورى الأطباء على تدعيم المدرسة والتمكين لها فى حياة البلاد رغم المعارضة المستمرة التى كانت تلقاها مقترحاته من ديوان المدارس الذى وقف بانيا عما كان يدعوه « تقاليد البلاد » .

وجد شورى الأطباء أن طالبات المدرسة لا يتاح لهن فرصة المران على التوليد ، فقد مضت سنتان لم تؤم مستشفى النساء للوضع سوى ثلاث حوامل . فاقترح شورى لعلاج هذا النقص إجراءا متبعا فى بعض الدول الأوربية ، وهو أن تبث الدعوة بين النساء الفقيرات حتى إذا قرب وضعهن سعين إلى المستشفى فوضعن فيه حملهن ، ولكل منهن ثلاثون قرشا ولطفلها ملابس بإثنى عشر قرشا مساعدة لهن وتشجيعا لغيرهن . وبذا تستطيع التلميذات تحت إشراف معلماتهن الطبيبات أن يقمن بعمليات التوليد ، ويستطيع المستشفى فى الوقت نفسه أن يختار من بين هؤلاء النساء من يحتاج إليه من

---

(١) وقد رؤى فى سنة ١٨٥٠ نقل مستشفى النساء ومدرسة الولادة من المستشفى الملكى بالأزبكية إلى مستشفى قصر العينى ثم صدر الأمر العالى بذلك بعد ثلاث سنوات ولكن الأمر لم ينفذ لاعتراض شورى الأطباء — دفتر ٢١٢ (مدارس تركى) ص ١٠٤ رقم ٧٥ إلى مفتش المدارس فى ٦ ربيع الأول ١٢٦٦ ومحفظة (معية تركى) رقم ٧٥ إلى كاتب الديوان الخديوى فى ٢٨ صفر ١٢٧٠ .

المراضع [1] . ولكن الديوان يحتج آنا بأن هذا الإجراء لا ينجح فى مصر لأن «حريمات هذه الديار لا تماثل حريمات أوربا» ، فهن لم يعتدن هذا ولا يرضى أن يراهن أحد وقت الوضع ، بل يفضلن أن يبقين فى بيوتهن حتى يخدمهن أمهرهن فى حالتى الوضع والنفاس . ويحتج أحيانا أخرى بأن هذا الإجراء يقتضى الحكومة نفقات لا قبل لها بها . واقترح الديوان أنه كلما دعيت معلمة بالمدرسة إلى توليد إحدى النساء فى بيتها صحبتها بعض التلميذات لمساعدتها والإفادة مما يرين [2] .

ولكن شورى الأطباء لا يسلم بهذا ، ويرفع الأمر إلى مجلس الأحكام ليرى رأيه فى ما يتطلبه هذا الأمر من النفقات التى تزيد على الميزانية المقررة [3] . فرفض مجلس الأحكام واكتفى بالكتابة إلى «الضابطخانه» بأن ينبه على مشايخ الحارات بأن من قرب وضعها من النساء الفقيرات ترسل إلى المستشفى ليعد لها طبيبة وتليده أو تليد تين ، لرؤية ما يلزم رؤيته وعمل الاكتساب » [4] .

ثم رؤى — إزاء إلحاح شورى الأطباء — أن يؤتى بالحوامل الفقيرات طبقاً لرغبتهن إلى المستشفى ، فيصرف عليهن بإشراف طبيباته وتلميذاته وينفق عليهن بالمستشفى أسوة بسائر المرضى ، أما مصاريف العود والكسى فيتحمل الحكومة مصاريف جديدة

---

(١) دفتر ١٥٨ (مدارس عربى) ص ١٤٧ رقم ٣٥ من شورى الأطباء فى ٩ المحرم ١٢٦٥

(٢) دفتر ١٤١ (مدارس عربى) ص ٣٤٣ رقم ١١ الى شورى الأطباء فى ١٩ ذى الحجة ١٢٦٥ .

(٣) دفتر ١٤٣ (مدارس عربى) ص ٦٠٦ رقم ٥٧ الى مجلس الأحكام فى ١٢ المحرم ١٢٦٦

(٤) دفتر ١٤٣ (مدارس عربى) ص ٧٦٣ رقم ٢٤ الى الضابطخانه فى ٢٤ المحرم ١٢٦٦

لاتتبعها [١] .

على أن شورى الأطباء لم ييأس من حمل الحكومة على تعديل قرارها . وستفاضت تقارير امتحان المدرسة بالدعوة إلى هذا الاجراء . وأخيرا استقر الرأى على أن جلب الحوامل إلى المستشفى منوط برغبتهن ، وينفق فيه على نفقة الحكومة ، وعند خروجهن منه تمنح كل واحدة منهن لباسا وقميصا [٢] . ووقف الأمر عند هذا الحد .

واقترح شورى الأطباء — تدعيما للمدرسة وإفساحا لمجال العمل أمام خريجاتها — أن تقيد المولدات القائمات بالعمل فى دفتر خاص ، ولا يسمح لغيرهن بمزاولة مهنتهن إلا إذا تخرجت فى مدرسة الولادة وحازت منها على شهادة خاصة . وفوائد ذلك كثيرة منها : أن يقل عدد المولدات الجاهلات اللاتى لم يتلقين مهنتهن فى مدرسة ما ، وأن تعتاد النساء الحوامل على تلميذات المدرسة اللاتى يعلمن أن مستقبلهن أصبح مكفولا فيقبلن على التعليم [٣] .

ولكن ديوان المدارس رفض هذا الإجراء ، محتجا بأن العادة جرت بأنه كلما ذهبت مولدة لزيارة حامل صحبتها بنتها أو أختها أو خادمتها ، ومن تكرار النظر تتعلم مهنة التوليد ولا يستطيع أحد أن يمنعها من ذلك . ومنع القوابل الجهلا لا يكون إلا بشهرة التلامذة فى المعلوم أنه كلما تشتهر التلامذة وأهالى البلد تأخذ عليهم

---

(١) دفتر ١٤٥ (مدارس عربى) ص ٩٩ رقم ٤٦ الى شورى الاطباء فى غرة ربيع الاول ١٢٦٦ .

(٢) دفتر ٢١٤١ (مدارس تركى) ص ٢٠٣ رقم ٢٧ فى ١٩ ذى القعدة ١٢٦٨ — من تقرير امتحان سنة ١٢٦٨

(٣) دفتر ١٥٨ (مدارس عربى) ص ١٤٧ رقم ٢٦ من شورى الأطباء فى ٩ المحرم ١٢٦٥ و ص ١٩٠ رقم ٤٣ فى ٢٨ المحرم ١٢٦٥

فالضرورة يمتنع الآخرون شيء فشيء »(1) .

وقد نقص عدد تلميذات المدرسة حتى أصبح المرتب لها ثلاثين تلميذة (2) . واحتفظت المدرسة بهذا العدد طوال عصر عباس ، ورفض الديوان الموافقة على اقتراح لجنة امتحان المدرسة في سنة ١٢٦٦ رفع عدد التلميذات إلى أربعين (3) . وما كان يسيرا أن تجد المدرسة كفايتها من التلميذات في وقت وجيز لأنهن لا يؤخذن لها « من جهة معلومة » ، بل جرت العادة بأن كل من يتقدم منها أهلها لخدمت طبياً بالديوان فإن وجدت صالحة ألحقت بالمدرسة (4) ، وكان يختار لها أحيانا من البنات اللاتي تقوم الحكومة بتربيتهن في تكية الفقراء بطيلون (5) وكان شورى الأطباء يصطنع الدقة في اختيار تلميذات المدرسة ، فكان يرفض البعض منهن ويقبل البعض الآخر « على قبول التجربة » (6) .

---

(1) دفتر ١٤٢ (صادر مدارس عربى) ص ٤٠٤ رقم ١٣ الى شورى الأطباء في ١٩ ذى الحجة ١٢٦٥

(2) دفتر ١٢٨ (صادر مدارس عربى) ص ١٩٠ رقم ٣٩ من شورى الأطباء في ٢٧ المحرم ١٢٦٥

(3) دفتر ٢١٣٥ (صادر مدارس تركى) ص ١٤ رقم ٣ الى الموكب العالى في ٨ ذى الحجة ١٢٦٦

(4) دفتر ١٤٢ (صادر مدارس عربى) ص ٥٣٢ رقم ١٩ الى شورى الأطباء في ٤ المحرم ١٢٦٦

(5) دفتر ١٧٣ (صادر مدارس عربى) ص ٩٤٠ رقم ٩٥٥ الى الاسبتالية الملكية في ٣ صفر ١٢٦٧

(6) دفتر ١٨٧ (صادر مدارس عربى) ص ٣٠٨ رقم ٤٦ من شورى الأطباء في ٣ صفر ١٢٦٧

وكان عدد من تخرجه المدرسة من الطبيبات يتراوح بين أربع وست فى كل عام، وكن يعملن طبيبات بأقسام القاهرة والأقاليم ومعيدات بالمدرسة . وكانت الطبيبة تمنح حين تخرجها رتبة « أسبيران ثان » ومرتبا قدره مائة قرش فى الشهر عدا بدل التعيين والكسوة وغذاء دائما فى كل يوم ، وعند زواجها تصرف لها مكافأة قدرها خمسة أكياس (١) . ثم رؤى مساواتهن (بزملائهن) المتخرجين فى مدرسة الطب البشرى فتقرر منحهن عند التخرج والتعيين رتبة الملازم الثانى (٢) .

وكان يقوم بالتعليم فى المدرسة طبيبة أوروبية تدعى السيدة صوفى ، وكانت تعمل فى المدرسة بعقد منذ سنة ١٨٤٦ ، وكانت تتناول فى الشهر مرتبا قدره ١٥٠٠ قرش ، ورأى الديوان مكافأتها على غيرتها فى عملها فخصص لها بدل التعيين الخاص برتبة الصاغقول أغاسى (٣) . وكانت تساعدها فى عملها معلمة وطنية من خريجات المدرسة وهى السيدة تمرهان . وكانت تقارير الامتحان السنوية تفيض بالثناء على إخلاصها وكفايتها وتوصى بترقيتها .

فلما انتهى عقد السيدة الأوربية فى أكتوبر ١٨٥٠ خلفتها السيدة تمرهان ، ورقع

---

(١) دفتر ١٣٧ (مدارس عربى) ص ١٢٧٦ رقم ٢٣١ الى مدرسة الطب البشرى فى ١٠ صفر ١٢٦٥ ، دفتر ١٦٣ (مدارس عربى) ص ١٠٥٤ رقم ١٢٤ من مدرسة الطب البشرى فى ٢٥ جمادى الاولى ١٢٧٠

(٢) محفظة ٢ (معية تركى) رقم ١٣٧ الى كاتب ديوان الخديوى فى ٢٧ جمادى الاولى ١٢٧٠ ، دفتر ٢٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٣٨٥ رقم ٤٢ من شورى الاطباء فى ٢٩ شعبان ١٢٧٠

(٣) دفتر ٢١٣٥ (مدارس تركى) ص ١٤ رقم ٣ الى المركب العالى فى ٨ ذى الحجة ١٢٦٦ .

راتبها ، وكان معها مساعدتان أو معيدتان من خريجات المدرسة لكل منهما في الشهر مائة قرش [١] .

وكان الشيخ علي العدوى يقوم بتعليم الطالبات اللغة العربية [٢] . أما من الناحية الإدارية فكان لمدرسة الولادة ناظر خاص يدعى أحيانا « معلم مدرسة الولادة » ، وهو الدكتور أحمد الرشيدى [٣] أحد معلمى مدرسة الطب ومن أوائل خريجى المدرسة وبعثاتها .

ولكن ناظر مدرسة الطب كان يعد رئيس مدرسة الولادة ، وكان مسئولا عن إدارتها أمام الديوان [٤] . أما شورى الأطباء فكانت له على المدرستين الرياسة الفنية العليا .

---

(١) دفتر ١٩٨ (مدارس عربى) ص ٢٥٢ رقم ١٤٤ إلى المسابخ في ٤ المحرم ١٢٦٨ ودفتر ٢١٤١ (مدارس تركى) ص ٢٠٣ رقم ٢٧ في ١٩ ذى القعدة ١٢٦٨

(٢) دفتر ٢٠٠ (مدارس عربى) ص ٧٤٦ رقم ٧٥ إلى مدرسة الطب البشرى في غرة صفر ١٢٦٨

(٣) دفتر ١٧٣ (مدارس عربى) ص ٩١٧ رقم ٩٦ الى مدرسة الطب البشرى في غاية المحرم ١٢٦٧

(٤) دفتر ١٥٧ (مدارس عربى) ص ٣٤٠٣ رقم ٢٦٢ الى مدرسة الطب البشرى في ٣ ذى القعدة ١٢٦٦

مدرسة المهندسخانة

أنشئت مدرسة المهندسخانة ببولاق فى سنة ١٨٣٤ [١]. ومن ذلك الوقت مضت تسجل فى تاريخ النهضة العلمية والعمرانية فى عصر محمد على أثرا بارزا أشادت به لجنة تنظيم التعليم فى سنة ١٨٤٠ ، فإلى هذا المعهد ، يرجع الفضل فى تخريج عدد كبير من المدرسين المصريين المتخصصين فى العلوم الرياضية ومن المهندسين المصريين الذين قاموا على ما تستلزمه النهضة الزراعية والصناعية والعمرانية من منشئات ، وإليه يرجع الفضل كذلك فى بعث النهضة العلمية الماثلة فى ذلك العدد الضخم من الكتب المؤلفة أو المعربة فى فنون الرياضة على اختلاف شكولها وفروعها [٢].

وانتهى عصر محمد على والمدرسة — تحت إدارة لامبير بك — ماضية فى عملها ، ونشاطها العلمى مستمر . فعلمو المدرسة قائمون على التدريس لطلبتها ومترجموها ومصححوها قائمون على ترجمة الكتب وتصحيحها ثم طبعها فى مطبعة الحجر الملحقة بها أو فى المطبعة الكبرى ببولاق ليدمع بها المعلمون والمهندسون فى المدارس وفى خارجها [٣].

---

(١) عن المدرسة فى عهد محمد على انظر تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ٣٦٢ — ٣٧٦

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٥

(٣) دفتر ١٢٦ (مدارس عربى) ص ٩٧٨ رقم ٣٦٠ الى المهندسخانة فى ١٨ المحرم ١٢٦٥ ودفتر ١٤٨ (مدارس عربى) ص ١٦٩ رقم ٢٩٧ الى المهندسخانة فى ٢٩ ربيع الثانى ١٢٦٦ ودفتر ١٢٧ (مدارس عربى) ص ١٣٥٧ رقم ٣٠٠ الى المهندسخانة فى ٢٧ صفر ١٢٦٥

ومضت المدرسة مطمئنة إلى مصيرها فأخرجت من تلامذتها من رأت أنه لا يصلح للدراسة فيها ، وأفادت من إلغاء المدارس الأخرى فألحقت بها من تلامذتها عن الأربعين ، مزمعة أن تصل بمجموع تلامذتهـــا إلى الستين [١] ، وأداتهم بعد ثم عشرا [٢] .

ومضى ناظرها — لامبير — مطمئنا إلى عمله فوضع لتعليم تلامذته ترتيبا قسمهم فيه إلى فرق أربع ونظم لكل فرقة دروسها ومعلميها [٣] .

وكان لهذا الاطمئنان ما يبرره . حقا إن الجو كان متجهما لمدارس محمد على والرجال الذين خدموا محمد على ، ولكن كان الشائع أن الأمر حتى ذلك الوقت لا يعدو الاقتصاد ، وأن هذه المدارس ستخرج من هذا الجو العـــاصف سليمة الأركان ، حتى إذا كانت لوائح ١٣ شعبان ١٢٦٥ (يونية ١٨٤٩) احتفظ بالمهندسخانة كما احتفظ بأكثر المدارس ، وإن تكن سياسة الاقتصاد قد أدت إلى قصر المدرسة على عدد أقل مما كان مقررا لها من التلاميذ والخدم [٤] .

---

(١) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠٠٢ رقم ٥٩١ إلى المهندسخانة فى ٢٩ جمادى الأولى ١٢٦٥ ودفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠٠٥ رقم ٥٨٨ إلى مدرسة الألسن فى ٧ جمادى الثانية ١٢٦٥

(٢) دفتر ١٦٢ (مدارس عربى) ص ٩١٩ رقم ٣٦٩ من المهندسخانة فى ١٠ جمادى الأولى ١٢٦٦

(٣) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٠٣٣ رقم ٦٢٣ إلى المهندسخانة فى ٢٠ جمادى الثانية ١٢٦٥

(٤) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢١٤٦ رقم ٧٢٧ إلى المهندسخانة فى ١٧ شعبان ١٢٦٥

ولكن لم تمض شهور معدودات على صدور هذه اللوائح حتى اتجه الرأى إلى وضع لوائح جديدة ، وعهد إلى لامبير بك ناظر المهندسخانة بهذا العمل . وقد رأيت كيف فشل لامبير فى أن ينال (ترتيبه) موافقة عباس لأنه « استعظم » النفقات التى يقتضيها هذا الترتيب .

وفى تلك الأثناء كان « الأفندية الامتحانجية » على مبارك وعلى إبراهيم وحماد عبد العاطى قد فرغوا من امتحان المهندسين ، فعرض عليهم عباس « الترتيب » الذى وضعه أستاذهم القديم لامبير لينظروا فيه ويضعوا ترتيباً آخر . ولسنا نود أن نعود إلى تفصيل الخطوات التى أدت إلى صدور اللوائح الجديدة فى رجب ١٢٦٦ فقد تحدثنا عنها فى موضع سابق[١] . ولكنا نكتفى بأن نذكر هنا أن عباسا ارتاح إلى (الترتيب) الذى وضعه على مبارك فعين به إلى نظارة المهندسخانة . . وهو أصبحت محور النظام التعليمى الجديد — ومنحه رتبة الأميرالاى ، أما لامبير بك فأمر عباس بإعادته إلى وظيفته السابقة وهى العضوية بمجلس سك النقود[٢] .

وضمت مدرستا المبتديان والتجهيزية إلى المهندسخانة . وألغى المرصد ريثما يعود المهندسون الذين أرسلوا إلى فرنسا لدراسة الفلك وبذلك بدأت المهندسخانة عهداً جديداً فى تاريخها لم يطل أكثر من أربع سنوات (١٨٥٠ — ١٨٥٤) .

---

(١) أنظر فيما سبق ص ٢١ — ٢٦

(٢) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٥ أمر الى مدير ديوان المدارس فى ٢٤ جمادى الثانية ١٢٦٦ ويظهر أن لامبير بك لم يقبل هـذا المنصب بل آثر الرحيل الى بلاده (فى سنة ١٢٦٦) فرتبت له الحكومة المصرية معاشا حتى مات فى وطنه سنة ١٢٨١ (١٨٦٤) الخطط التوفيقية م ٢ ج ٨ ص ٢٣ .

والواقع يحق لعلى مبارك أن يهنأ (بترتيبه) الجديد وما جاء فيه من «أصول مخترعة، لولاها ما استطاع أن يهبط بميزانية مدارسه إلى خمسة آلاف من الجنيهات منها أنه جعل أكثر مدرسي مدرسته — أو مدارسه — يعملون «بالساعة»! ، ويتراوح أجر الواحد منهم في الساعة بين الخمسة والثمانية قروش[1]. وقد قيل في تعليل هذا — بعد ذلك بسنوات — أنه «مما يقوى اجتهاد المعلمين في تعليمات التلامذة وحثهم على التعليمات في الأوقات المعينة»[2] ومن المدرسين من يعمل (بالمقاولة)! فهذا مدرس للخط يعلم التلامذة الثلث والرقعة والنسخ وله «على كل تلميذ عشرة فضة»، حتى إذا رأى المبلغ قليلا واستقال من المدرسة طلبت المدرسة إلى الديوان أن يعين لها ثلاثة من المعلمين بهذا المبلغ[3].

والحق أن تقارير لجان الامتحان وناظر المدرسة لم تقصر في التوصية بهم، ولكن ديوان المدارس والجناب العالى لم يكونا أكثر سخاء للمهندسخانة، بل أكثر من ذلك كان لهؤلاء المدرسين — في أواخر حكم عباس — قبل الحكومة ٣٣,٠٠٠ قرش رفضوا عقيرتهم ملحين في طلبها[4].

---

(١) دفتر ١٥٣ (مدارس عربى) ص ٢٧٦٨ رقم ٥٥٤ إلى المهندسخانة في ٨ شعبان ١٢٦٦

(٢) ومما هو جدير بالنظر أن المدة التى يقضيها المدرس وهو يعمل (بالحصة) لم تكن تحسب له في (معاشه) دفتر ٤١٦ (مدارس عربى) ص ٢٢ رقم ١ إلى الداخلية في ١٥ شوال ١٢٨٥.

(٣) دفتر ١٦٥ (مدارس عربى) ص ١٤٨٣ رقم ٦٨٥ من المهندسخانة في ١٢ شعبان ١٢٦٦.

(٤) دفتر ٢٩٩ (مدارس عربى) ص ١٤٥٧ رقم ٥٠٨ إلى المالية في ١١ ربيع الثانى ١٢٧٠.

هذا إلى أنهم كانوا يؤدون أعمالا كثيرة : فعليهم — عدا تأدية دروسهم المخصصة عليهم — أن يترجموا كتباً للمدارس التي يعملون بها وللمدارس الأخرى كالطب والمفروزة ولفرق الجيش[1] ، ثم يقوم على تصحيحها مصححون ملحقون بالمدرسة ، ثم تطبع في (مطبعة حجر) خاصة بالمدرسة أو بالمطبعة الكبرى ببولاق . وقد طلبت المدرسة — لمواجهة التوسع في ترجمة الكتب وطبعها أن يؤتى لمطبعة المدرسة (بلازمة حروف أفرنكية) ، فرفض الديوان محتجا بقرب المطبعة الكبرى (ببولاق) من المهندسخانة[2] .

كما أن مدرسي المدرسة وناظرها كانوا كثيرا ما يندبون لأداء بعض الخدمات خارج المدرسة : كالإشراف على عمائر الحكومة ومناجمها والتفتيش عن مدرسة العمليات وامتحان تلامذتها وتحقيق بعض القضايا ، حتى ضاقت المدرسة ذرعاً وطلبت أن لا يشغل المدرسون بأعمال أخرى غير دروسهم حرصاً على مصلحة التلاميذ[3] ولكن ديوان المدارس أجاب بأنه عند الامتحان « إذا وجد أن التلامذة حصل لهم تعطيل كاقبل بصير تنزيل مدة غياب الخوجات »[4] !

---

(١) دفتر ٢٥٢ (مدارس عربي) ص ٢٠٥ رقم ٣١١ إلى المهندسخانة في ١٣ ربيع الثاني ١٢٦٩ .

(٢) دفتر ٢٩٦ (مدارس عربي) ص ٩١٠ رقم ٢٣٦ إلى المهندسخانة في ٢٨ صفر ١٢٧٠ .

(٣) دفتر ٢١٨ (مدارس عربي) ص ٤٢٥٩ رقم ٥٨١ إلى المهندسخانة في غرة ذي القعدة ١٢٦٨ .

(٤) دفتر ٣٠٠ (مدارس عربي) ص ١٧٦٢ رقم ٣٨٤ إلى المهندسخانة في ١٠ جمادى الأولى ١٢٧٠ .

وقد أتيح للمدرسة — فى شخص ناظرها على مبارك بك — إدارة حازمة مستنيرة. ولقد كانت هذه الفترة (من ١٨٥٠ إلى ١٨٥٤) من أخصب الفترات فى تاريخ حياته. والواقع إنها أعدت على مبارك وهيأته للدور الخطير الذى سيقوم به فى إدارة التعليم وتوجيهه بعد ذلك فى عصر اسماعيل وبعد عصر اسماعيل. يقول على مبارك عن إدارته للمهندسخانة « وكل ذلك كان لا يشغلنى عن التفاتى للتلامذة فى مأكلهم ومشربهم وملبسهم وتعليمهم وغير ذلك، وكنت أباشر ذلك بنفسى حتى أعلم التلميذ كيف يلبس وكيف يقرأ وكيف يكتب وألاحظ المعلم كيف يلقى الدروس وكيف يؤدب التلامذة الخ »[1].

وهكذا غدت المهندسخانة — بميزانيتها الضئيلة — مركزاً لحركة تعليمية وعمرانية قوية وأدت خدمات جليلة للبلاد فى تلك الفترة القصيرة من تاريخها.

ومما يذكر بالفخر للمهندسخانة أن ناظرها وأكثر مدرسيها كانوا من المصريين الذين تخرجوا فيها ثم أتموا الدراسة بأوربا أو عملوا بها معيدين أو مساعدين لأساتذتها، ولم يكن بها من الأجانب فى ذلك الوقت سوى مسيو لانجلوا (Langlois) وكان « معلم ترميم آلات بها » وقد عين بمهندسخانة سنة ١٨٤٨[2]، وظل يخدم فى مصر حتى عصر إسماعيل. وفيما يلى ثبت أسماء أساتذة المدرسة وموظفيها:

ناظر المدرســـة : على بك مبارك، وقد عين فى ٢٤ جمادى الثانية ١٢٦٦

---

(١) الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٥

(٢) دفتر ٧٠١ (صـــادر عربى) ص ٩٥٨ رقم ٤٧٦ الى المالية فى ٥ ربيع الأول ١٢٦٨

رابريل ١٨٥٠) وفصل فى ١٤ ذى الحجة ١٢٧ (سبتمبر ١٨٥٤) حين ألحق بالجهادية وسافر مع الحملة المصرية إلى بلاد القرم[١] . وكان يلقى على تلاميذ المهندسخانة دروساً فى الطبيعة والعمارة ويقوم بتأليف الكتب ومراجعة التراجم ... الخ[٢] .

وكيل المهندسخانة : البكباشى أحمد أفندى فايد ، وهو من أساتذة المدرسة القدامى

وكيل التجهيزية والمبتديان : على أفندى بدوى ثم على أفندى عزت ، وكلاهما من أساتذة المهندسخانة .

مدرسو اللغة التركية : عثمان نورى ، حمدى أفندى ، عبد الغفور أفندى .

مدرسو التاريخ والجغرافيا والفرنسية : حسن الشاذلى ، منصور عزمى ، مصطفى سعد احمد ، إبراهيم مصطفى ، أبو السعود ، عبد الله السيد ، السيد صالح مجدى ، إبراهيم البياع ، وأكثرهم من تلامذة مدرسة الألسن وكانوا يترجمون الكتب ومنهم كذلك ضباط فصول .

مدرسو الرياضة : خليفه حسن ، أحمد مصطفى أبو سن ، أحمد دقله ، أيوب صالح ، عبد الله قطب .

مدرس الكيمياء والمعادن : مصطفى المجدلى .

مدرسو الخط : مذكور أفندى الثلث والنسخ والتبيض وملاحظة أشغال

---

(١) دفتر ٣١٩ (صادر من عرف) ص ٥١٥٦ رقم ١٥٤٣ الى الجهادية فى ١٤ ذى الحجة ١٢٧٠ .

(٢) الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٥ . وقد أخذنا أسماء المعلمين من تقارير امتحانات المدرسة فى سنوات مختلفة .

المطبعة ، ومصطفى على الرفعة وأمانة صندوق المدرسة ، وحسن بخيت الثلث والتبيض ومعلوية ناظر المهمات .

معلما الرسم : حسن عبد الله ، وحسن الورداني .

طبيب ومساعد لمعلم الكيمياء : أحمد عبد الصمد .

معاونو دروس (معيدون) وضباط فصول : عامر سعد ، عطا حسن ، أحمد ناصر .

أمين مكتب المدرسة وناظر مهماتها : عبد الله أغا .

مصحح المدرسة : الشيخ إبراهيم الدسوقي .[1]

تلامذة المدرسة

نظمت المدرسة على أن يكون بها — في أقسامها الثلاثة : المتقدمة والتجهيزية والمبتديان — ٢٧٠ تلميذاً موزعين على عشر فرق[2] . وقد حاولت المدرسة بعد ذلك

---

(١) وكان مساعداً لتصحيح الكتب الطبية بمدرســة الطب ثم نقل وتيساً لمصححي المهندسخانة القديمة . وفي المدرسة (الحالية) كان يقوم بتعليم العربية لمترجمين من الاعداديه ، وكيفية ترجمة الترجمة حينها عند النقل من اللغة الفرنساوية الى اللغة العربية ، كما أنه كان يقوم بتصحيح كتب الرياضة . ولما ألغيت المهندسخانة في أوائل حكم سعيد عين الشيخ الدسوقي مصححا بمطبعة بولاق مع اشتغاله بتحرير الوقائع المصرية ، ثم عينه اسماعيل رئيساً لمصححي كتب العلوم بمطبعــة بولاق ، ثم أحيل الى المعاش حتى توفى في سنة ١٣٠٠ (١٨٨٣) . وكان صديقاً للمستشرقين وأعانه على نشر (تاج العروس) انظر الخطط التوفيقية ج ١١ ص ٩ وتاريخ التعليم في عصر محمد علي للمؤلف ص ٢٥٨ و٣٦٩ .

(٢) دفتر ١٧٤ (مدارس عربي) ص ١٣٨٢ رقم ٣٣٣ الى المهندسخانة في ٢٦ ربيع الاول ١٢٦٧

أن تتخلص من هذا القيد ، فشرعت تلحق بها تلامذة يزيدون على العدد المقرر لها ، ولكن ديوان المدارس لم يقبل ووقف بها عند هذا الحد[1] . وكانت المدرسة ترفض أن تحث تلامذة من قسمها التجهيزى إلى مدرسة الطب قبل أن يستكملوا علومهم التجهيزية[2] ، لهذا اضطر ديوان المدارس — كما رأيت — إلى أن يأخذ تلامذة لأزهر والمكاتب .

نقل المدرسة

على أثر ضم مدرستى المبتديان والتجهيزية إلى المهندسخانة ضاق بناؤها — فى بولاق — بالتلاميذ ، ورأى الديوان أن « ضيق المحلات يحصل منه الوخامة والأمراض » ، فرؤى نقل « الكتبخانة الأفرنكية » من المهندسخانة إلى مدرسة الطب ، وكتب إلى (الأبنية) بإجراء (عمارة) بمدرسة المهندسخانة بنية توسيعها[3] .

وبعد عام من تنظيم المدرسة (أى فى أوائل سنة ١٨٥١) صدر أمر عباس باشا بنقل المهندسخانة من مكانها القديم فى بولاق — وكان ملكا للأمير محمد على باشا[4] —

---

(١) دفتر ٢٤٦ (مدارس عربى) ص ١٨٤٠ رقم ٢٠٨ إلى المهندسخانة فى ٢٤ صفر ١٢٦٩

(٢) دفتر ٢٢٣ (مدارس عربى) ص ٤١٥ رقم ١٢٧ من المهندسخانة فى ١٩ المحرم ١٢٦٨

(٣) دفتر ١٥٣ (مدارس عربى) ص ٢٥٨٨ رقم ١٠٤ إلى شورى الأطبا و ص ٢٧٠١ رقم ٥٣٧ إلى المهندسخانة فى ٢ شعبان ١٢٦٦

(٤) وكانت المدرسة تشغل القسم البحرى من السراى أما الأقسام الأخرى فشغلها (سراى الحرم) والسلاملك (وكان به المكتب الذى أنشىء لتعليم الأمير محمد على) =

إلى أبى زعبل . ولكن على مبارك بك اعترض بشدة محتجاً بأن « الآلات والأدوات الطبيعية بمبلغ جسيم وإذا صار نقلها لابد يحصل فيها خلل وتلف .. وأيضا موجود بالمدرسة معمل كيمياء به أفران بداخلها حديد ونحاس ... وهو من أعظم لوازم المدرسة ... » . وإذا كان من الممكن نقل مدرستى التجهيزية والمبتديان إلى أى مكان فإن « المهندسخانة لازم أن تكون بالقرب من مجارى المياه ومن الورش والمعامل والبارودخانات والرصدخانة والمحلات التى يستنسب بها المهارات العظيمة لأجل العلم والعمل ، فإذا لم يحصل الترقية بذلك لايمكن تكوين مهندسين » . والبناء الذى يراد نقل المدرسة إليه فى أبى زعبل يحتاج إعداده إلى نفقات باهظة وإصلاحات جمة ، فإذا كان لابد من نقل المدرسة فلتنقل إلى مكان آخر بالجيزة مثلا [١] . وسلم الديوان بوجهة نظر ناظر المدرسة وطلب إليه أن يبحث فى بولاق عن مكان آخر يليق لها ، أما النقل فليس منه بد [٣] . ووقع الاختيار على المخزن الذى به مهمات الجفالك وهو متصل بمصنع الجوخ ببولاق وصدر الأمر بانتقال المدرسة إليه [٣] ، ولكنها لم تنقل ، حتى

= دفتر ٢٢٦ (مدارس عربى) ص ١٠٥ رقم ٣٤٤ من المهندسخانة فى ٢٤ ربيع الثانى ١٢٦٨ والخطط التوفيقية م ٣ ج ١٩ ص ٨٦ .

(٣) دفتر ١٩١ (مدارس عربى) ص ١٠٤٠ رقم ٤٦٩ من المهندسخانة فى ١٥ جمادى الأولى ١٢٦٧ .

(٤) دفتر ١٧٧ (مدارس عربى) ص ١٩٢٦ رقم ٤٥٦ إلى المهندسخانة فى ٢١ جمادى الأولى ١٢٦٧ .

(٥) دفتر ٢١٣٥ (مدارس تركى) ص ١٢٨ رقم ٢٩ إلى المالية فى ٢٣ جمادى الأولى ١٢٦٧ .

مضى عام آخر والمدرسة فى مكانها [١] . ولكن عاد عباس فأصدر الأمر بالإسراع فى نقل المدرسة إلى ورشة الجوخ ، على أن تعمل الاصلاحات الضروريه فقط أما الباقى فعمل بعد نقل المدرسة و « إن لم يتم النقل فى بحر الشهر يكون المتسبب ملزماً بدفع أجرة المكان » [٢] . وتم نقل التلامذه فى ابريل ١٨٥٣ [٣] . ولكن مضى وقت طويل بالطبع قبل أن تستكمل المدرسة فى مكانها الجديد كامل معداتها .

الفاء المدرسة

لما تولى محمد سعيد باشا عمل على تشتيت المقربين إلى الوالى السابق ، وكان منهم على مبارك ناظر المهندسخانه ، ورمى عنده فى المدرسة بعض المفسدين بلسان الحسد والفتة ووصفوها بما ليس له نصيب من الصحة واختلقوا لها معايب لم تكن فيها » [٤] . فبدأ سعيد بأن أمر بوقف طبع كتب جديدة بمطبعة المدرسة [٥] ، ثم أمر بإلحاق ناظرها بالحملة المسافرة إلى القرم [٦] .

---

(١) دفتر ٢٠٢ (صادر معية عربى) ص ١٠٤٦ رقم ٥٣٩ إلى المالية فى ٢١ ربيع الأول ١٢٦٨

(٢) دفتر ٢١٤ (صادر معية عربى) ص ٣٤٣٦ رقم ٤٨٣ فى ٢٢ شعبان ١٢٦٨ وص ٣٥٤٥ رقم ٥١١ فى ٩ رمضان ١٢٦٨ الى المهندسخانة

(٣) دفتر ٢٦١ (صادر معية عربى) ص ٤٩٠٥ رقم ١٠٢٥ إلى الخاصات فى ٢٣ رجب ١٢٦٩

(٤) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٥

(٥) دفتر ٣١٣ (صادر معية عربى) ص ٤٧٣٦ رقم ٨٢٥ الى المهندسخانة فى ٥ ذى الحجة ١٢٧٠

(٦) دفتر ٣١٦ (صادر معية عربى) ص ٥١٠٦ رقم ١٠٤٢ الى الجهادية فى ١٤ ذى الحجة ١٢٧٠

مدرســـة العمليات

مرت مدرسة العمليات منذ إنشائها فى سنة ١٨٣٩ بأدوار مختلفة : فقد أنشئت لتكون مدرسة صنعية ثم تحولت إلى «ورشة» فى سنة ١٨٤٤ ، ثم تراءى للحكومة إبراهيم «ترتيب تلاميذ لتحصيل العـــلوم والصناعات بالعمليات وستكون مدرسة مستقلة» [١] . ولكن ذلك المشروع لم يتحقق . فقد أصدر عباس باشا أمراً «بعدم تبعيتها لديوان المدارس وعدها ورشة تشغيل» ، وإحالتها إلى ديوان الجهادية [٢] . على أن «الورشة» أو «المدرسة» كما كانت تدعى فى أكثر الأحيان لم تحرم من تلامذة يقيمون بها ويتعلمون إلى جانب الصنعات «الرسم والحساب» [٣] .

كما أن علاقتها بديوان المدارس لم تنقطع : فالديوان يقوم بتنفيذ ما يطلب منه بإمدادها بالتلاميذ وأدوات التعليم وغيرها ، ويقوم ناظر المهندسخانة بالتفتيش عنها وامتحان تلامذتها من وقت لآخر [٤] .

اقترح زيادة صبحة (الورشة) العملية بأن يدرس تلامذتها الذين يتعلمون صناعة الوابورات الهندسة والطبيعة ، وأنفذ الديوان إلى الورشة عن ذلك مبارك ناظر

---

(١) انظر عن تاريخ مدرسة العمليات كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٣٨١ — ٣٨٥

(٢) دفتر ٢١٢٦ (مدارس تركى) ص ٨٢ فى ٢٤ ربيع الثانى ١٢٦٥ ودفتر ١٢٨ (مدارس عربى) ص ١٧٣٠ رقم ٧٩٤ الى ورشة العمليات فى ٢٩ ربيع الثانى ١٢٦٥

(٣) دفتر ١٥٨ (مـــدارس عربى) ص ١٧٢ رقم ٩٦ من الجهادية فى ٨ جمادى الاولى ١٢٦٥

(٤) دفتر ٢١٣٧ (مدارس تركى) ص ١١٧ رقم ١١٢ من ديوان الجهادية فى ٢٣ شعبان ١٢٦٧

مهندسخانة ليدرس الأمر [١] . ذهب الناظر إلى الورشة فامتحن تلامذتها فوجد نفراً منهم لا يعرفون الكتابة ، فعقد لجنة قررأيها على وجوب تعليم التلامذة القراءة والكتابة والحساب والهندسة العملية ودرجتين من الجبر وقواعد الميكانيكا وحساب تركيب الآلات وأشارت بتعيين المعلمين اللازمين [٢] .

ولسنا نعلم مصير هذه المقترحات . ويبدو أن ناظر الورشة قد ضاق بما عده تدخلا من ناظر المهندسخانة ، ولكن المعية أخذت جانب علي مبارك وطلبت أن يستعان به لتنظيم مدرسة العمليات « نظراً لعدم لياقة ناظر وباشمهندس ورشة العمليات لذلك » [٣] . واستمر (الاحتكاك) بين المعهدين وخاصة بشأن إلحاق تلاميذ من المهندسخانة بالعمليات : فالمهندسخانة تأبى أن تمد العمليات إلا بالتلاميذ الأغبياء ، وصافت (الورشة) بذلك إذ كانت تفضل أن يلحق بها « شبان ذو عناية ولياقة للأشغال . وأن الأوفق أن يكونوا من الشغالين بدكاكين الحدادين أو من ورشة البندق أو ورشة المهمات الحربية » [٤] . وهكذا آثرت الورشة الاحتفاظ بصبغتها

(١) دفتر ١٥٧ (مدارس عربي) ص ٢٣٦٧ رقم ٧١٧ إلى المهندسخانة في ٢٤ شوال ١٢٦٦ .

(٢) دفتر ١٦٨ (مدارس عربي) ص ١٦٥ رقم ٤٣ من المهندسخانة في ٢٩ ذي الحجة ١٢٦٦ .

(٣) دفتر ٦٠ ج ٣ (معية عربي) ص ٤٦٦ رقم ١٨٤ من المعية إلى ديوان الجهادية في ١٥ ربيع الثاني ١٢٦٧ .

(٤) دفتر ٢٩٧ (مدارس عربي) ص ١٠٤٠ رقم ٤٠٠ إلى الجهادية في ٢٨ صفر ١٢٧٠ .

العملية حتى ألغيت فى ديسمبر ١٨٥٤ . وقد ولى نظارتها (١) :

من يوليه ١٨٤٧ إلى مايو ١٨٥٣ John Mohistan

من أغسطس ١٨٥٣ إلى ديسمبر ١٨٥٤ Robert Murray

مدرســـة الخرطوم

فى رجب ١٢٦٦ (مايو ١٨٥٠) — وكان إبراهيم باشا أدهم قد اعتزل عمله فى ديوان المدارس وألغيت مدرسة الألسن وتشتت قلم الترجمة وصدرت الأوامر ثانية وعين على مبارك بك ناظرا للمهندسخانة — فى هذا الوقت صدر الأمر إلى ديوان المدارس بالموافقة على قرار المجلس الخصوصى بإنشاء مدرسة الخرطوم « إنقاذا لأولاد أهلها والمستوطنين بها من جميع الجهل ليستنيروا باكتساب العلوم والمعارف على أن يقبل ويقيد فيها مائتان وخمسون غلاما من بلاد دنقلة والخرطوم وسنار وتاكة وملحقاتها من أولاد مشايخها وأخدامهم » (٢) . ولم يجد عباس من يوليه نظر عليها « منا بأصول المدارس ليضعها كما ينبغى ويعلمها نظاما حسنا » سوى رفاعة بك رافع الطهطاوى فأمر بتعيينه ناظراً عليها ، ووكل إليه مهمة اختيار المعلمين . كما عهد إلى ديوان المدارس مهمة وضع ميزانية عما تتكلفه المدرسة « طبق الترتيبات الجارية بالمدارس المصرية ولا سيما الأصول الجارية بمدرستى المبتديان والتجهيزية » ، وخص

(١) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر القسم الخامس من الملحقات ص ٤٦ .

(٢) دفتر ٢١٣٣ (مدارس تركى) ص ١٢٠ رقم ١٦٧ من المعية إلى ديوان المدارس فى ٦ رجب ١٢٦٦ ومحفظة ٤ (مدارس) رقم ١٧ فى ١٧ رجب ١٢٦٦ من عباس إلى مدير المدارس .

ى رفاعة بك باختيار المدرسين من بين « رجال أكفاء » ، فاختار أحد عشر معلماً ومثيلا . أما باقى الموظفين من كاتب وفراش ووكيل خرج وخدم فيتعين اختيارهم من أهل البلاد أنفسهم . وخصص لكل طالب ستة قروش فى الشهر باعتبار أنهم مبتدئون . وعلى هذا النحو وضع رفاعة بك ميزانية سنوية للمدرسة بلغت ٣٩ / ٢٢ ٣٢٨ قرشا .

وافق عباس على هذا الترتيب وأصدر أمره بأن ينطلق الناظر والمعلمون والطبيب إلى مقر عملهم ، حتى إذا وصل رفاعة إلى الخرطوم اتصل بحكمدار السودان ليسهل له مهمته ، وعليه « أن لا يفتر عن مراقبة المعلمين وتذكيرهم وأن يجعل الطلبة موضع اهتمامه فيحملهم على السعى والاجتهاد ليكتسبوا المعارف ويتقدموا » . كما أمر عباس بأن يكتب إلى حكمدار السودان ليخصص محلا ملائما للمدرسة وأن يقيد الناظر وسائر الموظفين والطلبة فى سجلات خاصة وأن يعنى بأن يصرف لهم مرتباتهم ومأكولاتهم وملبوساتهم فى مواعيدها المقررة [1] .

وعلى هذا النحو أنشئت مدرسة الخرطوم الابتدائية .

ولم يكن هذا أول عهد أهل السودان بالتعليم : فقد كان أكثر قبائله فى الشمال من العرب ومنهم من اشتغل بالعلوم الشرعية ، ولهم مآثر عظيمة فى حسن التعلم والتعليم حتى أن البلدة إذا كان بها عالم شهير يرحل إليه من البلاد الأجنبية للمجاورة من طلبة العلم العدد الكثير والجم الغفير ، فيقوم أهل بلدته على ذلك بتوزيع المجاورين على

---

(١) دفتر ٢١٢٣ (مدارس تركى) ص ٥٧ رقم ٤ أمر إلى ديوان المدارس فى ١٧ رجب ١٢٦٦ .

البيوت بحسب الاستطاعة . وأنشأ بعض أهل الخير مكاتب يقرأ فيها البنون والبنات القرآن الشريف ويعطون الحرف[1] وقد كان لفتح محمد على بلاد السودان أثره في فتح تلك الأقاليم النائية للحضارة . وقد فكر محمد على في تعليم نفر من أبنائها فأدخلهم في المدارس المصرية ، وكان القصد من ذلك أن يتذوقوا طعم المعارف المدنية لينشروها في بلادهم ، وقد عين نفر منهم في وظائف ببلادهم .[2]

أما مدرسة عباس فكان لها شأن آخر .

رحل رفاعة إلى الخرطوم معتقداً « أن مدة الإقامة بتلك الجهات كانت لمجرد الحرمان من النفع لوطنه »[3] واستصحب معه المعلمين الآتية أسماؤهم :[4]

١ — القائمقام محمد بيومى أفندى : من قدامى أساتذة مدرسة المهندسخانة ورئيس قلم ترجمة الكتب الرياضية بقلم الترجمة ومفتش العلوم الرياضية .

٢ — الصاغقول أغاسي أحمد طائل . وقد كان من مدرسي المهندسخانة وارتكب أمراً عوقب عليه بالأشغال الشاقة ثم عفى عنه وعين معاونا بديوان المدارس في إدارة أدهم باشا[5]

---

(١) رفاعة رافع : مناهج الألباب ص ٢٦٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٣

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٩

(٤) دفتر ٢١٢٤ (مدارس تركى) ص ٢٠٤ رقم ٧٩ من الديوان الى المعيه الخديوية في ٢١ رجب ١٢٦٩ .

(٥) على مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٢٨ ومما يذكر أنه توفى ببولاق عقب وصوله من منفاه بليلة واحدة (أمين سامى : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٣٨) وتاريخ التعليم في عصر محمد على للمؤلف ص ٣٦٥ .

٣ — الملازم الأول على محمد أفندى
٤ — « « الثانى على عثمان «
٥ — « « إبراهيم محمد «
٦ — « « محمد مرسى «
٧ — « « أمين «

يرجح أنهم من تلامذة رفاعة بك فى مدرسة الألسن .

٨ — الشيخ رجب
٩ — الشيخ مكاوى
وكانا عالمين بالأزهر [١]

١٠ — الشيخ اسماعيل فرغلى

١١ — الشيخ أحمد (الواعظ) : وقد اختفى على أثر تعيينه ولم يعثر له على أثر فعين بدله الشيخ محمد المكاوى [٢]

١٢ — الطبيب : سليمان السيرطى أفندى

واستقل الركب (ذهبية) فى النيل ومعهم ما أمكن إعداده من المهمات كالأحرمة والسجاجيد وألواح الصفيح والمراكيب وغيرها [٣] .

وما لبث أن تبعهم آخرون : محمد عام غصب الديو ن على إبراهيم أفندى سالم

---

(١) دفتر ١٥٢ (مدارس عربى) ص ٢٥٦٣ رقم ١٨٦٥ الى شيخ الجامع الأزهر فى ٢٠ رجب ١٢٦٩

(٢) دفتر ١٥٣ (مدارس عربى) ص ٢٩٥٦ رقم ١٩٦٢ من الديوان الى الحسابات فى ٢٨ رجب ١٢٦٩

(٣) دفتر ١٥٢ (مدارس عربى) ص ٢٥٦٠ رقم ٣٥٦ الى الترسانة فى ٢٢ رجب ١٢٦٦ وص ٢٥٧٣ رقم ٣٠٥ الى المهمات الحربية فى ٢٢ رجب ١٢٦٦

بالمهندس مديرية القليوبية فأرسله إلى « المهندسخانة (كذا) التي صار فتحها بـــلاد السودان لأجل التحصيل والاستخدام بها »[١].

ومضى عامان ولم تصل إلى القاهرة أخبار عن مدرسة الخرطوم ، وفطن ديوان المدارس إلى ذلك ، فكتب إلى رفاعة بك يذكره بأنه إنما اختير لنظارة هذه المدرسة « بالنظر لما هو مشهور (عنه) من بذل السعي والاجتهاد والهمة وحب الالتفات في تعليم التلامذة لأجل إكسابهم المعارف والعلوم والترقية » ، ثم راح يؤنبه لأنه مضت « مدة من عهد ما توجهتوا (كذا) لهذه الجهة ولم كان (كذا) يحضر من طرفكم إفادة عما صار في بحر هذه المدة من التعليمات وبيان ما اكتسبوه التلامذة من العلوم ومامقدار عددهم وبيان درجات كل منهم أيضا حتى كان يعلم بهذا الطرف كيفية الجارى بالمدرسه من التحصيلات ويجرى العرض عنه كما هو المرغوب » ، وطلب إليه أن يحرر تقريرا بهذا كله ليرفعه إلى الأعتاب الأصفية[٢].

وأجاب رفاعة في صورة معتمة لا شك خيبت ظن الديوان فيما يعرفه عنه « من بذل السعي والاجتهاد والهمة » : فأغلب التلامذة الذين جمعوا للمدرسة هربوا « بمعرفة أهاليهم بالحال المستمعة وفضلا عن ذلك انهم ناس غلايظ العقول » ، أما المعلمون

(١) دفتر ١٧٩ (مـــدارس عربي) ص ٢٣٣٠ رقم ٩٠٨ الى المسابات في ٢٨ جمادى الثانية ١٢٦٧ ودفتر ١٨٠ (مدارس عربي) ص ٢٤٦٤ رقم ١٠٧٠ الى المسابه في ١٦ رجب ١٢٦٧ وكان ابراهيم سالم قبل ذلك مدرسا بمدرسة المهندسخانة (تاريخ التعليم في مصر لعبد الكريم للمؤلف ص ٣٦٩)

(٢) دفتر ٢٠٩ (مدارس عربي) ص ٢٤٩٥ رقم ١٦٩٥ الى ناظر مدرسة الخرطوم في غاية جمادى الثانية ١٢٦٨

قد توفى الله ثلاثة منهم إلى رحمته ، أما مهمات المدرسة كالطرابيش وغيرها فقد استولى عليها حكمدار السودان ووزعها على فرق الجيش . وخلاصة الأمر أن المدرسة قد صارت — كما وصفها رفاعة بك فى خطابه — « اسما بدون جسم » [١] . ويلوح أن رفاعة كان يأمل — وقد رسم لمدرسته هذه الصورة القاتمة — أن يقتنع أولو الأمر فى مصر بأن يعدلوا عن هذه التجربة فيعود وزملاؤه إلى بلادهم ، ولكن عباسا كان عنيدا ، فأصدر أمره إلى حكمدار السودان « بفتوح المدرسة وإدارتها ، وبأن يعطى المدرسة مهمات بدل تلك التى استولى عليها . وعاد ديوان المدارس إلى رفاعة مناشداً إياه « بذل الهمة والاجتهاد ، والمبادرة إلى إفادة الديوان ، أولا بأول عن كيفية حركات وأصول المدرسة [٢] » .

ولكن الطبيب سليمان السيوطى قد توفى وكذلك أربعة من هيئة التدريس هم : بيومى أفندى ومحمد أفندى مرسى وعلى أفندى عثمان والشيخ إسماعيل مرغلى ، فصدر الأمر العالى بانتخاب غيرهم « من أرباب المعارف ذوى المفهومية والاستعداد مجربين الأطوار » [٣] . وعقدت جمعية بديوان المدارس شهدها رؤساء المهندسين والأطباء لاختيار الطبيب والمدرسين المطلوبين ، ووافق عباس وأمر بسرعة (ترحيلهم)

---

(١) دفتر ٢٣٢ (مدارس عربى) ص ٢١٧٩ رقم ١ من ناظر مدرسة الخرطوم فى غرة شعبان ١٢٦٨

(٢) دفتر ٢١٠ (مدارس عربى) ص ٢٧٥٢ رقم ٣٣٥٦ الى ناظر مدرسة الخرطوم فى ٥ شوال ١٢٦٨

(٣) دفتر ٢٤٩ (مدارس عربى) ص ٢٣٨٥ رقم ٩٠٠ الى ناظر مدرسة الخرطوم فى ٩ ربيع الأول ١٢٦٩

وصرف ثلاثة أشهر (ترحيلة) لكل منهم وهم (١) :

من ديوان المدارس : ١ — القائمقام مصطفى السبكى أفندى		طبيب
٢ — الملازم أول أحمد عبد الله	»	مهندس
٣ — اليوزباشى عبد الله حسين	»	»
من السكة الحديد : ٤ — صاغقول أغاسى خليفة محمد	»	»
٥ — يوزباشى أول مصطفى السراج	»	»

ودخلت مدرسة الخرطوم فى طور جديد ، أما فى الخرطوم فالحكدار يعقد الاجتماعات ويرسل الرسل ليأتوا بالتلاميذ ويعيد لهم معداتهم ، ورفاعة يعلل ديوان المدارس من وقت لآخر بأنه « حاصل الاجتهاد وإن شاء الله فى شهر شعبان سنة ٧٠ يصير تقدم التلامذة وعمل امتحان بحضور أرباب العرفان ويصير توجه إلى المدارس »(٢). ولكنه يمضى فى تراجمه وتآليفه ونظم قصائده لأصحاب النفوذ ملتمساً أن يتوسطوا لإعادته(٣) مستشعراً الحرمان لما أقدمت عليه السلطات فى مصر من

(١) دفتر ٢٤٧ (مدارس عربى) ص ٢١٥٦ رقم ٣٠٥ إلى المالية فى ٨ ربيع الأول ١٢٦٩

(٢) دفتر ٣٢١ (مدارس عربى) ص ٩٢٠ رقم ٤ من ناظر مدرسة الخرطوم فى ١١ ربيع الأول ١٢٧٠ .

(٣) ترجم رفاعة وهو بالخرطوم « وقائع تلماك » وقد طبع فى بيروت ، ومن قصائده تلك القصيدة التى يقول فيها :

رفاعة يشتكى من عصبة سحرت   لما رأت أجر العرفان قد زخرت
فارفع ظلامة مصر عدلك ادخرت   وهاك جوهر أبيات بك افتخرت
جاءت إليك بخط الذنب ترقمه

=

عجز (مرتبه) بحجة ضرورة الانتظار حتى ينتهى جرد الكتبخانة الأفرنجية التى كانت بمدرسة الألسن [١] .

أما فى القاهرة فالخلاف ناشب بين ديوان المدارس وديوان المالية حول الجهة التى تصرف عليها نفقات المدرسة : حكمدارية السودان أو ديوان المدارس [٢] .

واستمر الخلاف بين الدواوين منذ فتحت المدرسة حتى ألغيت .

ويبدو أن رفاعة قد استيأس من عودته فلم يربدأ من العمل ، وكان ذلك قبل إلغاء المدرسة بنحو ستة شهور ، ويلوح أنه لم تنجح فيها تجربة تعليم أبناء البلاد فقد « تعلم فيها التلاميذ من أبنـــاء المصريين القاطنين هناك طرفاً من النحو والحساب والهندسة وحسن الخط » [٣] .

وكانوا أول الأمر ٣٦ تلميذا ، وعلى الرغم من مجهود سعادة الحكمدار بفتوح

= وأخرى يقول فيها :

ثلاث ســـنين بالخرطوم مرت   بدون مدارس على المـــراد
وكيف مدارس الخرطوم ترجى   هنـاك ودونها خرط القتاد
ثم ترجى المصانع وهى أخرى   لتأييد المقاصـــد بالمبادى

رفاعة رافع : مناهج الألباب ص ٢٦٨ — ٢٧٩ .

(١) دفتر ٣٢١ (مدارس عربى) ص ٨٣٩ رقم ٤٥٢ من المالية فى ١٧ ربيع الأول ١٢٧٠ .

(٢) دفتر ١٦٨ (مدارس عربى) ص ٦٣ رقم ٢ الى حكمدارية السودان فى ١٣ ذى القعدة ١٢٦٦ ، دفتر ٣١٩ (مدارس عربى) ص ٤٨٠ رقم ٢٥٣ من المالية فى ٦ صفر ١٢٧٠

(٣) رفاعة رافع : مناهج الألباب ص ٢٨٠

المدرسة وإدارتها ، لم تزد بعد شهر ونصف شهر سوى سبعة تلاميذ ، وقد توسم رفاعة في عشرة منهم التفوق على أقرانهم فخصهم بقراءة القرآن وحفظه وإعراب الأجرومية وحفظ مفردات وجمل تركية وخط الثلث والحساب ليكونوا « قريباً مقدمين على أقرانهم وقدوات للمدرسة » ، وطلب رفاعة كتبا في التركية والنحو والصرف والحساب مما يستعمل في المدارس المصرية[1]

وسر عباس لهذه الباكورة الطيبة ، وكتب ديوان المدارس إلى حكمدار السودان يبلغه « ممنونية الجناب العالى ورغبته » في سرعة توريد باقي الأنفار اللازمة للمدرسة[2] وفي إجراء امتحان تلامذتها في شعبان ١٢٧٠ أسوة بالمدارس في مصر[3] .

وعقد الامتحان في موعده في اجتماع حافل حضره حكمدار السودان ورئيس مجلس الدعاوى بالسودان وبعض الأعيان والعلماء والمفتى والقاضي وأرسل جدول الامتحان إلى القاهرة[4] وطلبت كتب جديدة[5] . ولكن عباسا كان قد مات فجأة

(١) دفتر ٣١٩ (مدارس عربي) ص ٣٩٩ رقم ٦ من حكمدارية السودان في ٣ ربيع الثاني ١٢٧٠ وص ٤٢٩ رقم ٢ من ناظر مدرسة الخرطوم في ١٧ جمادى الأولى ١٢٧٠

(٢) دفتر ٢٩٢ (مدارس عربي) ص ٥٥ رقم ٤ إلى حكمدار السودان في ٥ صفر ١٢٧٠ ورقم ٦ في ٨ جمادى الأولى ١٢٧

(٣) دفتر ٣٢٩ (مدارس عربي) ص ٢٤٣٠ رقم ٨ من مدرسة الخرطوم في ٦ شعبان ١٢٧٠

(٤) دفتر ٣٣١ (مدارس عربي) ص ٢٩٤٠ رقم ١١ من حكمدارية السودان في ١٥ ذي القعدة ١٢٧٠

(٥) دفتر ٣٢٩ (مدارس عربي) ص ٢٥٦٥ رقم ١٠ من مدرسة الخرطوم في ١٣

وتولى سعيد (يوليه ١٨٥٤) ولم تمض على توليه سبعة أيام حتى وضع حداً لهذا كله ، فصدر أمره بإلغاء المدرسة « لعدم ظهور أدنى ثمرة فيها » ، ولم يتريث رفاعة ريثما تم جرد حسابات المدرسة بل ترك أحد المعلمين وكيلا عنه وأسرع هو إلى مصر[1] . وصدر أمر الديوان بصرف بعض استحقاقه الذى كان محجوزاً « لسداد الديون الراتبة وتجهيز لوازم السفرية لأجل عدم تكدير خاطر المير الموى إليه »[2] !

— — —

رمضان ١٢٧٠ (مصاحف ، سنوسية ، تحفة وتأديب الأطفال ، هندسة ، حساب ، جغرافية وخرط .. الخ)

(١) محفظة ٤ (معية تركى) رقم ١٥٠ من وكيل الديوان الخديو الى كاتب ديوان خديو فى ١٩ المحرم ١٢٧١

(٢) دفتر ٣٢٣ (مدارس عربى) ص ٥٤ رقم ٢ الى حكمدارية السودان فى ٨ ربيع الأول ١٢٧١

الفصل الرابع

البعوث العلميــــة

اختلف المؤرخون في هذه الناحية من حكم عباس : فمنهم من رأى أن عباسا قد أهمل ما درج عليه محمد علي من إرسال الشبان من مصر إلى أوروبا ليأخذوا عن الأوروبيين لغاتهم وعلومهم ، ومنهم من عني بالدفاع عن عباس فراح يثبت أنه لم يهمل هذه الناحية ، بل استمر يرسل البعوث إلى أوروبا وأرسل منهم عدداً لا بأس به يتفق وعهد حكمه القصير .

فجورجي زيدان يذكر [1] أن عباسا لم يرســـل إلى أوروبا طوال حكمه سوى تسعة عشر طالبا ، بلغ مجموع ما أنفقه عليهم ٤٩,٦٧٥ جنيها وتابعه في ذلك كل من يعقوب أرتين باشا [2] وأمين سامي باشا [3] .

وزاد الأخير أن عباسا لما تولى أمر في الحال بعودة ٣٧ من طلبة البعوث بباريس ومن ضمنهم الذين كانوا على قيد الحياة (وكان قد توفي منهم الأمير حسين) وفي غضون سنة ١٢٦٥ (١٨٤٩) أمر عـــباس بعودة سبعة آخرين من البعوث منهم

---

(١) آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٣٣ .

(٢) Artin Pacha . L'Instruction publique en Egypte, Annexe E.

(٣) أمين باشا سامي : التعليم في مصر ص ١٤ .

على مبارك (باشا) وعرفى (باشا) [١] .

والسيد عبد الله نديم يذكر فى مجلته أن عباسا أرسل ثمانية وأربعين طالبا أنفق عليهم جميعا ٨٢,٩٢٣ جنيها .

وأخيراً نهض سمو الأمير عمر طوسون « ليجلو هذه الناحية ، من حكم عباس وقد رأى « أنها مقيبة بيضاء » . فعمد سمو الأمير فى بحثه [٢] على ما وصلت إليه يده من دفاتر دار المحفوظات (بالقلعة) فأثبت أن عباسا قد أرسل إلى أوروبا تسعة وعشرين طالبا نقل أسماءهم ، ثم زاد عليهم اثنى عشر آخرين عثر على أسمائهم فى مجموعة بمخلفات جده المرحوم محمد سعيد باشا . فيكون ما ذكره سمو الأمير واحداً وأربعين طالبا سماهم بأسمائهم وترجم للكثير منهم .

وزاد سمو الأمير على ذلك أن « قصر مدة عباس باشا الأول فى الحكم تشفع له قلة عدد من أرسلهم فى عهده ، خصوصا إذا عرفنا أن كثيرين ممن أرسلوا فى عهد محمد على كانوا لايزالون يتعلمون فى أوروبا مدة حكمه ، فهو من هذه الجهة لايعد مقصراً ولا يصح رميه بشل حركة التعليم فى أوروبا ولا وصفه بالضن على هذا الضرب من الثقافة التى كانت مصر ولا تزال فى حاجة إلى التزود منها » .

وأما ما ذكر عنه من أنه أثر توليه الحكم أمر بإرجاع البعثة العسكرية التى أنشأ لها جده المدرسة الحربية المصرية بباريس ثم أغلق هذه المدرسة فيرفضه سمو الأمير

---

(١) أمين باشا سامى . تقويم النيل . عصر اسماعيل م ٢ ج ٣ ص ٤٤٢

(٢) الأمير عمر طوسون : البعثات العلمية فى عهد محمد على ثم عباس و سعيد ص ٤١٦ — ٤٨٧

— معتمداً على دفاتر دار المحفوظات وغيرها — بأنه إنما أرجع بعضهم وأبقى البعض الآخر . وأنه ظل يعطف على هؤلاء الباقين الذين أتموا تعليمهم فى عهد هذه المدرسة حتى آخر أيام حكمه . وأضاف الأمير إلى ذلك أن عباسا أبقى الخمسة والعشرين تلميذاً الذين أرسلوا لتعلم الميكانيكا بانجلترا فى عهد محمد على حتى أتموا تعليمهم فى عهده .

ويعلل سمو الأمير إلغاء المدرسة العسكرية المصرية بباريس بأن عباساً رأى أن مصر قد اكتفت من التعليم العسكرى . ولذلك لما أرسل بعوثه لم يكن فيها من أرسله لتعلم الفنون العسكرية بل كان أغلب هـــذه البعوث طلبة أرسلها إلى النمسا وإيطاليا وانجلترا . ولم يرسل إلى فرنسا إلا ثلاثة فقط لتحصيل علم الفلك . « ومن هنا شعرت فرنسا بانصراف هذا العاهل عن الاتجاه إليها خصوصا بعد ما نحى عن مناصب الحكم فى بلاده أكثر الأجانب وبخاصة الفرنسيين فجاء ذكره على ألسنة مؤرخيها مشوباً بالقدح خاليا من المدح » .

ويقبل مؤرخ معاصر — الأستاذ هيورث دن — (١) هـــذه الآراء فى الدفاع عن عباس ، ويزيد عليها — فى معرض الدفاع عن إلغاء المدرسة المصرية بباريس — أن كثيراً من الطلبة الذين أرسلوا فى سنة ١٨٤٤ كانوا قد أتموا مقرراتهم ووجب عليهم أن يعودوا إلى مصر ، وينقل عن جورجى زيدان أن ثورة ١٨٤٨ فى فرنسا قد أثرت فى المدرسة وجعلت من الضرورى إلغاءها وقد بطلت فائدتها . إذ أدت الغرض من إنشائها ولم يعد الحاكم الجديد بحاجة إليها ، ويكون أكثر فائدة للطلبة الجدد إذا نجحوا فى التردد على بيوت فرنسية ومدارس فرنسية . هذا إلى أن عباسا لم يقصر بعوثه على

---

(١) Dunne, op. cit. p. 301-302.

فرنسا ، بل فضل أن يرسل طلابه إلى بلاد شهيرة فى علوم مختصة بها كالطب فى ألمانيا والنمسا والهندسة فى انجلترا .

هذا ملخص لآراء الكتاب والمؤرخين الذين تعرضوا لهذه الناحية من حكم عباس . وسنحاول أن نحصو وجه الحق فيها معتمدين — ما استطعنا — على الوثائق التى أتيح لنا الاطلاع عليها من قسم المحفوظات التاريخية بديوان جلالة الملك .

أما عن إعادة الطلبة الذين أرسلهم محمد على إلى أوروبا فالثابت أن عباساً قد أمر بأن يعاد إلى مصر الأمراء من أبناء محمد على وإبراهيم وأكثر الطلبة الذين أرسلوا معهم إلى فرنسا فى سنة ١٨٤٤ ، ثم أمر بإلغاء المدرسة المصرية التى كانت أنشئت لهم بباريس [١] على أثر الحوادث السياسية التى جرت فى ذلك الوقت (سنة ١٨٤٨) [٢] . والواضح أن أمر العودة قد اقتصر على الطلبة الذين كانوا يدرسون الفنون العسكرية لما رآه — كما يقول الأمير عمر طوسون — من أن مصر قد اكتفت من التعليم العسكرى وأن الأجدر بها أن تزيد من فروع المعارف الأخرى . هذا إلى ما كانت تقتضيه المدرسة المصرية بباريس من طائل النفقات التى لحظها إبراهيم باشا عند زيارته لطلبتها أثناء رحلته بباريس حتى قال عنهم « لقد غدا كل منهم سلطاناً » [٣] .

---

(١) دفتر ١٤٢ (مدارس عربى) ص ٤٤٨ رقم ١٨٧ الى الحسابات فى ٢٣ ذى الحجة ١٢٦٥ ودفتر ٢١٣٢ (مدارس تركى) ص ٣٥ رقم ١٧ الى خزينة المدارس فى ١٨ ذى الحجة ١٢٦٥ ودفتر ١٤٨ (مدارس عربى) ص ١٧٦٥ رقم ٢٥٢ الى الديوان الكتخداوى فى ٥ جمادى الأولى ١٢٦٦ ودفتر ٤٦٩ (معية تركى) ص ٩٥ رقم ٥٠١ من المعية الى الجهادية فى ١٨ صفر ١٢٦٦

(٢) Sachot, op. cit. p. 95.

(٣) Artin Pacha : op. cit. p. 85.

ونستطيع أن نضيف إلى ذلك ما نعرفه فى عباس من قلة ثقته بالعهد الماضى ونظمه وسياسته ومعاهده وأساتذته وطلبته . وكان طبيعيا أن يقع أمر عودته على الطلبة الذين يعتبرون أكثر اتصالا بهذا العهد وهم الأمراء وطلبة الفنون الحربية . يدل على ذلك أن الطلبة الذين سمح لهم بالبقاء فى فرنسا — ولدينا أسماؤهم — كانوا يتعلمون الطب أو الصيدلة أو الهندسة أو الفنون ، بل أن من هؤلاء من مدّ لهم عباس فى الإقامة بباريس حتى آخر عهده، وبذلك أقاموا بها أكثر من عشر سنوات ، ولم يعودوا إلى مصر إلا فى عهد سعيد [١] .

لم تنحل اذن « الرسالة المصرية » بباريس ، كما ذكر على باشا مبارك [٢] بل ظلت قائمة بعد إلغاء المدرسة المصرية بباريس .

ولم يقتصر عباس فى رسالته بباريس على بعثة الفلك المؤلفة من ثلاثة أعضاء ، بل أرسل كذلك — كما سنوضح بعد — بعثة أخرى من بعض خريجى مدرسة العمليات لدراسة « العربات » فى فرنسا ، وهذه البعثة أغفلها الكتاب والمؤرخون الذين درسوا البعثات المصرية فى حكم عباس ، كما أغفلوا ذكر بعثة كبيرة هامة مؤلفة من ثمانية عشر طالبا من طلبه المحروزة أرسلهم عباس إلى ألمانيا والنمسا فى سنة ١٢٦٨ وأمر سعيد بإعادتهم على أثر توليه حكم مصر

---

(١) انظر قوائم بأسماء الطلبة المقيمين فى أوروبا فى أوائل حكم سعيد باشا فى محفظة « معية تركى » رقم ٥٦ من عدلى شكرى باشا إلى كاتب ديوان الخديو فى ٧ ربيع الأول ١٢٧١ .

(٢) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٢ .

فإذا كان سمو الأمير عمر طوسون يرى أن الرقم الذى ذكره السيد عبد الله نديم (وهو ٤٨ طالبا) « لا يزال محتملا للصحة » . فإنا نجزم — على ضوء الوثائق التاريخية التى سنشير اليها تفصيلا بعد قليل — أن هذا الرقم أقل من الرقم الصحيح . ويتضح ذلك من البيان الوجيز الآتى عن عدد مبعوثى عباس إلى أوروبا :

١١ طالبا : لدراسة الطب فى ميونيخ . صدر الأمر بسفرهم فى ٢١ رجب ١٢٦٥ (مايو ١٨٤٩) .
٢ طلاب : لدراسة الفلك فى فرنسا . صدر الأمر بسفرهم فى رجب ١٢٦٦ (مايو ١٨٥٠) .
٦ طلاب : من مدرسة العمليات أرسلوا إلى فرنسا فى أوقات مختلفة
١٦ طالبا : لدراسة الطب فى أدنبرة وڤينا وبيزا . صدر الأمر بسفرهم فى ٢٣ ذى الحجة ١٢٦٦ (أكتوبر ١٨٥٠) .
١٨ طالبا : من مدرسة المفروزة لدراسة الطب فى برلين وڤينا . صدر الأمر بسفرهم فى رجب ١٢٦٨ (ابريل — مايو ١٨٥٢) .
١ طالب : أرسل على نفقة الحكومة إلى انجلترا (رزق الله أفندى) .
٢ طالبان : إلى فرنسا .
٥٧ طالبا : هم مجموع الطلاب الذين أرسلوا إلى أوروبا فى عهد عباس الأول (١٨٤٨ — ١٨٥٤) يضاف إليهم :
٤ طلاب : أرسلوا من الآستانة إلى باريس ليتمموا على نفقة الحكومة المصرية فيكون المجموع :
٦١ طالبا

وهاك تفصيل هذا البيان :

(١) بعثـــة الطب إلى ميونيـــخ

فى أوائل سنة ١٢٦٥ (١٨٤٨) أصدر عباس باشا أمره إلى طبيبه الخاص — برونر بك — بانتخاب تسعة من نبهاء الطلبة على أن يكون عمرهم حوالى الخمس عشرة أو الست عشرة سنة لايفادهم إلى أوربا لدراسة الطب. وكان « نبهاء الطلبة » من جميع المدارس قد جمعوا إذ ذاك بالمكتب العالى الذى تحول بعد قليل إلى أوردة أو مدرسة المفروزة. فاختار برونر بك التسعة الطلاب الآتية أسماؤهم :[١]

(١) مراد يوسف (٢) مصطفى النجدى	من مدرسة الألسن .
(٣) سالم سالم (٤) خليل ابراهيم (٥) حسن الألفى	من مدرسة الطب البشرى .

---

(١) دفتر ٢١٢٦ (مدارس تركى) ص ٧٥ رقم ٨ إلى ديوان التجارة فى ٢٣ رجب ١٢٦٥ ، دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ١٩٩٠ رقم ٣٧٩ إلى مدرسة الطب فى ٢٨ جمادى الثانية ١٢٦٥ و ص ١٩٨٩ رقم ٥٦٧ إلى مدرسة الألسن فى ٢٨ جمادى الثانية ١٢٦٥ و ص ٢١٠٠ رقم ٦٦٧ إلى مدرسة الألسن فى ٢١ رجب ١٢٦٥ .

(لم يذكر أمين باشا سامى شيئا عن هذه البعثة فى كتابه : تقويم النيل وعصر محمد وسعيد م ١ ج ٣ ص ٧٢ أما الأمير عمر طوسون فذكرها وترجم لأعضائها ص ٤١٨ — ٤٣٦).

(٦) مصطفى خالد
(٧) محمد عمر
(٨) محمد على رضا
(٩) إبراهيم مصطفى بوشاق

من المكتب العالى

وقد رتب لكل منهم فى الشهر ٢٦ / ٢٤١ قرشا عدا قليل من النقود تصرف لأهلهم فى مصر فى كل شهر[1] .

واختيرت لهم مدرسة مونبيلييه الطبية للدراسة ، وعين ناظراً عليهم « البارون دوبريل » أحد المشرعين المعتبرين تلك البلدة »[2] . وقد نظم « روزبك » شئونهم الدراسية وكانت ترد إليه التقارير من ناظرهم عن دروسهم وحساباتهم فيدرسها ثم يرفعها إلى الوالى ، ثم أحيل ذلك على ديوان المدارس[3] . وبعد نحو عام لحق بهم تلميذ أرمنى يدعى يوسف خشادور « نجل الخواجه » خشادور[4] ، ثم آخر فى تاريخ لا نعلمه

---

(١) دفتر ١٢٩ (مدارس عربى) ص ٢١٤٣ رقم ٤٠٤ إلى قلم الحسابات فى ١٢ شعبان ١٢٦٥

(٢) وكان بعض هؤلاء الطلاب اختير فى حياة ابراهيم باشا فى دفعة طبية إلى فرنسا ثم لم يتم الامر لوفاته (انظر ترجمة سالم باشا سالم بقلمه فى . الخطط التوفيقية م ٤ ج ١٤ ص ١٢٦

(٣) دفتر ٤٧٥ (معية تركى) رقم ٢٢٤ من الجناب العالى الى أدهم باشا فى ٧ ذى الحجة ١٢٦٦

(٤) دفتر ٤٦٩ (معية تركى) ص ١٤٣ رقم ٧٧٥ من المعية الى مفتش المبيعات والتجارة فى ٦ رجب ١٢٦٦ ودفتر ١٥٥ (مدارس عربى) ص ٢١٠٤ رقم ١٢٣٠ الى الحسابات فى ١٢ رمضان ١٢٦٦

يدعى « سوتريوس باقسيس » [١] .

وكان سفر هذه البعثة إلى ألمانيا من مظاهر اتجاه عباس أول حكمه إلى الثقافة الطبية الألمانية .

ولم تكن هذه أول مرة ترسل فيها بعثة طبية للدراسة فى ألمانيا أو النمسا . فقد سبقتها فى سنة ١٨٤٥ (١٢٦١) بعثة من طبيبين لدراسة الرمد فى النمسا [٢] .

وقد نبغ من أعضاء البعثة بمونيخ نفر عدوا أعلامهم فى تاريخ الطب فى مصر

فسالم سالم (باشا) عين أستاذاً بمدرسة الطب ورئيساً بالباطنة لها وطبيباً خاصاً للخديو توفيق . وفى سنة ١٨٨٠ عين رئيساً للجنة التى كلفت بإعادة تنظيم المصلحة الصحية ثم رئيساً لمجلس الصحة العمومية وعضواً بمجلس المعارف الأعلى [٣] .

ومصطفى الجدى (بك) وحسن محمد الألفى (بك) كانا من أساتذة المدارس المصرية وموظفى أقسام الصحة . على أنه يلوح أن الثقة لم تراع فى تخير أعضاء هذه البعثة وخاصة أولئك الذين اختيروا من غير مدرسة الطب . فلم تمض أشهر حتى أعيد إلى مصر « مصطفى خالد » وأصله من طلبة المكتب المالى [٤] وما لبث البارون

(١) دفتر ٢٩٧ (مدارس عربى) ص ٢٩-١٠ ، نمرة ٣٤١ إلى المسيو لوماروندوبريل فى ٢٦ صفر ١٢٧٠ . وبعد عودة هذا الطالب إلى مصر بأمر عباس باشا عاد سعيد باشا فأرسله ثانية إلى فرنسا لدراسة الطب — دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ٩٨ رقم ٣١ أمر كريم إلى ناظر الدواوين فى ١٨ جمادى الثانية ١٢٧٥ .

(٢) تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ٤٤٧

(٣) انظر ترجمته فى الخطط التوفيقية م ٤ ج ١٤ ص ١٢٦ — ١٢٧ والبعثات العلمية للأمير عمر طوسون ص ٤٢١ — ٤٢٨ .

(٤) دفتر ١٤٣ (مدارس عربى) ص ٧٥٢ رقم ٢١ إلى الدائرة الخاصة فى ٢٦ المحرم سنة

« وكيل » أو « ناظر » أو « مأمور » تعليم التلامذة المصريين فى مونبلييه أن شكا مما يلقاه من بعض الطلبة من سوء الخلق ورفع أمرهم إلى السلطات بالقاهرة، حتى إذا لم تجبه إلى ما طلبه من إعادتهم إلى مصر رفع استقالته[1] . ولكن الديوان كتب إليه بأن ولى النعم يشكر فضله ويثنى « الثناء الجميل على ما حصل لكم من التعب والمشقة والاهتمام المتسبب لكم من خدمة حكومته وأنه استصوب عدم حرمان الحكومة من فوائد حسن التربية التى يصير الحصول عليها للتلميذين المذكورين تحت حسن إدارتكم . إذا كان يصير إبقاؤهما ليستمرا على دروسهما حتى يصير الحصول على تتميمها . . . . ومأمول ولى النعم الأصفى أن لا يحصل لجنابكم قلق من التعب والمشقة التى تحصل من إدارة هؤلاء التلامذة . . . وقد أناط جنابكم ترتيب الجزاء اللازم على التلاميذ المذكورين لأجل تهذيب أطوارهم بموجب الأصول والقوانين الجارية فى المدارس بطرفكم . . . حتى . . . لا يحصل اضطرار بترتيب جزائهم بالارجاع إلى مصر حيث يترتب على ذلك من غير شك ضياع المصاريف المصروفة عليهم لغاية الآن » . أما عن شكوى الطلبة من « التشديد الحاصل عليهم . فسعادة أفندينا الأصفى الأعظم حاصل له غاية السرور من إجراء هذه الطريقة الجيدة فى تربية التلامذة التى ليست مثل الطريقة المخلة الجارى عليها العمل فى حق أغلب التلامذة المصريين لغاية الآن ببلاد أوروبا ولم يترتب عليها نتيجة غير إعطا تلامذة فلتانين

= ١٢٦٦ ويذكر الأمير عمر طوسون (ص ٤٣٦) أن مصطفى بك أتم دراسته وعاد فى نوفمبر ١٨٥٥

(١) دفتر ١٩٨ (مدارس عربى) ص ٢١٨ رقم ١٩ إلى ديوان التجارة فى ١٨ المحرم ١٢٦٨

لحكومة مصر ..... »(١) .

أما الطلبة فوجه إليهم الديوان خطابا شديد اللهجة ذكر لهم فيه أنه لما عرض أمرهم على « الأصفى الأعظم » « اتضح لسعادته أنكم لم تحوزوا درجة التمدن والتأدب التي هي مقصد سعادة أفندينا ولي النعم من إرسالكم إلى تلك البلاد ، بل إنكم لم تزالوا متمسكين على طباع الخونة التي هي طباعكم الأصلية . واعلموا يا أيها التلامذة بموجب النطق العالي أننا مأمورين بأن نفيدكم أنه من تكرر منه حصول مثل هذه الحركات الغير مرضية فلا بد أن يصير إرجاعه إلى مصر من غير شك ، وبعد رجوعه يصير إرساله إلى قريته ليصير تشغيله بها في أشغال الزراعة كما كان . بخلاف أن من رجع لهذا الطرف بوجه الشرف ومعه الشهادات اللازمة بحسن السلوك وبأنه حائز المعارف النافعة لوطنه فإنه يكون من غير شك أهلا للتكرمات الأصفية ونيل الترقيات من سعادة ولي النعم ، وقد تحرر لكم هذه الشقة إيقاظا كي لا تلوموا إلا أنفسكم فيما بعد »(٢) .

ولكن هذا التهديد لم يجد : فقد تطاول الطالبان خليل إبراهيم (ويكتب أحيانا إبراهيم خليل) و (أصله من طلبة مدرسة الطب) ومحمد عمر (وأصله من طلبة المكتب العالي) على ناظرهم بالسب والشتم ، فقرر ديوان المدارس استدعاءهما إلى مصر . وقد وصلا بالفعل في أواخر سنة ١٢٦٨ (سبتمبر ١٨٥٢) بعد أن قضيا بالخارج نحو ثلاث

---

(١) دفتر ٢٣٨ (مدارس عربي) ص ٣٦٠ رقم ٧١ إلى المسيو البارون دوبريل ناظر التلامذة المصريين بمدينة مونيخ في ٥ ذي الحجة ١٢٦٨ .

(٢) دفتر ٢٣٨ (مدارس عربي) ص ٣٦١ رقم ٧٢ إلى التلامذة المصريين بمدينة مونيخ في ٥ ذي الحجة ١٢٦٨ .

سنوات [1] . ولم يكتف الديوان بذلك بل رتب جزاءهما وفقا للمادة ٣٥٨ من قانون الداخلية حيث أن جرمهم شديد باعتبار أنهم أفراد جاهلون سيعملون لصالح البلاد على حساب الحكومة ، فقرر إرسال إبراهيم خليل لجبل قيسون لمدة ثلاث سنوات وعند نهايتها يرسل جنديا لأحد الآلايات ، وكذلك قرار استخدام محمد عمر ، مدرساً في المدارس لأنه أصغر التلاميذ سناً فهو أقل جرماً بالنسبة لهم ، ووافق مجلس الأحكام على هذا القرار وصدق عليه الوالي [2] .

وأبلغ القرار إلى البارون دوبرين ، مبعوث (الخديو) الخاص على عبرته

---

(١) دفتر ٢٧٤ (مدارس عربي) ص ٣٧٢ رقم ٨ من ديوان التجارة في ٢٣ ذي الحجة ١٢٦٨ .

(٢) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٢٥ من عباس الى مدير ديوان المدارس في ١٠ صفر ١٢٦٩ ، ويذكر عمر الأمير عمر طوسون في ص ٢٩ أن « خليل ابراهيم » عاد الى مصر في ٢٢ نوفمبر ١٨٥٢ ، ووظف بجبل قيسان ثم التحق بالبحرية » ، في ص ٣٢ « أن محمد عمر ، عين بعد رجوعه الى مصر رساما بالمهندسخانة ويعجب عمره لهذا الأمر ويستنتج منه أنه قد تعلم فيما تعلمه فن الرسم ، فلما عاد إلى مصر عين مدرسا له بالمهندسخانة . والواقع أن الأمر — على النحو الذى شرحنا — لا يدعو الى العجب ، فقد ألحق تلميذا بالمهندسخانة تنفيذاً للقرار المتقدم ، وعومل بها معاملة التلاميذ (دفتر ٢٨٤ مدارس عربي ص ٢٣٩١ رقم ٥٠٢ من المهندسخانة في غاية جمادى الثانية ١٢٦٩) ويظهر أنه انتهز فرصة تولى سعيد باشا فخرج من المهندسخانة ولم يعد اليها وتوصل الى الالتحاق بالمعية وطلب أن يمتحن فامتحن (دفتر ٣٣٣ مدارس عربي ص ١٠٧ رقم ٢٤ الى المعية الخديوية في ٦ المحرم ١٢٧١) أما خليل ابراهيم فقد ألحق مرة ثانية بالبعثة التى أرسلها سعيد باشا في سنة ١٨٦٢ الى موينخ وكان له مع ناظرها قصة انظر فيما بعد فصل البعثات العلمية في عصر سعيد .

وإخلاص[1] . وكذلك كتب به إلى الطلبة حتى يكون لهم مما حل بزميليهم عظة ، حتى يتحسن سلوككم وتطيعوا أوامر من فوقكم . . . وتعلموا أن معارف الشبان إذا لم تكن مستندة إلى حسن السلوك فلا يكون لها ثمرة من غير شك بالنسبة لهؤلاء الشبان أنفسهم ولسعادة وطنهم »[2] .

ومضى على ذلك عام ، والطلبة المصريون الستة جادون في دراستهم . وفي أوائل سنة ١٨٥٤ نال أربعة منهم دكتوراه الطب . أما الطالبان الأرمنيان يوسف خشادور وسوتريوس ياكسيس فكان لهما شأن آخر : فقد شكا البارون ما يلقاه من سلوك الأول وذكر عن الثاني أنه لا يؤمل نجاحه بسبب ضعف حافظته ، فكتب إليه الديوان بإعادتهما سريعا[3] . وأعيد الثاني ولكن الأول ، لم يمكن ضبطه لكونه

---

(١) دفتر ٣٤٥ (مدارس عربي) ص ١٧٥٧ رقم ٤٧٣ إلى البارون دوربك ناظر التلامذة المصريين بمدينة مونيخ في ٢٢ صفر ١٢٦٩

(٢) دفتر ٣٤٥ (مدارس عربي) ص ١٧٥٧ رقم ٤٧٤ إلى التلامذة المصريين بمدينة مونيخ في ٢٢ صفر ١٢٦٩ ، ولم يكن جميع هؤلاء الطلبة على نزاع مع ناظرهم . يقول سالم — وهو أكثر هؤلاء الطلبة نجاحا (من ترجمة حياته في الخطط التوفيقية ج ١٤ ص ١٢٦) « فأحسن (ناظرهم) ترتيبنا واشتغل بنا مع كمال النصيحة والاعتناء بحصيلنا وما من مدة تحت نظارته ابتداء على اللغة النمساوية ولم يأل جهداً في تحصيل الدروس الطبية مع باقي اللغات الضرورية كاللغة الفرنساوية والانكليزية وما لزم من اللغة اليونانية واللاتينية مع تمريننا على اكتساب عوائد الأوروباوية بإدخالنا الجمعيات الحافلة وزيارة العائلات الشهيرة والسياحات المتعددة في جهات جبال ذلك القطر وغيرها ... الخ » .

(٣) دفتر ٢٩٧ (مدارس عربي) ص ١٠٢٨ رقم ٣٤١ إلى المسيو لوبارون دوربك في ٢٦ صفر ١٢٧٠ وص ١٠٩٤ رقم ٥٢٢ في ٩ ربيع الأول ١٢٧٠

محل تحت حماية قنصل اليونان » (١) .

ثم صدر أمر عباس باشا بانتقال الطلبة من مونيخ إلى ڤينا (٢) « لأجل الحصول على المعلومات الطبية العملية » (٣) . ولما تولى سعيد باشا عد لهم فى التمرين العملى سعبوا إلى برلين حيث قابلوا مشاهير الأطباء ووقفوا على أعمالهم ثم عادوا إلى ڤينا . وفى أواخر سنــــــة ١٢٧١ (١٨٥٥) صدر الأمر برجوعهم جميعا إلى مصر ، وقد نال الدكتوراه منهم الأطباء سالم سالم ، حسن الألفى ، مصطفى النجدى ، مراد يوسف .

٢ — بعثــــات إلى فرنســـــا

قلنا إن عباسا الأول أمر باستدعاء أكثر الطلبة الذين كانوا يدرسون الفنون العسكرية بفرنسا وأمر بإلغاء المدرسة المصرية التى كانت أنشئت لهم بباريس ، ولكنه أبقى — عدا بعض طلبة بعثة سنة ١٨٤٤ (أو بعثة الأمراء) — أعضاء البعثات التى أرسلت من مصر بعد هذا التاريخ ، ومنهم عضوا البعثة اللذان أرسلا فى سنة ١٨٤٥ (١٢٦١) إلى فرنسا لدراسة الصيدلة ، وكذلك الأعضاء الأربعة الذين أرسلوا فى سنة ١٨٤٧ إلى فرنسا لدراسة الطب والصيدلة ، وقد عاد نفر منهم فى خلال حكم عباس

---

(١) دفتر ٣٢٩ (مدارس عربى) ص ٢٣٨٤ رقم ٢٠٥ من التجارة والمبيعات فى ٢٢ رمضان ١٢٧٠ وفى عهد سعيد سافر الطالب سوتيريوس پاكيس إذنا بالعودة إلى فرنسا لدراسة الطب .

(٢) دفتر ٣٠٣ (مدارس عربى) ص ١٢٦٥ رقم ٧٦ فى غرة رجب ١٢٧٠ إلى ديوان التجارة والمبيعات .

(٣) من ترجمة سالم باشا سالم فى الخطط التوفيقية ج ١٤ ص ١٢٧

وظل آخرون يدرسون بفرنسا حتى أوائل حكم سعيد باشا [١].

وأمامنا وثيقتان هامتان [٢] تثبتان أسماء الطلبة الذين كانوا يدرسون بأوروبا في أوائل حكم سعيد، ومنهم نفر أرسلوا إلى فرنسا في عهد محمد علي ثم أذن لهم عباس بالبقاء فظلوا يدرسون بفرنسا حتى تولى سعيد باشا. ونذكر فيما يلي أسماءهم وتاريخ إرسالهم ومواد دراستهم :

(١) أوهان أسطفان : سافر إلى فرنسا في ١٦ شعبان ١٢٦٠ (١٨٤٤) ثم صدر أمر عباس بانتقاله إلى لندن في غرة ذي القعدة ١٢٦٩ (١٨٥٣) لدراسة اللغة الانكليزية

(٢) يوسف أسطفان : سافر إلى فرنسا في ١٦ شعبان ١٢٦٠ (١٨٤٤) وكان يدرس الهندسة.

(٣) شحاته عيسى : سافر إلى فرنسا في جمادى الثانية ١٢٦٠ (١٨٤٤) وكان يدرس الهندسة.

(٤) حسن نور الدين : سافر إلى فرنسا في جمادى الثانية ١٢٦٠ (١٨٤٤) وكان يدرس الهندسة، وقد عاد إلى مصر في جمادى الثانية ١٢٧٢ (١٨٥٥) وألحق بمعية موجي بك [٣]

---

(١) انظر عن هذه البعثات كتابنا تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ٤٤٧ — ٤٤٩

(٢) محفظة رقم ٥ (معية تركي) رقم ٢٥٥ من وكيل المبيعات والتجارة الى كاتب ديوان الخديو في ٢٨ ربيع الأول ١٢٧١ ورقم ٥٦ من عبدي شكري الى كاتب ديوان الخديو في ٧ ربيع الأول ١٢٧١.

(٣) انظر ترجمته في الخطط التوفيقية م ٣ ج ١٢ ص ٦٠.

(٥) عبد العزيز الهراوى : صيدلى سافر إلى فرنسا فى المحرم ١٢٦١ (١٨٤٥) وكان يدرس صنعة غزل القطن والصوف والحرير وطبع الشيت . وقد عمل فى بعض المصانع الخاصة بصبغ الحرير والصوف ، وامتدح تقرير إدارة البعثة فى سنة ١٨٥٨ مهارته وجده ووافق مجلس تعليم البعثة على طلبه الالتحاق بمدرسة الصيدلة بباريس ليتم فيها علوم الصيدلة التى درسها أولا بمدرسة الطب بالقاهرة ، ثم جاء عنه فى تقرير البعثة فى سنة ١٨٦١ أنه لم يبق عليه سوى إعداد رسالته .

(٦) بترو أفندى : سافر إلى فرنسا لدراسة الطب فى جمادى الأولى ١٢٦١ (١٨٤٥) وكان المرجو أن ينتهى من دراسته فى آخر سنة ١٨٦١ .

(٧) محمد (محمود ؟) شرف : سافر إلى فرنسا فى جمادى الثانية ١٢٦١ (١٨٤٥) وكان يدرس الهندسة ويتأهب لدخول مدرسة الهندسة ولعله أتم دراسته

(٨) صادق سليم : سافر إلى فرنسا فى جمادى الأولى ١٢٦١ (١٨٤٥) وكان يدرس الهندسة كزميله شرف .

(٩) محمد عارف : سافر إلى فرنسا فى جمادى الثانية ١٢٦١ (١٨٤٥) وكان يدرس الهندسة ويتأهب لدخول مدرسة

الهندسة ولعله أتم دراسته . وقد عاد إلى مصر فى جمادى الثانية ١٢٧٢ وألحق بمعية موجل بك .

(١٠) خورشيد برتو : سافر إلى فرنسا فى جمادى الأولى ١٢٦١ (١٨٤٥) أتم دراسته بالمدرسة البحرية ثم أرسل إلى البحر الأسود فى الأسطول الفرنسى برتبة ضابط التدريب .

(١١) سعد (أو سعيد) نصر : (نجل الشيخ نصر أبو الوفا الهورينى إمام بعثة ١٢٦٠) التحق بالبعثة فى شعبان ١٢٦٣ وبدأ يدرس اللغة الفرنسية وتأهب لدخول مدرسة الستزال ثم تحول إلى السلك العسكرى لأن تقرير إدارة البعثة فى ١٨٦١ ذكر تخرجه فى مدرسة سانسير العسكريه وأشار إلى قرار استدعائه رغم صغر سنه (٢٢ سنة) .

(١٢) عبد الرحمن هراوى : سافر إلى فرنسا فى ١٨ جمادى ثانيه ١٢٦٣ وكان يدرس البحرية . كزميله خورشيد برتو

(١٣) محمد محمود يونس [١] : شأنه شأن زميله الهراوى .

---

(١) أرسل هذان العضوان (الهراوى ويونس) فى سنة ١٨٤٧ لدراسة الطب وقد كانا مدرسين من الدرجة الثانية بمدرسة الطب البشرى (انظر تاريخ التعليم فى عصر محمد على للمؤلف ص ٤٤٨ — ٤٤٩) ويظهر أن الوثيقة التى نقلنا عنها هذه البيانات أخطأت حين ذكرت أنهما يدرسان العلوم البحرية ونرجح أنهما استمرا يدرسان الطب فهناك وثيقة أخرى تذكر أنه عقب عودتهما الى مصر فى جمادى الثانية ١٢٧٢ (١٨٥٥) أوصلا الى =

(١٤) حسن هاشم : سافر إلى فرنسا لدراسة الصيدلة فى ١٨ جمادى الثانية ١٢٦٣ ويظهر أنه تحول إلى دراسة الطب ، وجاء عنه فى تقرير البعثة فى سنة ١٨٦١ أنه لم يبق أمامه سوى مناقشة رسالته .

(١٥) محمد الشرقاوى : كان يدرس الصيدلة .

هؤلاء هم الطلبة الذين أرسلوا فى حكم محمد على إلى فرنسا وسمح لهم عباس الأول بمتابعة الدراسة حتى انتهى حكمه وبدأ حكم سعيد باشا ، ثم زاد عليهم عباس طلبة آخرين هم :

بعثة الفلك إلى فرنسا

لما شرع « على مبارك » يضع للمدارس فى مصر نظاما جديدا — على نحو ما رأيت — أشار بالعدول عن « الرصدخانة » التى كانت ملحقة بمدرسة المهندسخانة لعدم وجود من يقوم بها حق القيام إذ ذاك من أبناء الوطن مع احتياجها إلى كثرة مصرف ، وأشار فى « الترتيب » الذى وضعه إلى ضرورة إرسال بعثة طلاب إلى أوروبا ليدرسوا الفلك ، حتى إذا عادوا إلى مصر أعيد فتح الرصدخانة ، وقاموا على العمل فيها ، وأشار باختيار « الصاغقول محمود أفندى أحمد » أحد معاونى الرصدخانة ومعلم الرياضة والفلك بالمهندسخانة و « إسماعيل أفندى مصطفى » ، وكان برتبة أسبران أول (إذ كان حديث العهد بالتخرج فى المهندسخانة) و « حسين أفندى ابراهيم »

= « كبير أطباء » سعيد باشا لاختبارهما واستخدامهما إذا ظهرت كفايتهما (محفظة بحيية زكى) رقم ٥٧٦ من وكيل التجارة والمبيعات إلى كاتب ديوان الخديو فى ٢٦ جمادى الآخرة ١٢٧٢ .

وكان برتبة ملازم ثان وكان يعمل مدرسا (باليومية) بالأورطة المفروزة [١] .

ووافق عباس على ما اقترحه على مبارك ، وسافر الأعضاء الثلاثة إلى باريس فى ١٢ رجب ١٢٦٦ [٢] (مارس ١٨٥٠) وجد محمود الفلكى (باشا) فى الدراسة حتى تفوق على زميليه . التحق « برصدخانة باريس » حتى إذا أتم الدراسة فيها التمس أن يؤذن له بالسفر لزيارة دور الرصد بأوروبا استكمالا لتخصصه فأذن له بالسفر إلى لندن فقط . أما « حسين إبراهيم » فقد ترك الاشتغال بالعلوم الفلكية وعنى بدراسة العلوم الرياضية وكان ذلك مثار غضب السلطات فى مصر وتهديدها إياه بالعقاب [٣] . وعاد فى جمادى الآخرة سنة ١٢٧٢ (١٨٥٦) قبل رصيفه [٤] ، والراجح أنه عين بعد رجوعه بالرصدخانة المصرية . وقد اختاره الخديو اسماعيل لتعليم أنجاله ومنهم ولى عهده « توفيق » علوم الفلك ، وهو « على أى حال لم يبلغ شهرة زميله » [٥] .

---

(١) على مبارك باشا : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٤ ودفتر ١٥٧ (مدارس عربى) ص ٢٤٣٨ رقم ٧٣٤ الى المهندسخانة فى غرة ذى القعدة ١٢٦٦

(٢) دفتر ١٥٢ (مدارس عربى) ص ٢٣٧٨ رقم ٥٢ الى التجارة فى ٦ رجب ١٢٦٦ وكان مرتب الأول ٧٥٠ قرشا ربط منها لعياله خمسمائة قرش وكان قبل سفره يقوم بصنع مزولة لمدرسة الطب البشرى - دفتر ١٥٢ (مدارس عربى) ص ٢٤٥٧ رقم ٩٦ الى شورى الأطباء فى ١٥ رجب ١٢٦٦

(٣) دفتر ٢٦٧ (مدارس عربى) ص ٦٠٨٥ رقم ٢٦ الى ديوان أمور خارجية فى ١٣ شوال ١٢٦٩

(٤) محفظة ١ (معية تركى) رقم ٥٧٦ من عبد الرحمن رشدى وكيل ديوان التجارة والمبيعات الى كاتب الديوان الخديوى فى ٢٩ جمادى الآخرة ١٢٧٢

(٥) الأمير عمر طوسون : البعثات العلمية ، ص ٤٥٨

وتبعه محمود الفلكي ، إذ عاد إلى مصر في ١٨ أغسطس ١٨٥٩ وأحسن إليه بالرتبة الثانية ، ثم ولي نظارة مدرسة المهندسخانة من يونية ١٨٧١ إلى أغسطس من هذه السنة. وكان عضواً بقومسيون المعارف في سنة ١٨٨٠ ، ثم عين وكيلا لنظارة المعارف العمومية من نوفمبر ١٨٨٢ إلى يناير ١٨٨٤ وكان وزيرها إذ ذاك علي باشا مبارك ، وبقي بالوزارة حتى مات فجأة في ١٩ يوليه ١٨٨٥ [١].

أما إسماعيل مصطفى الفلكي (باشا) فقد مكث بفرنسا أربع عشرة سنة يتعلم العلوم الرياضية والفلك في مرصد باريس ، وكذلك تعلم صناعة الآلات الفلكية وأتقنها ، وعاد إلى مصر في نوفمبر ١٨٦٤ وأنعم عليه بالرتبة الثانية ، وقد عين ناظراً للرصدخانة ومدرسة المهندسخانة في يونيه ١٨٦٦ ، وقد ظل في هذا المنصب إلى مارس ١٨٨٧ ما عدا فترة قصيرة حل محله فيها زميله ، محمود حمدي باشا ، وكان في أثناء نظارته للمهندسخانة يلقي محاضرات باللغة العربية في علوم الفلك بدار العلوم بسراي درب الجماميز [٢].

بعثة العباسيات إلى فرنسا

لم يجر لهذه البعثة ذكر لدى المؤلفين الذين عالجوا موضوع البعثات العلمية التي أرسلها عباس ، واقتصروا جميعاً على أن عباسا لم يرسل إلى فرنسا طوال حكمه سوى الطلبة الثلاثة الذين درسوا بها علوم الفلك ، وقد يرجع هذا الإغفال إلى أن طلاب العمليات لم يرسلوا إلى فرنسا في وقت واحد بل في أوقات مختلفة من ١٢٦٦ إلى ١٢٦٩

(١) المصدر السابق ص ٤٥٢ و٤٥٣

(٢) المصدر السابق ص ٤٥٦

(١٨٥٠ — ١٨٥٣) ، كما أن حساباتهم لم تكن أول الأمر بديوان المدارس ، ذلك لأنهم أرسلوا من مدرسة العمليات وكانت إذ ذاك تابعة لديوان الجهادية ، فلم يكن ديوان المدارس يعلم شيئاً عن أعمالهم ومرتباتهم . وكانوا ستة أعضاء يتعلمون صناعة العربات ، لذلك كان يطلق عليهم أحياناً « التلامذة العربجية » وأستاذهم يدعى « هيمل العربجي »[١] . ولم نعثر على أسمائهم جميعاً ، وإنما عثرنا على أسماء بعضهم مبعثرة في دفاتر ديوان المدارس وهم :

(١) إسماعيل إبراهيم بوشناق وقد سافر إلى فرنسا في شعبان ١٢٦٦[٢] (يونيه ١٨٥٠) .

(٢) يوسف إبراهيم وقد سافر إلى فرنسا في ربيع الأول ١٢٦٧[٣] (يناير ١٨٥١)

(٣) يوسف نصار » » » » » رجب ١٢٦٨[٤] (مايو ٥٢)

(٤) على البيومى » » » » » جمادى الأولى سنة ١٢٦٩[٥] (فبراير ١٨٥٣)

---

(١) دفتر ٣٣٢ (مدارس عربى) ص ٣٩ رقم ٥ إلى ديوان التجارة باسكندرية في ٢٥ ذى الحجة ١٢٧٠ .

(٢) دفتر ١٦٥ (مدارس عربى) ص ١٤٤٥ رقم ١٣٤ من ورشة العمليات في ٢٤ شعبان ١٢٦٦ .

(٣) دفتر ١٨٩ (مدارس عربى) ص ٧٤٢ رقم ٤٦ من التجارة في ٢٨ ربيع الأول ١٢٦٧

(٤) دفتر ٢١١ (مدارس عربى) ص ٢٩٠٩ رقم ٩١٠ إلى الحسابات في ٢٨ رجب ١٢٦٨

(٥) دفتر ٢٥٧ (مدارس عربى) ص ٣٩٨٧ رقم ٧٩٩ إلى الجهادية في ٢٩ جمادى الأولى ١٢٦٩ .

وقد وجدنا — عدا هؤلاء — أسماء طلبة آخرين ، ولكنا لا نستطيع أن نجزم بأنهم من أعضاء هذه البعثة .

وقد فكر عباس فى آخر سنة ١٢٦٨ (سبتمبر ١٨٥٢) فى أن يعيد إلى مصر بعض هؤلاء الأعضاء ، فكتب إلى مدير المدارس[1] يأمره باتخاذ الاجراءات اللازمة لإعادة « التلاميذ الذين أرسلوا إلى فرنسا ليتعلموا صنعة عمل العربات إذا أعطى لهم شهادة من متولى أمرهم هناك ومن سائر أهل المعرفة والخبرة بأنهم تقدموا فيما تعلموه وأتقنوه ، وتكون عودتهم بمعية « باش رجال الجناب العالى نوبار بك الذاهب فى هذه المرة إلى فرنسا » . أما الذين أرسلوا أخيراً فعليهم أن يبذلوا جهدهم وقد عاد أربعة منهم إلى مصر قبل أن ينتهى حكم عباس الأول ثم أمر سعيد باشا باستدعاء العشرين الآخرين .

ويضاف إلى هؤلاء الطلبة يوسف البراوى أفندى[2] . وقد جاء اسمه فى الوثيقتين اللتين سجلتا أسماء الطلبة الذين كانوا يدرسون بفرنسا لما تولى سعيد باشا ، وقيل[3] إنه كان توجه إلى فرنسا فى ٢ من المحرم ١٢٦٧ (أكتوبر ١٨٥٠) وفى سنة ١٨٥٨ كان

---

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٢٠ ترى عباس إلى مدير المدارس فى ٣ ذى الحجة ١٢٦٨ .

(٢) وهو نجل الطبيب الشهير « ابراهيم النبراوى بك » الذى كان عضو بعثة الطب فى سنة ١٨٣٢ وكان يعمل إذ ذاك طبيباً خاصاً للوالى . وكان له نجل آخر يدعى خليل أرسل فى بعثة أخرى سيأتى ذكرها .

(٣) محفظة ٥ (معية تركى) رقم ٥٦ فى ٧ ربيع الأول ١٢٧١ من عبدى شكرى باشا إلى كاتب الديوان الخديوى

لا يزال يتلقى الدراسة التجهيزية ويستعد لدخول مدرسة سان سير العسكرية ، ثم نجد في وثيقة أخرى أنه درس الفنون العسكرية . وعاد إلى مصر في أغسطس ١٨٦١ وعين ضابطاً بالجيش ، ولكنه ما لبث أن أنف الحال فعاد إلى فرنسا وأقام بها وتزوج منها ، وكان عون نوبار في السعي لإنشاء المحاكم المختلطة ، ثم عاد إلى مصر واشتغل في سلك القضاء . ويعده الأمير عمر طوسون — خطأ — من أعضاء بعثات سعيد باشا .

وإلى جانب هؤلاء المبعوثين كان بفرنسا طلبة آخرون يدرسون على نفقة الحكومة المصرية وهم :

بول جورجيانى وهو ابن طبيب الديوان . ولا يعلم تاريخ سفره فى البعثة ، وكان يدرس اللغة الفرنسية ومبادىء العلوم ولا يعلم ماذا كان يدرس عند ما تولى سعيد باشا .

ثم أربعة طلبة أرسلوا من الآستانه ، وتذكر كلتا الوثيقتين اللتين أشرنا إليهما أنه لا يعلم تاريخ توجههم ولا العلوم التى يدرسونها . ولكن ثمة وثيقة أخرى هى أمر من عباس باشا إلى أرتين بك فى ١٩ شعبان ١٢٦٥ بتوزيعهم على المدارس الفرنسية أسوة بما حدث للتلامذة المصريين بعد إلغاء مدرسة باريس [١] .

ومن ذلك يرجح أنهم التحقوا بهذه المدرسة فى الأشهر الأولى من حكم عباس ولا نعلم العلوم التى يدرسون ، وهم :

(١) مصطفى أفندى .

---

(١) دفتر ٤٦٧ (معية تركى) ص ١٣٦ رقم ٧٨١ فى ١٩ شعبان ١٢٦٥ من الجناب العالى الى أرتين بك

(٢) محمد سالم .
(٣) توفيق افندى .
(٤) مختار افندى .

وبذلك يكون مجموع الطلبة الذين أرسلهم عباس الأول إلى فرنسا خمسة عشر طالباً بيانهم كالآتى :

٣ بعثة الفلك
٦ بعثة العمليات
١ بول جورجيان
٤ من الآستانة
١ يوسف النبراوى

وعدا هؤلاء يوجد طلبة بعثات الذين سافروا إلى فرنسا فى حكم محمد على وإبراهيم وأيام عباس حتى يتموا دراستهم ، وقد بقى أربعة عشر طالبا منهم يدرسون بفرنسا حتى تولى سعيد باشا وبذلك يكون مجموع الطلبة الذين كان عباس ينفق على تعليمهم فى فرنسا — فى وقت من الأوقات — لا يقل عن تسعة وعشرين طالبا . وبذلك تكون البعثات المصرية فى فرنسا فى عهد عباس أكبر البعثات فى أوروبا عددا . ولا نستطيع إذن أن نتابع المؤرخين الذين يذهبون إلى أن عباسا انصرف عن إرسال البعوث إلى فرنسا وتحول إلى غيرها من بلاد أوروبا .

وإذا كان عباس قد ألغى المدرسة المصرية بباريس ، ومن بقى هناك كان فى مدارس متساوية تحت نظارتهم بمصروف على الميرى [1] . فقد أبقى لهم عباس وكيلا أو

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٢ .

ناظراً للرسالة المصرية بعد أن استدعى أسطفان بك ناظر المدرسة المصرية بباريس وعينه عضواً بمجلس الأحكام [١] ثم وكيلا للأمور الأجنبية المصرية [٢] أو ديوان الخارجية فمديراً له.

وخلفه ناظراً للمدرسة المصرية بباريس — قبل إلغائها — أستاذ فرنسي هو مسيو لومرسيه (Le mercier) [٣]، الذي خدم البعوث المصرية في فرنسا زمنا طويلا سكرتيراً لجومار في سنة ١٨٣٤ [٤] فوكيلا ثم مديراً للرسالة المصرية بباريس. وإن كانت الوثائق ظلت تتحدث عنه في كثير من المواضع باسم «مدير المدرسة بباريس» [٥].

٣ — بعثات إلى انكلترا وإنجلترا

في أواخر سنة ١٢٦٦ (اكتوبر ١٨٥٠) أمر عباس باشا طبيبه «إبراهيم النبراوي بك» بانتخاب خمسة عشر طالبا من مدرسة الطب البشري ليكملوا دراسة الطب في

(١) دفتر ١٥٠ (مدارس عربي) ص ٢٠٣٠ رقم ٣٧٣ إلى المهندسخانة في ٢ جمادى الثانية ١٢٦٦.

(٢) دفتر ١٨٩ (مدارس عربي) ص ٩٥ رقم ١٥ من المعية الخديوية في ١٥ ذي القعدة ١٢٦٦.

(٣) دفتر ١٦٠ (مدارس عربي) ص ٤٤٨ رقم ٣٥ من النظارة باسكندرية في ١٣ المحرم ١٢٦٦.

(٤) Sachot, op. cit, p. 86.

(٥) دفتر ١٧٨ (مدارس عربي) ص ٢١٤٩ رقم ٤٨٧ إلى المحاسبات في ٢٢ جمادى الثانية ١٢٦٧ ودفتر ٣٤٠ ص ٤٤٧ رقم ٤٧ من التجارة في ١٤ ربيع الأول ١٢٧١ — وكان لومرسيه يتناول في السنة ٥ آلاف فرنك. دفتر ٢٤٣ (مدارس عربي) ص ١٢٥٢ رقم ٥ إلى ديوان أمور خارجية في ٢٤ المحرم ١٢٦٩.

جامعات أوروبا (١) ، فاختارهم من الطلبة الممتازين فى الدراسة ، ثم أضيف إليهم الطالب ، حليل ، نجل التيراوى بك بمسه (٢) . ووزعوا بين ثلاث جامعات . أدنبرة وبيا بالنمسا وبيزا بإيطاليا .

خص جامعة أدنبرة الطلبة الخمسة : محمد بدر ومصطفى مصطفى ومحمد على الكاتب ولقد لعب بالكاتب — وأحيانا بالخطيب — تمييزاً له عن سميه الدكتور محمد على البقلى باشا الجراح الشهير) (٣) ومحمد على البكى وعبد الرازق درويش (٤) .

وقد مكثوا يدرسون الطب فى أدنبرة حتى تولى سعيد باشا . فكان له فى توجيههم رأى غريب : أمر مدير الخارجية أن يحثهم على دراسة التلغراف (التلكبرباقى) بالإضافة إلى دروسهم التى يتلقونها وأمهلهم لذلك عاما . وأجاب الطلبة شاكرين لولى النعم إحساناته السامية والتفاتاته إليهم ، واعدين أن يبذلوا الجهد حتى يتموا علومهم ممكثلتها فى الوقت المحدد (٥) .

---

(١) دفتر ٢٩٣٥ (مدارس تركى) ص ١٢ رقم ١١ إلى مدرســة الطب البشرى فى ١٦ ذى الحجة ١٢٦٦

(٢) دفتر ٢١٤٥ (مدارس تركى) ص ٣٨ رقم ١٥ إلى الحسابات فى ٢٧ ذى الحجة ١٢٦٦ .

(٣) الأمير عمر طوسون : البعثات العلمية ص ٤٤٦

(٤) محفظة ٣ (معية تركى) رقم ٢٦٣ من عبدى شكرى إلى الموكب العالى فى ٢٤ جمادى الأولى ١٢٧٠

(٥) محفظة ٦ (معية تركى) رقم ٢٣٥ من استفان رئيس وكيل الأمور الخارجية إلى الكاتب الديوان الخديوى فى ١٩ جمادى الثانية ١٢٧١

ولكن الراجح أنهم لم يفعلوا شيئاً مما طلبه سعيد باشا بل آثروا الاحتفاظ بالمواد التى كانوا يدرسون ، فليس فى تاريخ حياة أحـــد منهم ما يشير إلى دراسة (التلغراف الكهربائى) !

وقد أورد سمو الأمير عمر طوسن أسماءهم وترجم لهم .[1]

ونبغ من هؤلاء الطلاب :

الدكتور محمد بدر بك : أظهر فى دراسته من النبوغ ما جعل أستاذه يلقبه « بنجمة الشرق » . وقد أمضى سنين طويلة أستاذاً بمدرسة الطب بالقاهرة ، وكان طبيباً خاصاً للأمير حسن باشا نجل الخديو اسماعيل[2] .

وعبد الرازق درويش بك : وقد اتجه اتجاهاً يختلف فيه عن زملائه : درس بأدتيرة الكيمياء ، ثم طلب أن ينتقل إلى لندن ليبحر فيها[3] ، وقد اشتغل بعد عودته إلى مصر معلماً للغة الانكليزية بالمدارس ولأنجال الخديو إسماعيل ، ثم عين فى سنة ١٨٦٦ وكيلا للمدرسة البحرية بالاسكندرية وكان ناظرها إذ ذاك مستر مكيلوب (باشا) ثم عين ناظراً لهـــذه المدرسة من مايو ١٨٧٥ إلى أبريل ١٨٧٩ ، ومات حوالى سنة ١٩٠٥ .

وفى سنة ١٢٦٨ (١٨٥٢) أمر عباس باشا بأن يبعث « رزق الله افندى » المهندس إلى انجلترا ، وأن تكون مصروفاته كبقية التلامذة المقيمين بهـــا على نفقة

---

(١) البعثات العلمية ... ص ٤٤٠ — ٤٤٩

(٢) انظر ترجمة حياته فى الخطط التوفيقية م ٣ ج ١١ ص ٨٨

(٣) دفتر ٣٢٧ (مدارس عربى) ص ٢١١٢ رقم ٣٩ من ديوان أمور خارجية فى ٥ ذى الحجة ١٢٧٠ .

ديوان المدارس(١) .

وفى أواخر حكم عباس عرض عبده ، أستفان بك ، وكيل الأمور الخارجية أن ولده ، أوهان ، أحد طلبة البعثة المصرية بباريس قد أتم دراسته . فأمر عباس باشا بإرساله إلى لندن ليقيم بها عاما ليكمل تحصيل اللغة الانكليزية(٢) . وعلى أثر تولية سعيد باشا أمر بأن يبقى الطالب ، أوهان استفان ، حيث هو وتظل نفقاته على الحكومة المصرية (٣) .

ولم تكن هذه البعثات أول بعثات مصرية إلى انجلترا : فقد سبقتها فى سنة ١٨٤٧ بعثة كبيرة تتألف من ستة وعشرين طالباً : ثمانية من طلاب المكتب العالى لدراسة العلوم السياسية وثمانية عشر طالبا من المهندسخانة لدراسة الميكانيكا والوابورات(٤) . وقد سمح لهم عباس باشا بمتابعة الدراسة فى انجلترا ، وكان البعض منهم يدرس فى لندن والبعض الآخر فى كمبردج والبعض فى منشستر وقد عاد ١٩ عضواً منهم فى أوقات مختلفة من حكم عباس بعد أن أتموا دراستهم أو بسبب المرض أو عقابا لسوء

---

(١) دفتر ٢١٧ (مدارس عربى) ص ٤٠٨١ رقم ١٣٠ الى ديوان التجارة والمبيوعات فى ٢٥ شوال ١٢٦٨ ودفتر ٢٣٢ (مـــدارس عربى) ص ٢٢٥٥ رقم ٧٨٧ من المعية فى ٢٥ رمضان ١٢٦٨ — ولا يذكر سمو الأمير عمر طوسون شيئاً عن هذا الطالب المبعوث الى انجلترا .

(٢) دفتر ٢٣٣ (مـــدارس عربى) ١٢٥٤ رقم ١٢٠ من التجارة والمبيوعات فى ١٦ جمادى الأولى ١٢٧٠ .

(٣) دفتر ١٣٤ (مـــدارس عربى) ص ٤٨١٨ رقم ١٦٣٩ الى الحسابات فى ٢٢ ذى القعدة ١٢٧٠ .

(٤) انظر عن هذه البعثة كتابنا تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٤٥٠ — ٤٥١ .

السلوك[1] ، وظل السبعة الباقون يدرسون فى مانشستر حتى تولى سعيد باشا وهم : [2]

(١) عباس عبد العزيز : ويتعلم صناعة السبك .

(٢) على القداوى

(٣) عيسى جاهين

(٤) جوده عوض

(٥) عثمان القاضى

---

(١) عاد عثمان عرفى وحسن ذو الفقار فى ١٢٦٦ الأول بسبب مرض عينيه رغم ذكائه والثانى متمما دروسه ، وعاد سليمان طه فى ١٢٦٧ بسبب مرضه وعلى صالح فى ١٢٦٨ وعثمان دكرورى وعمر على فى ١٢٦٨ مغضوبا عليهما فتقرر إلحاقهما عاملين بورشة العمليات ومحمد غانم (أو غانم عبد الرحيم) عاد فى ١٢٦٨ متمما دروسه وعاد اسماعيل أرناءوط (مصرى) فى ١٢٦٩ مغضوبا عليه وحكم بإرساله إلى جبل فيزوغلى بالسودان لمدة ثلاث سنوات ثم ألحق جنديا بالجيش ، وفى ١٢٦٩ عاد تسعة أعضاء آخرين هم ابراهيم سامى وعلى صادق وسليمان سليمان وأحمد طلعت وعلى حسن وعبد الله عرفى وعثمان يوسف وأبو المجد ابراهيم واسماعيل بوشناق . أما أحمد مهدى وخطاب عبد المغيث فقد عادا فى أوقات مختلفة من حكم عباس . واستخدم الأعضاء الذين درسوا العلوم السياسية بدواوين التجارة والضبطية والخارجية وفى معية (البك الترجمان) (محفظة ٤ مدارس رقم ١٣٤ أمر إلى مدير المدارس فى ٢٨ ربيع الآخر ١٢٦٩) والأعضاء الذين درسوا الميكانيكا عينوا بورشة العمليات والسكك الحديدية (دفتر ٢٦٥ (مدارس عربى) ص ٥٦٣ رقم ٧٩٥ إلى المعية فى ٢٧ شعبان ١٢٦٩)

(٢) محفظة ٥ (معية تركى) رقم ٥٦ من عبدى شكرى الى كاتب ديوان الخديو فى ٧ ربيع الأول ١٢٧١ ومحفظة ٣ (معية تركى) رقم ٣٦٣ من عبدى شكرى الى الموكب العالى فى ٢٤ جمادى الأولى ١٢٧٠

ويتعلمون الميكانيكا .

(٦) سليمان مرسى

(٧) سلامه الباز

ويتعلمان بصمة الشيت .

وجميعهم من حربجى المهندسخانة وكانوا قد سافروا معاً إلى انجلترا فى شهر المحرم ١٢٦٤ (ديسمبر ١٨٤٧) . وبذلك يكون مجموع الطلبة المصريين الذين كانوا يتلقون العلم فى بريطانيا فى آخر حكم عباس باشا أربعة عشر طالبا [١] .

وكان طلبة البعثة المدرسية فى انجلترا يشرف على شئونهم التعليمية والمالية ضابط بحرى انجليزى يسمى القومندان اسكوول (أو اسكوبل) وكان بعد " ناظرا (المدرسة) [٢] المصرية فى انجلترا . وكان يرسل إلى السلطات بالقاهرة جداول بدروس التلامذه المصريين وسلوكهم . وقد فكرت الحكومة المصرية فى فصله . فكتب إليها بأنه إذا بقى على نظارة التلامذة « تحصل ثمرة من ازدياد تحصيلهم » [٣] . وما زال اسمه يتردد فى وثائق ذلك العهد حتى سنة ١٢٦٨ (١٨٥٢) [٤] . وفى أواخر حكم عباس

---

(١) ويذكر سمو الأمير عمر طوسون (البعثات . . . ص ٤٤٠) أن عباس باشا أوسل إلى انجلترا فى ٢٠ يناير ١٨٥٠ « أغا احمد إبراهيم » لتعلم الميكانيكا . ولكن الحقيقة أنه أرسل قبل تولية عباس باشا (انظر ص ٤٥١ من كتابنا : التعليم فى عصر محمد على) .

(٢) دفتر ١٨٦ (مدارس عربى) ص ٣٣ رقم ١ من المعاونة فى ٤ ذى القعدة ١٢٦٦

(٣) دفتر ١٧٠ (مدارس عربى) ص ٤٢٨ رقم ٩ إلى المعاونة فى ٧ ذى الحجة ١٢٦٦

(٤) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٠٠ من عباس باشا إلى مدير المدارس فى ٤ جمادى الأولى ١٢٦٨ .

كان «مسيو لاركن» يشرف على شئون الطلبة المصريين فى انجلترا (١) .

٤ — بعثــة الطب إلى فينا

قلنا إن «إبراهيم بك النبراوى» صدع بأمر عباس باشا فاختار من تلامذة مدرسة الطب البشرى خمسة عشر طالبا لإتمام الدراسة بأوروبا ثم زاد عليهم [illegible] ، وأنهم وزعوا بين أدنبرة وفينا وبيزة ، وخص فينا الطلاب الستة الآتية أسماؤهم :

موسى محمد ، محمد حلمى ، محمد سامى ، محمود نافع ، حسن عامر ، خليل النبراوى .

وقد ظلوا يدرسون بفينا حتى تولى سعيد باشا ، فصدر الأمر بإبقاء الطلبة الخمسة الأولين حتى يتموا دراستهم ، وقد عادوا فى سنة ١٨٥٥ واستخدم معظمهم فى الخدمة الصحية بالجيش . أما خليل النبراوى فنقل إلى تريستة ليتعلم أصول التجارة (٢) .

٥ — بعثــة الطب إلى بيزا

أما بيزا بإيطاليا — فخصها الطلبة الخمسة الآتية أسماؤهم . (٣)

---

(١) دفتر ٣٢٣ (مدارس عربى) ص ١٢٥٤ رقم ١٢٠ من [illegible] فى ١٦ جمادى الأولى ١٢٧٠

(٢) دفتر ٣٢٣ (مدارس عربى) ص ١٤٣ رقم ١٦ الى التجارة فى ٢٦ المحرم ١٢٧١ ويقول الأمير عمر طوسون (البعثات ص ٤٣٩) إن خليل النبراوى نقل الى فرنسا فى ١٦ نوفمبر ١٨٦٢ لإتمام علومه الطبية ثم عاد الى مصر فى عهد إسماعيل وإنه شغف بالثروة الطائلة التى خلفها له أبوه فلم ينل شهرته فى الطب .

(٣) محفظة ٥ (معية تركى) رقم ٥٦ من عبدى شكرى الى كاتب ديوان الخديو فى ٧ ربيع الأول ١٢٧١ .

محمد ريان ، ابراهيم جاهين ، محمد حميد (صيدلي) ، جورجي ديمتري ، علي شوشه . وقد عادوا جميعاً في حكم سعيد باشا . في سنة ١٨٥٧ عدا الأول محمد ريان ، فقد سافر — كما يقول سمو الأمير عمر طوسون — إلى فرنسا ، ثم عاد منها إلى مصر في سنة ١٨٥٩ . ولكن الوثائق لا تشير إلى ذهابه إلى فرنسا بل تذكر وثيقة أنه كان بإيطاليا يتعلم الفنون العسكرية ، ولذا منح عقب عودته في سنة ١٨٥٩ رتبة الملازم الأول [1] .

ويبدو أن اختيار جامعة بيزا ليدرس فيها الطلبة المصريون الطب لم يكن موفقاً : فالدكتور رازي (Razzi) أستاذ العيادة الجراحية بكلية الطب بفلورنسة ورئيس شورى الأطباء ومدرسة الطب في مصر في عهد عباس يوافق كلوت بك — في بعض خطاباته إليه — على ما ذكره من ضعف طلبة الطب المتخرجين في جامعة بيزا ، ويقول إن هذه الجامعة اعتادت أن تمنح المتخرج فيها دبلوما لا يرخص له بممارسة الطب ، ولكنه إنما يدل على أن صاحبه قطع مرحلة علمية معينة ، ويوافق رازي كلوت بك أيضاً على ما أشار به من أن بيزا لا يجب أن تمنح الغرباء دبلومات إذا لم يكونوا قبل ذلك قد قاموا بالدراسات العملية في فلورنسة

أما الشبان المصريون فيقول كلوت بك إنهم لم يصيبوا سوى قسط ضئيل من النجاح ، وقد أرسلهم عباس باشا في سنة ١٨٥٣ إلى فلورنسة ووصى عليهم أحد الأساتذة ثم أخذوا إلى بيزا ليدرسوا اللغة الإيطالية ، وقد قضوا أربع سنوات في

---

(١) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٧٧ رقم ١٣٥ أمر الى ناظر الداخلية في ١٢ المحرم ١٢٧٦ .

الدراسة ، ويرى كلوت بك أنهم لم يجيدوا — عدا اللغة الإيطالية — شيئاً وأنه ما كان ينبغي أن يمنحوا الدبلوم (1) .

ويبدو أن كلوت بك وكان يفضل بطبيعة الحال أن يرسلوا للدراسة في كليات فرنسا — لم يبالغ كثيرا في بيان ضعف مستوى طلبة بيزا . فإنهم لما عادوا إلى مصر في سنة ١٨٥٧ كان الجو متجهما أمامهم : فقد صدرت إرادة سنية بامتحانهم أمام شورى الأطباء لاختبار معلوماتهم والوقوف على درجة تحصيلهم ، وقرر أعضاء الشورى في تقرير امتحانهم أنهم (وسط Médiocre) . فلما رفعت النتيجة إلى سعيد باشا أمر بإعادتهم إلى مدرسة الطب بقصر العيني ليتموا دروسهم فيها ثم رأى شورى الأطباء أن ثمة محلات خالية بالأقاليم لأطباء الصحة . ولما كان النظام الذي اتفق عليه مع الدول يقضي بأن لا تشغل هذه المحلات إلا بأطباء يحملون الدبلومات اقترح الشورى استخدام خريجي جامعة بيزا « أطباء ثواني » في الأقاليم تحت إدارة « الحكيمباشية » ، وكان هذا الاقتراح محل جدل شديد . (2)

وفي العام التالي (١٨٥٩) اقترحت لجنة امتحان مدرسة الطب « قبول الثلاثة حكما المحضرين من إيطاليا بالخدمات الميرية » وهم : علي شوشه برتبة يوزباشي أول وجورجي ديمتري برتبة يوزباشي ثان وإبراهيم جاهين برتبة ملازم أول ، ووافق سعيد باشا على اقتراح اللجنة (3) . ولسنا نعرف — على وجه التحقيق — « الخدمات

---

(1) Clot, Relation des phases etc. p. 17 — 18.

(2) صفحة ١٥ (معية تركي) رقم ١٩٩ من ناظر الداخلية إلى المعية في ٧ صفر ١٢٧٤

(3) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٢٣ رقم ٧٣ أمر إلى ناظر الداخلية في ١١ رمضان ١٢٧٥ .

الميرية ، التى عينوا فيها ، وإن كنا نرجح أنها بعض الوظائف الصحية فى الجيش أو فى الأقاليم .

٦ — بعثة المفروزة إلى فينا وبرلين

وإلى هنا وقف بحث سمو الأمير عمر طوسون فى (دفاتر دار المحفوظات المصرية بالقلعة) وانتهى من بحثه فيها إلى أن تلاميذ البعثات فى عهد عباس الأول بلغوا تسعة وعشرين طالبا [١] .

ولكنا أثبتنا فى الصفحات السابقة أسماء واحد وأربعين طالبا أرسلهم عباس الأول إلى أوروبا ، عدا طالبين من بعثة العمليات إلى فرنسا لم نقف على اسميهما بعد .

ويضيف سمو الأمير إلى بحثه فى محفوظات القلعة أنه عثر فى مجموعة خاصة على أسماء ثلاثة طلاب يرجح أنهم جزء من رسالة أرسلت فى سنة ١٨٥١ إلى فينا ، ثم عثر على صور وثائق بأسماء تسعة أعضاء آخرين يكونون بعثة كاملة أرسلت فى أوائل سنة ١٨٥٤ إلى برلين ، ومنهم من كان يتعلم الطب أو الصيدلة أو الفنون العسكرية [٢] .

وقد أثبت بحثنا فى محفوظات عابدين صحة ما ذهب إليه سمو الأمير فى شأن هؤلاء الطلاب : هؤلاء الاثنا عشر طالبا هم جزء من بعثة أرسلها عباس باشا فى سنة ١٨٥٢ من ١٨ طالبا من طلاب المدرسة المفروزة إلى أوروبا ووزعهم مناصفة بين فينا

(١) البعثات العلمية ... ص ٤٥٩ — ٤٦٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٦٤ — ٤٦٥ — أما أمين باشا سامى فلم يذكر فى تعداده لأعضاء البعثات شيئا عن بعثة المفروزة (تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٧٢)

وبرلين . أما طلاب برلين فقد ذكر سمو الأمير وذكرت الوثائق أسماءهم جميعاً .
أما طلاب فينا فقد عرفنا من وثائق ذلك العهد واحداً منهم أعيد إلى مصر قبل إتمام دروسه وخمسة منهم كانوا يدرسون الطب وعادوا بأمر سعيد باشا ، وهؤلاء عدا الطلاب الثلاثة الذين ذكرهم سمو الأمير .

صدر الأمر بسفرهم جميعاً فى رجب ١٢٦٨ (مايو ١٨٥٢) وتوزيعهم مناصفة بين فينا وبرلين[١] ولما كانوا قد اختيروا من المدارس الحربية المفروزة التابعة لديوان الجهادية فقد أمر ديوان المدارس على أن تكون حساباتهم بديوان الجهادية[٢] .
واستمر الخلاف بين الديوانين طويلا ، حتى تقرر أن تحال حساباتهم على ديوان المدارس[٣] .

أما طلبة فينا فقد عرفنا منهم :

(١) على مختار : وقد أعيد بعد شهور من سفره لأنه « وجد عديم الفهم والرغبة فى ممارسة علوم الحكمة[٤] . ولما عاد إلى القاهرة جدوا فى البحث عنه فلم يعثروا له

---

(١) دفتر ٢٢٩ (مـــدارس عربى) ص ١٦٥٠ رقم ١١٥ من التجارة باسكندرية فى ٢٠ رجب ١٢٦٨

(٢) دفتر ٢١١ (مدارس عربى) ص ٢٩٢٩ رقم ١٠٢ الى التجارة فى ٥ شعبان ١٢٦٨ ودفتر ٢١٣ (مـــدارس عربى) ص ٣٣٠٢ رقم ٩٨٢ الى الجهادية فى ٢٤ شعبان ١٢٦٨

(٣) دفتر ٢٦٨ (مـــدارس عربى) ص ٦٢٢٢ رقم ٦٨٦ الى المهندسخانة فى ٢٧ شوال ١٢٦٩

(٤) دفتر ٢١٧ (مدارس عربى) ص ٢٠٨٤ رقم ١٣٥ الى ديوان التجارة والمبيوعات فى ٥ ذى القعدة ١٢٦٨

على أثر[1] .

(٢) محمد عرى

(٣) حسن عارف

(٤) محمد وفائى

(٥) عبد الرحمن شكيب

(٦) محمد راشد

وكانوا جميعاً يدرسون الطب بميد ، وبعد أن أقاموا بها ثلاث سنين صدر أمر سعيد باشا فى أوائل ولايته بإعادتهم إلى مصر . وبعد عودتهم استخدموا فى الاستحكامات السعيدية بمعية جاليس بك ثم نقلوا إلى المساحة ، ولكنهم سرعان ما فصلوا منها لعدم إلمامهم بالهندسة ، ثم عقد لهم شورى الأطباء امتحانا لاختبارهم فى العلوم الطبية التى أرسلهم عباس باشا للتخصص فيها ، فأظهر الامتحان ضعفهم فيها ، ولما سئلوا عن ذلك تعللوا بأنهم لم يستطيعوا خلال المدة القصيرة التى قضوها بالنمسا سوى تعلم اللغة الألمانية ومبادىء الطب[2] .

وذكر سمو الأمير عمر طوسون الأسماء الثلاثة الآتية وترجم لهم[3] :

(١) إسماعيل كامل (باشا) : وقد ظل يدرس الطب فى فينا إلى عهد سعيد

---

(١) دفتر ٢٦٩ (مــدارس عربى) ص ٦٣٨٤ رقم ٧٩ الى ديوان التجارة فى ٢٧ شوال ١٢٦٩ .

(٢) محفظة (معيــة تركى) رقم ٤٢٢ من ناظر الجهادية الى المعية فى ٢١ ذى الحجة ١٢٧٢

(٣) الأمير عمر طوسون : البعثات العلمية ... ص ٤٦٧ — ٤٧٤

فانتقل منها إلى فرنسا وتعلم بها الفنون الحربية ، ثم عاد إلى مصر في عهد سعيد فعين بحرسه ، وفي عهد إسماعيل حضر حرب كريد وحرب الحبشة والحرب الروسية .

(٢) عبد القادر حلمي (باشا) : وقد درس الطب في فينا ولكنه كان ميالا بطبعه إلى استعمال الأسلحة . وكان مشهوراً بإصابة المرمى واللعب بكل أنواع السلاح ، وعلى أثر عودته في عهد سعيد التحق بأورطة المهندسين بالقلعة بالسعيدية وظل يترقى في الرتب العسكرية . وقد عمل ناظراً لديوان السودان وحاكماً عاماً لهذا الاقليم ثم أصبح ناظراً للبحرية والحربية في يناير ١٨٨٤ .

(٣) عثمان غالب (باشا) : وقد درس في النمسا الفنون العسكرية وعاد إلى مصر في عهد سعيد وترقى في الجيش المصري ، وأرسله الخديو إسماعيل مع بعض من مهرة ضباط الجيش إلى فرنسا للوقوف على ما يحسن اقتباسه من نظم الجيش الفرنسي . وقد اشترك في تكوين الجيش وإدخال النظم الجديدة فيه وتأسيس قلم أركان حرب به واشترك في حرب الحبشة .

على أن وثيقة (بمحفوظات عابدين) تذكر « إسماعيل كامل » و « عثمان غالب » ضمن الطلبة الذين اختيروا من قسم المشاة بالمدارس الحربية المحروسة لدراسة الفنون العسكرية في أوروبا بناء على أمر من سعيد باشا في أوائل حكمه[1] ويؤيد هذه الوثيقة ما ذكره سمو الأمير عمر طوسون في ترجمتهما من أنهما درسا الفنون العسكرية وارتقيا في السلك العسكري ، ومن المحتمل أن يكونا حقيقة من مبعوثي عباس ثم استدعاهما سعيد مع من استدعاهم من الطلاب ، ثم عاد فأرسلهما مرة ثانية للدراسة بأوروبا

(١) محفظة ٤ (معية تركي) رقم ٢٤ في ٢٦ المحرم ١٢٧١

وكان طلبة فينا يدرسون تحت « نظارة المسيو ميروليف سركيس ناظر تعليم التلامذة المصريين بمدينة ويانة » ، وكان يشكو من سلوكهم ، فكتب إليه الديوان بأن له « إجراء تأديبهم بطرق التأديب الجارية في حق أمثالهم بموجب أصول المدارس بتلك الطرف »[1] . أما الاشراف « الفنى » فكان موكولا إلى « المعلم شروتر » من أساتذة الطب في فينا[2] . ولما عين « نوبار بك » وكيلا للحكومة المصرية في فينا أصبح يشرف على الطلبة المصريين الذين يدرسون بمدارسها .[3]

أما طلبة برلين فقد عثر الأمير عمر طوسون على كتاب مخطوط من آثار جده سعيد باشا به صورهم وأسماؤهم ما عدا واحد منهم ونتائج أعمالهم وقائمة بأسمائهم وأعمارهم وجنسياتهم والعلوم التي يتعلمونها وقائمة أخرى بأسماء أساتذتهم . وصدرت المجموعة بإهداء من مدير هذه البعثة إلى سعيد باشا . وقد أورد سمو الأمير عمر أسماءهم وتراجم لهم[4] :

(١) دفتر ٢٩٣ (مـــدارس عربى) ص ١٢٢٨ رقم ٢٦٢ الى ناظر التعليم التلامذة المصريين بويانة في ٢٣ المحرم ١٢٦٩

(٢) دفتر ٣٠١ (مـــدارس عربى) ص ١٨٠٩ رقم ٧٢٠ الى المحاسبات فى ٨ جمادى الأولى ١٢٧٠

(٣) دفتر ٣١٠ (مـــدارس عربى) ص ٣٩٠٤ رقم ٩٤ الى التجارة فى غاية رمضان ١٢٧٠

(٤) الأمير عمر طوسون . البعثات العلمية . ص ١٧٦

العدد	الاسم	الجنسية	العمر	العلم
١	حافظ عفت	من القاهرة	١٧ سنة	الطب
٢	محمد راسخ	تركي الأصل	١٦ «	الفنون الحربية
٣	محمد نصحي	تركي	١٥ «	« «
٤	خورشيد نصحي	جركسي	١٥ «	« «
٥	مصطفى نائل	«	١٤ «	« «
٦	حامد أمين	مصري	١٥ «	الصيدلة
٧	محمد عاطف	تركي	١٥ «	«
٨	عبد الله شكري	جركسي	١٤ «	الطب
٩	يوسف شهدي	«	١٤ «	«

وكان « ناظر تعليمهم » — أو مدير البعثة — الدكتور هلوبيج [1] ، وكان يبعث إلى السلطات بالقاهرة تقارير بنتائج الطلبة وسلوكهم ، وقد اقترح في أحد تقاريره — في أواخر حكم عباس الأول — أن تؤجر الحكومة محلا خاصا في برلين وتجعل منه مدرسة لتلاميذها وتجلب لهم معلمين خصوصيين [2] . وينقل الأمير

---

(١) دفتر ٢٦٧ (مدارس عربي) ص ٨٥-٢ رقم ٢٨ إلى ديوان أمور خارجية في ٢ ذي القعدة ١٢٦٩ .

(٢) دفتر ٢٩٧ (مدارس عربي) ص ٩٤-١ رقم ٥٢١ إلى نوبار بك في ٩ ربيع الأول ١٢٧٠

عمر طوسون عن (مجموعة) أسماء هؤلاء الأساتذة وهم :[١]

الدكتور هلوينج (Dr. Helwing) أستاذ العلوم السياســية بمعهد برلين الملكى وعضو المكتب الملكى لشئون البلاد ومدير تربية التلاميذ المصريين وتعليمهم .

مسيو ماهن (Mahon) : دكتور فى الفلسفة ويعرف اللغة التركية ويعلم اللغات الألمانية والفرنسية واللاتينية .

مسيو ساجر (Seäger) ومسيو لهمان (Lehmann) : أستاذان بالمدرسة الابتدائية وهما يعلمان التلاميذ المصريين القراءة والخط والجغرافية والتاريخ والرسم والاملاء والهندسة والجبر والطبيعة .

مسيو بلتش (Pietsch) قائد الجيش الملكى وهو يعطى دروس الرسم النظرى والرسم الهندسى والطبوغرافية .

مسيو البرت ماير (Albert Meyer) : يعلم التلاميذ الأطباء الأقرباذين وعلى الحيوان والنبات .

مسيو مسهليد (Muelhold) : وكيل أونباشى فى الحرس الملكى وهو يعلم التلاميذ المصريين التمارين العسكرية .

مسيو بالوت (Ballot) : معلم الألعاب الرياضية .

مسيو لوتز (Lutze) : معلم السباحة .

وكان القائم على مراقبة هؤلاء التلاميذ مسيو ميتشرليك (Mitscherlich) الأستاذ

---

(١) الأمير عمر طوسون : البعثات العلمية ... ص ٤٧٧ و ٤٧٨ .

بالكلية الملكية وبمعهد فردريك وليم ، وكان ينوب عنه فى مراقبتهم مسيو جونك (Gonjoke) الدكتور فى الطب ويكتب التقارير عن حالتهم .

وقد اشتهر من طلبة هذه البعثة (١) :

محمد راسخ (بك) : ترقى فى الجيش وقضى مدة طويلة فى السودان مديراً لبعض مديرياته .

محمد نصحى (باشا) ، ترقى فى الجيش إلى رتبة اللواء واشترك فى الحرب الروسية سنة ١٨٧٧ ثم اشترك فى قتال المهديين .

حامد أمين (بك) : أرسل لتعلم الصيدلة ثم تحول فى عهد سعيد إلى الفنون الحربية . ترقى فى الجيش وانضم إلى عرابى ثم أحيل إلى المعاش . وكان يعرف لغات كثيرة .

عبد الله شكرى (بك) : أرسل لدراسة الطب ثم تحول إلى الفنون العسكرية وقد بقى يتعلم ببرلين حتى تولى سعيد باشا ، وبعد سنتين أعاده إلى مصر وأدخله مدرسة الخطرية بالعلقة فتخرج منها ودخل الجيش وترقى به واشترك فى حرب الحبشة .

يوسف شهدى (باشا) : أرسل لتعلم الطب ثم تحول إلى الفنون العسكرية . وعاد إلى مصر فى عهد سعيد وترقى فى الجيش واشترك فى حرب الحبشة والروسيا ، وقد انحاز إلى الخديو ضد العرابيين ، وكان ناظراً للحربية والبحرية فى وزارة مصطفى باشا فهمى (مايو ١٨٩١) ثم فى وزارة رياض باشا (يناير ١٨٩٣) .

---

(١) الأمير عمر طوسون : البعثات العلمية ... ص ٤٧٩ — ٤٨٦

وتذكر الوثائق أن سعيدا لما تولى أمر باعادة جميع الطلبة الذين أرسلوا من لمروزة إلى ڤينا وبرلين (١) ولكن فى التراجم التى سرحها الأمير عمر طوسون أن بعضا منهم استمر يدرس فى أوروبا فى حكم سعيد .

وهاك بيانا موجزا ببعثات عباس الأول إلى أوروبا :

على قول	جملة المبعوثين	النفقة عليهم	ما يخص الواحد
		جنيها	جنيها
السيد عبد الله نديم	٤٨	٨٣,٩٢٣	١٧٢٧,٦
جورجى زيدان وتبعه فيه أمين باشا سامى وغيرهما	١٩	٤٩,٦٧٥	٢٦١٤,٥
سمو الأمير عمر طوسون	٤١	غير معلوم	غير معلوم
على حسب ما وجدناه	٦١	»	»

---

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٦٩ من محمد سعيد الى مدير المدارس فى ١٨ المحرم ١٢٧١ ومحفظة ٥ (معية تركى) رقم ٥٦ من عدى شكرى الى كاتب ديوان الخديو فى ٧ ربيع الأول ١٢٧١

الكتاب الثانى

التعليم فى عصر سعيد باشا

١٨٥٤ — ١٨٦٣

الفصل الأول

سعيد والتعليم

في ٢٠ شوال ١٢٧٠ (يوليه ١٨٥٤) خلف سعيد باشا عباسا الأول في ولاية مصر .

تولى سعيد باشا حكم مصر بعد أن انتهى على حكم محمد على وإبراهيم لها ست سنوات : ست سنوات كان لها — على ضآلتها — في تاريخ مصر أثر ليس بالقليل . شهدت وقوف الحركة الاصلاحية الواسعة النطاق التي وجهت مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر توجيها جديدا . شهدت انكماش القوة العسكرية والبحرية ، وانكماش النظام الصناعي الكبير الذي وضع محمد على أساسه ، شهدت انحلال السياسة الاقتصادية التي اتخذها محمد على أساسا للنهوض بمختلف مرافق البلاد . وأخيرا — وليس آخرا — شهدت انحلال النظام التعليمي الحديث الذي بدأه محمد على في مصر . وجملة القول شهدت هذه السنوات الست التي يتألف منها حكم عباس الأول انتواء الخطة المحمدية العلوية : خطة الإحياء وتنشيط الهمم وبعث النفوس وفتح الآفاق الواسعة في مجالات الحرب والسياسة والاصلاح .

حتى إذا تولى سعيد كان الأمل قويا في أن يرعى هذه الخطة المحمدية العلوية : خطة أبيه ، ويتعهد جذورها التي لا تزال حية دفينة الثرى ، كما تعهدها أبوه من قبل بالغرس

والنصح والإرشاد . كان أبوه يعزه ويعلق عليه أعذب الآمال . فقد أصبح أكبر أبنائه من بعد ابنه الكبير إبراهيم الذي قدر للشيخ الجليل أن يشهد رحيله في مرضه الأخير . وإذا كان محمد علي يقدر لحفيده عباس صلاته وعمه مما قد يفيد مصر في أن تجو بنفسها من مطامع الغريب ، فقد كان يعرف فيه ضيق أفقه وقلة حرصه على التعلم والإفادة . وكان يقدر لهذه الآفاق الرحبة التي رسمها في حياته الطويلة أن تضيق على يدي حفيده أما سعيد فقد أقبل على العلم في صدر شبابه واختلط بالناس — ومنهم الأجانب — وعرف عنهم ومنهم الكثير . وأشركه أبوه في بعض جوانب الإصلاح ووالاه بالإقبال والتقويم والحث . لهذا لم يكن غريباً أن يعلق عليه محمد علي في معترك حياته — ويعلق عليه مع القدرة من رجاله — أكبر الآمال في رعاية الخطة المحمدية الطويلة واحتضانها .

ولكن سعيداً كان سمح النفس إلى درجة الانقياد للأهواء المتناقضة ، كان قليل الثقة في عباس ورجاله وعهده ومؤسساته ، فلم يلق إليها بالا وأزمع أن يبدأ البناء من جديد ، وهنا وجه الخطأ : فإن خطة أبيه كانت لا تزال خطوطها مرسومة وقواعدها واضحة ، وجذورها — كما قلت — دفينة الثرى ، وكانت الحكمة الوطنية — فضلاً عن احترام ذكرى الوالد الراحل — تقتضي سعيداً أن يترسم خطة أبيه ويتعهدها بالري والغذاء ، وقد ظل فيها من عناصر الحياة الكامنة القدر الذي مكن إسماعيل بعد ذلك بتسع سنوات من إحيائها فجنى منها أطيب الثمرات . وسعيد فوق هذا لم يكن من الكفاية واتساع الأفق وثبات التوجيه وشمول الدرس والقدرة على تآلف الأعوان بحيث يستطيع أن يبني خطة جديدة فضلاً عن رسمها .

فجاءت الخطة أو الخطط التي حاول سعيد رسمها سفينة الوضع تعصف بها الأهواء

من كل جانب : أهواء الوالي والمحيطين به من ذوي الحظوة لديه . (والحظوة لدى سعيد كانت مما يسهل زواله كما يسهل عقده) . ولم يستطع سعيد أن يحمبها عوامل الزوال وعواقب المستقبل . قدر سعيد ما تفيده مصر من زيادة اتصالها بالحضارة الأوروبية ، ولكنه عني بالمظهر أكثر من عنايته بالجوهر : سمح للأجانب — الصالح منهم والفاسد — بأن يتخذوا من مصر ميدانا لنشاطهم في وقت نشطت فيه رءوس الأموال للبحث عن مجالات للعمل في خارج أوربا . فاتجه النشاط الأوربي إلى مصر متخذا أشكالا متنوعة : منها الديون والشركات والصحف والمدارس ، فمنه المفيد ومنها ما يجب اتقاء شره ضمانا للمستقبل . وقدر سعيد ما لربط البحرين الأحمر والأبيض من خدمة كبيرة للعالم ولمصر في الوقت نفسه ، فأذن بشق القناة ، ولكنه لم يتخذ من الضمانات ما يكفل تنفيذ العمل على نحو يحقق المصالح المصرية أو على الأقل لا يؤذيها . أما جوهر الحضارة الأوربية فقد غفل عنه سعيد : العلم وانتظام الحكم وانبعاث القوى الكامنة ، في الوقت الذي نرى فيه سعيدا يغدق على المدارس والمؤسسات الأجنبية نراه يضن على المدارس المصرية بالنفقة التي تمكنها من استدامة الحياة ، ويضن عليها بالتوجيه الثابت والرعاية الدائمة ، حتى إذا بدأت مدرسة من المدارس التي أنشأ تستوى على عودها وتمضي قدما أغلقها سعيد فضن عليها بماله أو عطفه ، فالتوت عن القصد ، أو أغلق سعيد بعضها متعجلا كما بدأها متعجلا .

والجيش يرعاه سعيد فيكثر عدده وينظم أمره ويبث فيه سعيد دعوة يحاطبا بعض رجاله دعوة وطنية فيهللون له ويكبرون ، وإذا بسعيد يضيق بهذا الجيش فيأمر بحله ، ويقصر همه على فرقة من الجند يدعوهم باسمه ويغدق عليهم من حسن الثياب وطيب المأكل ولطف المنظر . والسودان يغدو إليه سعيد فيزوره متفقدا أرجاءه ، حتى إذا

غضب لبعض شأنه اعتزم إخلاء هذه البلاد التي فقد أبوه في ضمها إلى مصر — أي في بعثها ووصلها بالعالم الاسلامي المتمدن — عزيزا من إخوته .

وعلى هذا النحو جرت الخطط التي حاول سعيد أن يرسمها لحكم مصر وسياسة أمورها . وخطته في التعليم — إن كانت له في التعليم خطة — توضح ما رأينا في خططه العامة من قصور في الفكر واضطراب في العمل وضعف في التوجيه وخضوع لشتى الأهواء .

• • •

في اليوم التالي لتوليه وجه سعيد باشا إلى مدير ديوان المدارس — عبدي شكري باشا — كتاباً يبلغه فيه تسلمه ولاية الأمر في البلاد وشئه في إدارة المدارس ويأمره بالاهتمام بإدارة شئونها[1]. وأزمع الوالي الجديد أن يقف على حركة العمل في دواوينه فأمر ديوان المدارس بأن يضع بياناً مفصلا عن موظفيه — المهندسين منهم والأطباء ومرتباتهم وجهات استخدامهم . . . الخ[2] . وتجهم الجو حول ديوان المدارس ، فلم يكن سعيد يثق في عهد سلفه بنظمه ومؤسساته ورجاله . ولما كانت المدارس هي التي تقوم على حماية هذه النظم والمؤسسات والتمكين لها في حياة البلاد فقد كانت لذلك أشد تعرضا لما يصيب ولاية الأمر في مصر من تغيير . فقد رأيت ما فعله عباس في رجال العهد السابق ومؤسساته ، والآن وقد تولى الأمر في مصر وال جديد فقد توقع

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٤٩ من محمد سعيد إلى مدير المدارس في ٢١ شوال ١٢٧٠

(٢) دفتر ٣٣١ (مدارس عربي) ص ٢٨١٩ رقم ٧٤ من ليمان ملك في ١١ ذي القعدة ١٢٧٠ و ص ٢٨٦٦ رقم ١٦٧٤ من المالية في ٢٢ ذي القعدة ١٢٧٠

كثيرون تغييرات عاجلة تصيب المؤسسات التعليمية والرجال القائمين على شئونها .

وأخذ سعيد يعمل على تشتيت رجال العهد البائد : فبدأ بعلى مبارك بك ناظر المهندسخانة وملحقاتها وواضع أساس النظام التعليمى لعباس . فبعث به معاوناً بمعية أحمد باشا المنكلى قائد الحملة العسكرية المسافرة للحرب فى القرم [١] . وأخذ فى الوقت نفسه يقرب إليه رجالا آخرين يتخذ منهم أعوانه فيما ينوى للمدارس من إلغاء أو إنشاء، والحق أنهم لم يكونوا جدداً على المدارس والتعليم بل لقد ارتبطت أسماؤهم سنوات طويلة بتاريخ الحركة التعليمية فى عهد محمد على وإبراهيم ، فقصد إبراهيم أدهم باشا ورفاعة رافع بك ، وهما الرجلان اللذان أبعدهما عباس عن التعليم ليتقى معارضتهما وليوفر لنظمه ومؤسساته أسباب النجاح .

أما أدهم فكان عباس قد احتج بشيخوخته فآثر له الراحة بعيداً عن ديوان المدارس وقنع له بعضوية مجلس الأحكام . أما رفاعة فقد قصل له الخرطوم لينشىء بها مدرسة ابتدائية يعلم فيها صبية السودان .

ووضع سعيد باشا على أثر توليه حداً لهذا كله ، وعرف الرجلين قدرهما وفضلهما على التعليم . فألغى مدرسة الخرطوم بعد توليه بسبعة أيام واستدعى رفاعة بك إلى القاهرة [٢] ، وعين أدهم باشا مفتشاً عاماً للمهمات والمدارس بالاضافة الى منصبه الأول

---

(١) دفتر ٣١٦ (مدارس عربى) ص ١٥٦ رقم ١٠٤٣ الى الجهادية فى ١٤ ذى الحجة ١٢٧٠ .

(٢) محفظة ٤ (معية تركى) رقم ١٥٠ من وكيل ديوان الخديو الى كاتب ديوان الخديو فى ١٩ المحرم ١٢٧١

وهو مدير ديوان الخارجية [١] .

وهكذا تقابل الرجلان : أدهم ورفاعة ، وأزمعا أن يجددا — فى ظل سعيد عهد ازدهار الحركة التعليمية على يدى والده العظيم . وأقبل أدهم على عمله فاستصدر من الوالى أمراً بوقف كافة العمائر فى القاهرة والأقاليم وهى التى كانت تستنزف من ديوان المدارس أكثر ميزانيته ونشاطه [٢] . وبعد أيام أصبح أدهم مركز النشاط والحركة فى ديوان المدارس : فهو يزور المدارس ويرأس لجان الامتحان ويعين الموظفين . . . الخ . وما عدنا نسمع كثيراً عن مدير الديوان : عبدى شكرى باشا .

ولكن وجود أدهم باشا مفتشاً عاما للمدارس لم يستطع أن ينقذ المدارس وديوانها من المصير الذى أعد لها فلم تمض شهور أربعة على تعيينه فى هذا المنصب حتى صدر أمر سعيد باشا بفصل التلاميذ الذين لم يبلغوا العاشرة من عمرهم وإعادتهم إلى أهليهم وإلحاق الصالحين من الكبار بفرق الجيش [٣] . وهكذا لم يعد لوجود ديوان المدارس مبرر : فقد أبطلت العمائر التى كانت تابعة له ، على أن تتم بعد ذلك (بالمقاولة) ، والآن يشتت تلاميذ المدارس . لهذا صدر أمر سعيد باشا بإلغاء ديوان

---

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٥٨ من محمد سعيد الى مدير المدارس فى ١٢ ذى القعدة ١٢٧٠

(٢) دفتر ٢٣٢ (مدارس عربى) ص ٣٠٠٢ رقم ٤٣٧ من مدرسة الطب فى ٢٠ ذى القعدة ١٢٧٠

(٣) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٨١ أمر الى ناظر ديوان المدارس فى ٩ ربيع الأول ١٢٧١

المدارس وتصفية حساباته على وجه السرعة (١٠ ربيع الأول ١٢٧١ = ١٨٥٤)[1].

وكانت « الفروع » التابعة له إذ ذاك هي: مخزن الأبنية، مخزن الأخشاب، مدرستا الطب البشري والمهندسخانة وحساباتها مسجلة مع الديوان. وقد ظلت هاتان المدرستان قائمتين بعد اختيار تلاميذهما ومعلميهما من جديد [2]، وكذلك بقيت المصالح الأخرى التابعة للديوان وإن كانت حساباتها تجرى فيها على أن تقسم ميزانيتها السنوية لديوان العموم وهي: المطبعة والحجارة والكتبخانة ومصلحة المرمى وعمارات المحروسة. وقد بقيت هذه المصالح قائمة حتى يبت في أمر بقائها أو إلغائها[3]. وتلا ذلك أن أصدر سعيد أمراً إلى ديوان المالية[4] بإلغاء مدارس المبتديان والتجهيزية والمهندسخانة والطب لأنه « لدى النظر بعين المصلحة في تقويمها على وجه الانتظام، رأى أن بقاء هذه المدارس « بالحالة التي هم (كذا) عليها الآن لا ينتج منه الفوائد المقصودة، وخاصة « أنه حصل الاكتفى (كذا) منهم الآن ». وهكذا تم إلغاء ديوان المدارس والمدارس التابعة له.

---

(١) دفتر ٢١٤٨ (مدارس تركى) ص ٤٣ رقم ١٩ من الجناب العالى الى ديوان المدارس فى ١٠ ربيع الأول ١٢٧١

(٢) دفتر ٢١٤٩ (مدارس تركى) ص ٥٥ رقم ١٩ من ديوان المدارس الى المالية فى ١٩ ربيع الأول ١٢٧١

(٣) دفتر ٣٢٤ (مدارس عربى) ص ١٥٠ رقم ٣٦٢ الى ديوان المالية فى ٢١ ربيع الأول ١٢٧١

(٤) دفتر ١٨٨٠ (أوامر عربى) رقم ٤٣ ص ٢٢ أمر الى المالية فى ٥ ربيع الثانى ١٢٧١

أما المدارس الحربية المفروزة فقد كانت تابعة للجهادية فلم يصبها شيء بإلغاء ديوان المدارس وكان لها مصير آخر .

أما أدهم باشا فقد فقد — عقب إلغاء ديوان المدارس — وظيفته كمفتش عام للمدارس واحتفظ بنظارة ديوان الخارجية وبتفتيش المهمات الحربية[1] .

أما رفاعة بك فقد كان يمضي وقته في القاهرة يبني الآمال وينظم عقود الثناء للوالي[2] . ولم يشأ الرجلان أن يقطعا الأمل في العهد الجديد . كانا ما يزالان يأملان أن تنتعش الحركة التعليمية في كنف سعيد وأن يجدد سعيد في هذه الناحية من حكمه سيرة والده العظيم . فقد عرفت عن سعيد أفكار وميول طيبة تبشر بأطيب الآمال . وهو بعد قد تثقف ثقافة حديثة وكان أكثر من سلفه اختلاطاً بالأوروبيين وتقديراً للثقافة الأوروبية ، واجتمع من حوله نفر من كبار الأوروبيين في العلم والحرب : كونيج ، كلوت ، لبيان ، مرنت ، روكش ، سليمان الفرنساوي ، فردناند دلسبس . . . الخ وعلى الرغم من إلغاء بعض المدارس وديوانها إلا أن رفاعة وأدهم ما زالا ينظران إلى مستقبل التعليم في مصر نظرة التفاؤل . فهذا الإلغاء قد يكون مقدمة للانشاء على أساس جديد يأملان أن يكون خير أساس وأقواه ليبني عليه مستقبل التعليم في مصر . ووضع كل من الرجلين في إعداد الأساس ثمرة الخبرة وتجارب السنين الماضية ، فأرادا أن يجنبا التعليم ذلك النقص الكبير الذي يلحظه مؤرخو التعليم في عهد محمد علي

---

(١) محفظة ٨ (معية تركي) ورقة ٢ رقم ١٢٥ من ابراهيم أدهم ناظر الأمور الخارجية ومفتش المهمات الحربية في ١٧ المحرم ١٢٧٢

(٢) محفظة ١٠ (معية تركي) رقم ٥٦ من محافظ مصر الى معاون الخديو في ٨ جمادى الأولى ١٢٧٢ (أدهم باشا يرفع الى سعيد باشا قصائد رفاعة بك)

ومن إهمال التربية الشعبية — أو على حد تعبير رفاعة نفسه — « وأما تربية الأهلية وإدخال المعارف فى أفراد مراتب الرعية على اختلاف درجاتهم والتسوية بين الأعيان والرعاع فى مادة التعليم الأهلى فلم تساعده (يقصد محمد على) المقادير على كمال الالتفات إليه وقضى قبل تكميله نحبه رحمة الله عليه » .

فاذا كان هذا الأمر قد فات محمد على أن ينهض به فالرجاء أن لا يفوت ابنه سعيداً . وهكذا عاد أدهم باشا إلى مشروعه القديم الذى كان قد وضعه فى أواخر عهد محمد على ولم ينفذه فى حكم إبراهيم القصير : مشروع « مكاتب الملة » لتعليم أبناء الشعب وتربيتهم[1] . وعاونه رفاعة فى بعث هذا المشروع ووضعه فى ثوب جديد والتقدم به إلى الجناب العالى[2] .

ووضع هذه اللائحة — أو على الأصح مشروع اللائحة — يؤرخ عصراً جديداً فى تاريخ نظريات التربية والتعليم فى مصر . حقاً لم يكن لها من أثر عملى فى الحركة التعليمية فى ذلك الوقت (عصر سعيد) ، ولكنها تقرر مبادىء خطيرة ستحدد القواعد التى ينهض عليها مستقبل التعليم والثقافة فى مصر :

(١) اتصال مصر بالحضارة الغربية وازدياد هذا الاتصال من عام لآخر يقتضيان مصر أن تعيد النظر فى نظامها التعليمى القائم وعموده الشعبى الأزهر والمكاتب . ولكن التعليم فيها يحتاج إلى الإصلاح ، لأنه قاصر عن « تحصيل المعارف البشرية الموصلة

(١) انظر كتابنا « تاريخ التعليم فى عصر محمد على » ص ١٤١ و ٢٠٩ — ٢١٠

(٢) نشرنا النص الكامل لمشروع لائحة المكاتب الأهلية فى عهد سعيد فى ملحق (١) فى الجزء الثالث من هذا الكتاب .

إلى درجة الرفاهية الموجودة بالبلاد الأجنبية كالعلوم والأدبيات وبعض حساب وهندسة وكالجغرافيا والتاريخ وكاللغة العربية والتركية والفارسية وغير ذلك مما يعد جهله الآن من النقائص » .

(٢) تعليم الشعب وظيفة من الوظائف الأساسية التي يجب أن تنهض بها الحكومة «التي هي كالأب ... وصار التوسط فيها بإعانتها على ذلك من قبيل فرض عين » . وذلك أن الأغنياء مع اقتدارهم على تربية أبنائهم لا يعرفون أخص الطرق الموصلة إلى ذلك ، أما الفقراء فيقعد بهم فقرهم عن السعي لتعليم أبنائهم .

(٣) الغرض من المعارف العامة التي تقدم للأطفال في المكاتب العامة — التي اقترحت اللائحة إنشاءها — ليس الإعداد لوظائف الحكومة فقط كما تفعل المدارس الأميرية ، « إنما هو التوسط لكسب العيش بأحسن حال ، سواء في ميادين الزراعة أو الصناعة أو التجارة أو الخدمة في دوائر الحكومة لمن يرغب فيها مختارا . فهذه المعارف الأولية تعين الناشئ على التجويد في صناعته بأن تفتق ذهنه وتيسر له الاطلاع في كتب صناعته » .

(٤) وستكون هذه « المعارف العمومية الأهلية » أساسا لبناء المعارف العالية ، ، وبذلك يتلافى النقص الملحوظ في النظام التعليمي في عهد محمد علي : وهو ضعف التعليم الأولى الابتدائي وقلة العناية به بالقياس إلى التعليم العالي أو الخصوصي .

(٥) يعد إنشاء هذه المكاتب الأهلية من قبيل التجربة ، حتى إذا نجحت عممتها الحكومة في سائر الأقاليم والمدن المصرية ، وبهذا يصير في الديار المصرية حقيقة معارف عمومية ويصدق الاسم على المسمى ... وتنتظم حكومة مصر في سلك التربية الأجنبية ويكون لها في ميزان الديار الأخرى المتمدنة أرجحية وأعلى مرتبة ،

(٦) السعى إلى إخضاع المكاتب الأهلية التى ينفق عليها أصحابها ، أو الأوقاف المخصصة لقراءة القرآن الشريف والخط لإشراف الإدارة التعليمية التى اقترحت اللائحة إنشاءها — وتمثل فى ناظر المكاتب ومعاونيه — وذلك « لإدخال الإصلاح بها جميعا حسب الإمكان وإدراجها شيئاً فشيئاً تحت الأصول » .

وبذلك وضع هذا المبدأ الخطير : مبدأ العناية بالمكاتب الأهلية ، وسيكون من المبادىء التى يتمسك بها على مبارك وينادى بتنفيذها ويضع لذلك لائحته الشهيرة : لائحة رجب ١٢٨٤ [١] .

والآن نلخص أهم مواد هذه اللائحة :

أشارت اللائحة بإنشاء عشر مكاتب أهلية بالقاهرة ، ولا يشترط فى التلامذة المتقدمين لها سوى « نظافة الأبدان والثياب فقط والخلو من الأمراض المعدية » وتقرر الكتب الآتية للتلامذة :

فى اللغة التركية : علم حال ، دريكتا ، بركوى ، إنشاء .

وفى اللغة الفارسية : سبحة الصبيان ، تحفة وهبى ، بند عطار .

وفى اللغة العربية : متن الأجرومية ، شرح الكفراوى ، شرح الشيخ خالد .

وفى الصرف : متن البناء ، المقصود .

وفى قراءة القرآن الشريف : حفظ الربع الأول للبعض والقرآن بتمامه للآخرين نسبة استعدادهم .

وفى القراءة العربية : تقريب الأمثال ، أمثال لافونتين المترجمة .

---

(١) انظر الفصل الخاص بالسياسة التعليمية فى الجزء الثانى من هذا الكتاب : التعليم فى عصر إسماعيل .

وفى الحســـاب : مبادىء الحساب ترجمة شيمى افندى .
وفى مبادىء الهندسة : ترجمة شيمى أفندى كذلك .
وفى الجغرافيـــا : نبذة صغيرة تتخذ من تواريخ مصر والدول العثمانية .

وينقسم المكتب إلى أربع فرق توزع عليها الدراسة كما يلى :
الفرقة الرابعـــة : أحرف الهجاء وقراءة إلى جزء عم .
الفرقة الثالثـــة : قراءة من عم إلى يس وكتابة خط الثلث .
الفرقة الثـــانية : حفظ مفردات وجمل تركية وقراءة فى علم حال وفى النحو من الآجرومية والكفراوى وفى الصرف البناء والقسم الأول من الجغرافيا والعمليات الأربع الأصلية فى الحساب .
الفرقة الأولى : فى التركية دريكتا أو بركوى وفى الفارســـية سبحة الصبان وتحفة وهبى وفى الحساب الكسور الاعتيادية والعشرية والأعداد المتناسبة وفى الهندسة مبادىء الهندسة .

وفى العربية الشيخ خالد فى النحو والمقصود فى الصرف وقطع تواريخ وأدبيات لتعويد ألسنة التلاميذ على القراءة .

أما إدارة هذه المكاتب فتوكل إلى « ناظر عموم » يكون تحت رياسة مفتش المعارف العمومية (أدهم باشا) . ويعاون الناظر معاونان للاشراف على التعليم فى المكاتب حتى يجرى على أساليب التعليم فى المكاتب الاوروبية وأمين للمخازن .

واقترح تعيين رفاعة بك رافع ناظراً عاما على هذه المكاتب ، على أن يلحق به مترجمون لإتمام ترجمة كتاب الجغرافية لملطبرون التى تمت ترجمة أجزاء منه فى عهد محمد على وغيره من الكتب الصالحة .

رفعت اللائحة إلى سعيد باشا لتناول موافقته ، فأمر بوقف تنفيذها حتى تظهر رغبة

للأهالى فى المكاتب الأهلية التى يراد إنشاؤها . وما لبثت العرائض أن قدمت يشكر فيها أصحابها الحكومة لما علموه من عزمها على تعليم أبنائهم فى هذه المكاتب بالطوع والاختيار والمبيت عند أهاليهم ولا مانع من أخذ الانسان ولده متى أحب واختار ، فقط التعليم مدة النهار ونفقات التعليم أحياناً من لدن الخديو الأعظم » . وهذه العرائض اشترك فى التوقيع عليها أفراد من طبقات مختلفة : فمن يوزباشى فى الجيش إلى مدرس فى الحكومة ومن بائع دخان إلى معاون بالمالية . . . الخ [1] .

ولكن سعيدا ما زال عن انصرافه عن المشروع . فقد كانت تشغله إذ ذاك مسائل يراها فى ذهنه أهم من مشروع رفاعة وأدهم : كقناة السويس والجيش والقلعة السعيدية . . . الخ .

ورأى رفاعة بك أنه قضى مدة طويلة — منذ عاد من السودان — من غير عمل يوكل إليه ، حتى « ضاق به العيش » ، فالتمس — ريثما يبت سعيد فى مشروع المكاتب الأهلية — أن يقيدهو وخليفة أفندى زميله فى الخرطوم بديوان المحافظة أو أى جهة أخرى ليقوما بترجمة الكتب النافعة [2] . ولكن سعيداً — فى تنقله من جهة لأخرى — لم يكن لديه من الوقت متسع لينظر فى هذا الأمر . أو كان على الراجح يتجه بفكره فى مسائل التعليم وجهة أخرى . وظل الأمر معلقاً حتى صدر الأمر بالموافقة على « ترتيب » المدرسة الحربية بالقلعة وتعيين رفاعة بك ناظراً عليها فى ١٣ ذى القعدة ١٢٧٢

(١) محفظة ٩ (معية تركى) رقم ١٤٤ من طلعت باشا الى المعية فى ١٣ جمادى الأولى ١٢٧١ (مرفقات عربية)

(٢) محفظة ٩ (معية تركى) رقم ٥١٦ من ابراهيم أدهم الى كاتب الديوان العالى فى ٢٨ جمادى الآخرة ١٢٧١ .

(يولية ١٨٥٦) وجعلها تابعة لديوان عاملة القاهرة، والحافظ إذ ذاك «إبراهيم أدهم باشا»[1].

وبعد ست سنوات عرضت الفكرة للبحث مرة أخرى، ولكن عرضها هذه المرة أجنبي ونوقشت في بيئة (أجنبية): ألقى أحد أعضاء (المجمع المصري Institut Egyptien) بحثا في جلسة المجمع بتاريخ ٢٩ يونية ١٨٦٠ عن التعليم في مصر، انتقد فيه نظام التعليم القائم في مصر وخاصة قلة العناية بالطفل والدراسات الاعدادية ودعا إلى استخدام التعليم في المكاتب (وقوامه القرآن) أساسا لرفع مستوى التعليم وجعله إلزاميا. وبناء على ملاحظة مارييت — وكان عضوا عاملا بالمجمع — بأن الموضوع من الدقة بحيث لا يمكن معالجته على هذا النحو، تكونت لجنة لبحث الموضوع والتقرير عنه لهيئة المجمع، ومن أعضاء هذه اللجنة رفاعة بك[2]، ولكنا لم نعد نسمع عنها شيئاً.

وعلى هذا النحو طوى مشروع المكاتب الأهلية، حتى تولى إسماعيل فتحقق الكثير منه على يديه.

أما سعيد فكانت له في التعليم سياسة أخرى، اعتقد أن مجهودات محمد علي في تعليم أبناء المصريين انتهت إلى لاشيء، وإذا كان محمد علي قد نجح في إخضاعهم لنظام يعرض عليهم (من الخارج) فرضا، فإنه لم يمس عقليتهم وظلوا ينظرون إلى

(١) دفتر ١٨٨٥ (أوامر) ص ٩ رقم ١٥٣ أمر إلى عاملة مصر في ١٢ ذي القعدة ١٢٧٢

(٢) Rossi, de l'Etat actuel de l'Instruction publique en Egypte. (Bull. Inst. Egypt. No. 4. 1860.)

لمدارس نظرتهم إلى الجيش . ولهذا رأى سعيد أن الحاجة في مصر لا تمس إلا إلى أمرين : الأول تكوين ضباط للجيش ، والثاني إعداد أطباء من المصريين . أما دراسة الآداب فيبدو له أنه ينبغي قصرها على صفوة الشبيبة في بلاده وليس من الملائم أن يدعو إلى تعلمها جموع الشعب .[1] وبدأ سعيد منذ تولى الحكم في مصر ينفذ سياسته . وحسبك أنه افتتح حكمه بإلغاء الهيئة الثابتة التي كانت تشرف على المدارس والتعليم وهي ديوان المدارس — ولقد كان إنشاؤه في سنة ١٨٣٧ إيذانا ببدء سياسة تعليمية ثابتة الأصول محددة الأغراض واضحة المعالم وإذا كان ديوان المدارس — في عهد عباس — قد شغل بأمور غريبة عن العلم والتعليم وهي أمور العمارة والبناء فقد كان من اليسير إعادته إلى الطريق الصحيح . وسعيد نفسه قد أدرك هذا عقب توليه الحكم في مصر ، فقد وضع حداً لمسائل البناء والعمارة حين أصدر أمره بوقف الأبنية وتحويلها إلى مقاولين وتعيين أدهم باشا مفتشا عاما للمدارس أي مشرفا على الناحية الفنية من عمل الديوان . ولكن سعيدا ما لبث أن ألغى الديوان جملة . وبالغائه فقدت المدارس سندا قويا كانت تستطيع الاعتماد عليه وتستمد منه القوة والتوجيه والارشاد ، ولم تعد توجد هيئة أو جهة إدارية معينة تختص بمسائل التعليم وتعمل لتقدمه ، وتعنى بتفاصيله وتكون الصلة بين معاهده وبين الوالي . وأمامنا مثال واضح لما نقول :

فالمدرسة الحربية بالقلعة جعلت أول إنشائها تابعة لمحافظة مصر . وقد يكون الدافع إلى هذا ما عرفناه من الصلة القوية بين رفاعة وأدهم . ولم ينقض العام حتى رؤى أن

---

(1) Merruau, L'Égypte sous le gouvernement de Saïd Pacha (Rev. des Deux Mondes, 15 Sept. 1857, p. 351.).

مدرسة القلعة هذه عسكرية بصبغتها فيجب أن تكون تابعة لديوان الجهادية [١] ، ثم لم تمض أربعة شهور وإذا بديوان الجهادية يلغى وتحال المدرسة الحربية إلى ديوان الداخلية [٢] ، ثم يعاد ديوان الجهادية بعد عام ونصف عام فيعود الوالى إلى التحدث إليه فى الشئون الخاصة بالمدرسة حيناً وإلى محافظة مصر حيناً آخر [٣] .

وما نقوله عن المدرسة الحربية بالقلعة ينطبق على غيرها من المدارس التى كانت قائمة فى عصر سعيد . وكان استبدال ديوان بآخر يتبعه استبدال لائحة بأخرى ونظام بآخر ، وهكذا عاشت هذه المدارس حياتها مضطربة من ديوان إلى آخر ومن نظام إلى آخر . ولم تكن هذه الحياة المضطربة مما يستطيع أن يتمشى معه مشروع ضخم كمشروع التعليم الشعبى فى المكاتب الأهلية التى أشرنا إليه فى هذا الفصل . فهذا المشروع الذى تقدم به أدهم ورفاعة كان يحتاج إلى سياسة منظمة مطردة وإلى تفكير سليم وقيادة حكيمة وهيئات ثابتة . ولكن عصر سعيد لم يعرف شيئاً من هذا . لهذا كان من الخير أن يطوى هذا المشروع حتى تتهيأ الوسائل لتنفيذه . أما المدارس فلا تخضع لشىء سوى أهواء سعيد المتقلبة . وقد قاست المنشآت التعليمية التى أسسها من تقلب أهوائه ، ذلك لأن إنشاء المدارس لم يصدر عن خطة معينة وأغراض واضحة . وكذلك كان إلغاؤها . وأكثر هذه المدارس لم يقدر له أن يمتد أجله إلى أكثر من خمس سنوات ، فكما شهد حكم سعيد إنشاءها كذلك شهد إلغاءها .

---

(١) أمين باشا سامى - تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٢١٦

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٧

(٣) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٨١ رقم ٢٠ أمر الى نظارة الجهادية فى ١٢ صفر ١٢٧٦ ودفتر ١٨٩٨ (أوامر) ص ١٨٦ رقم ٥٥ أمر الى محافظة مصر فى ٢٠ جمادى الآخرة ١٢٧٨

فالمدرسة الحربية بالقلعة تنشأ فى سنة ١٨٥٦ وتلغى فى سنة ١٨٦١ .

ومدرسة المهندسخانة بالقلعة السعيدية (القناطر الخيرية) تنشأ فى سنة ١٨٥٧ وتلغى فى سنة ١٨٦١ (أو بعبارة أصح تتحول إلى مدرسة حربية) .

والمدرسة الحربية بالإسكندرية (وأصلها المدارس الحربية المفروزة) تلغى فى سنة ١٨٦١ .

والمدرسة البحرية بالإسكندرية يتأخر افتتاحها إلى سنة ١٨٦٠ .

ومدرستا الطب والولادة تلغيان فى أواخر سـنة ١٨٥٤ ثم يعاد افتتاحهما فى سنة ١٨٥٦ ، ولـكنهما يجتازان سنى اضطراب وقلق ، حتى ينتهى عصر سعيد وليس بمدرسة الطب سوى ٢٥ تلميذاً موزعين على ثلاث فرق .

ومن ذلك نرى أن أكثر مؤسسات سعيد التعليمية إما أن تلغى فى سنة ١٨٦١ أو تكاد تحتضر . وقد قيل فى تعليل هذا سفره إلى أوروبا فى ذلك الوقت[1] . ويمكننا أن نضيف إلى ذلك سبباً آخر هو حل الجيش المصرى فى سنة ١٨٦١ وصرف الجند إلى بلادهم وإحالة الضباط إلى الاستيداع بنصف مرتباتهم . كما أنه أمر ببيع ما فى الخزائن الأميرية من الأمتعة الثمينة وبيع جميع المعامل والورش القديمة وبيع الأطيان المتروكة . فعل سعيد كل هذا رغبة منه — كما قيل — فى توفير المال لسداد الديون التى تراكمت على الحكومة المصرية[2] .

وهكذا ينتهى حكم سعيد وليس بمصر من المدارس الحكومية سوى اثنتين : المدرسة الحربية بالقلعة السعيدية ومدرسة الطب بالقاهرة .

---

(١) Dunne, op. cit. p. 320.

(٢) أحمد عرابى باشا : كشف الستار عن سر الأسرار ... ص ١٧

وهكذا ترى أن المدارس تنشأ وتلغى تبعاً لأهواء سعيد . واستحال التعليم على يديه — كما استحالت الجندية — إلى ملهاة يتسلى بها ! ولا عرو فقد كان ينظر إلى المدارس كما ينظر إلى فرق الجيش لهذا دعاها كلها (المدارس الحربية) وأقامها وسط معسكرات الجند : فى قلعة القاهرة مدرسة حربية وفى القلعة المسماة بالقناطر الخيرية مدرسة حربية أخرى والمدارس الحربية المقروره تحول إلى مدرسة حربية بالاسكندرية ، فالصبغة العسكرية واضحة فى أكثر منشآت سعيد التعليمية . ولهذا ترى أن جل تلامذتها كانوا من الترك والمماليك ، من أبناء كريد والمورة والأناضول وغيرهم . أما العنصر المصرى فكان ضئيلا بها أو معدما . فمدارس سعيد لم تنشأ لتربية أبناء الشعب ، وإنما أنشئت لتربية نفر من مماليك الوالى وكبار ضباطه وموظفيه وإعدادهم لوظائف الحكومة وخاصة السلك العسكرى . قد يرجع هذا إلى قلة ثقة سعيد فى تعليم المصريين[1] ، وقد يرجع إلى أن مدارس سعيد لم تكن تستمد تلامذتها — كما فعلت مدارس محمد على — من المكاتب التى كانت قائمة بالقاهرة والأقاليم وصبيتها من أهل البلاد ، ولكنها كانت مدارس قائمة بنفسها ، تقنع من تلامذتها بمعرفة القراءة والكتابة ثم تقوم على تنشئتهم على النحو الذى ترسمه لها

---

(١) لم نجد مصدراً يؤيد ما ذكره مبارك باشا فى ترجمة حياته (كشف الستار ... الجزء الأول ص ١٩) من أن سعيد باشا ارتجل فى حفلة حافلة بقصر النيل خطبة استعرض فيها أحوال مصر والمصريين الغابرة ثم قال ، وحيث أنى أعتبر نفسى مصرياً فوجب على أن أربى أبناء هذا الشعب وأهذبه تهذيباً حتى أجعله صالحاً لأن يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة ويستغنى بنفسه عن الأجانب ، وقد وطدت نفسى على إبراز هذا الرأى من الفكر إلى العمل» .

البرامج ، ولم يتسع الوقت لهذه المدارس حتى تشهد مصير خريجيها وأثرهم فى الحياة العامة .

وإذا كان رفاعة بك رافع قد قنع بعمله الجديد — بعد إخفاق مشروع المكاتب الأهلية — فى نظارة المدرسة الحربية بالقلعة فسرعان ما جهد ليجعل من معهده — فى حدود النظام الذى وضع له — مؤسسة مدنية عسكرية : فللغات الشرقية والأوروبية فيه نصيب وللأدبيات فيه نصيب وللرياضيات نصيب . وإلى جانب هذا كله يمرن الطلبة تمريناً عسكرياً ويخضعون للنظام العسكرى فى حياتهم المدرسية . وبل إن رفاعة عمل على التجرد من الصبغة المدنية لمعهده ليجعل فيه قسما للمحاسبة وقسما للترجمة ، أو بعبارة أخرى حاول أن يعيد فيه سيرة مدرسته القديمة ، مدرسة الألسن . ولكن الزمن لم يتسع لمحاولاته .

وهكذا عاشت مدارس سعيد ما عاشت بعيدة عن الشعب ، لم تستطع أن تلبي حاجة من حاجاته ، لم يثر إختفاؤها من الشعب أثراً ولم يكن لإلغائها أثر فى النظام التعليمى لأنه لم يكن ثمة نظام تعليمى فى عهد سعيد . فذهبت كما جاءت من غير أن تخلف فى حياة البلاد العلمية أثراً يذكر .

أما إغداق سعيد العطايا والهبات على الهيئات التعليمية الأجنبية لتمكينها من إقامة وإنعاش مؤسساتها فى مصر[1] فلا يمكن اتخاذه دليلا على تقدير سعيد للتعليم ورغبته فى نشره ، بقدر ما يعد دليلا على ما عرف عن سعيد من (الكرم) ورغبته فى ذيوع

---

(١) تدرنا بالمدارس الأجنبية ومدارس الطوائف الدينية فى مصر فى القرن التاسع عشر من تاريخ متصل لا يكاد يتأثر بالسياسات المتباينة التى تتغير بتغير الولاة من عباس إلى سعيد فإسماعيل ، ولهذا آثرنا أن يكون حديثنا عن هذه المدارس متصلا وآثرنا أن يكون موضعه فى الجزء التالى : تاريخ التعليم فى عصر إسماعيل .

اسمه فى الأوساط الأجنبية فى مصر وأوروبا[1] .

* * *

وإذا كان سعيد قد والى إرسال البعوث العلمية إلى أوروبا حتى بلغ من أرسلهم للدراسة فى فرنسا وألمانيا — وهما البلدان اللذان وجه إليهما سعيد أعضاء بعثاته — ٧٧ طالباً[2] فإنه لم يتبع فى مسألة البعوث سياسة واضحة وخطة معينة ، بل إنه اتخذ من نظام البعثات أداة يغدق بها على نفر من المقربين إليه وذوى الحظوة منه وكثير منهم من الأجانب ، أرسلهم آباؤهم إلى بلادهم للدراسة فيها صغار السن على نفقة سعيد ، ولا ينتظر أن تفيد منهم مصر كثيراً أو قليلا . لم يراع فى هذه البعوث تلبية حاجات البلاد ، لا نستثنى من ذلك سوى البعثات التى أوفدها قبل وفاته بعام من خريجى مدرسة الطب لإتمام الدراسة الطبية ، فقد روعى فى اختيارهم تفوقهم أثناء الدراسة ، ولقد عرفت أسماء الكثيرين منهم وأدوا خدمات جليلة لبلادهم .

ونختم هذا الفصل بأن نعرض عليك أرقام (ميزانيات) التعليم فى شطر من حكم سعيد من سنة ١٨٥٧ إلى سنة ١٨٦٣ . وليس لنا أن نأسف كثيراً على السنوات السابقة لسنة ١٨٥٧ إذ لم يكن فيها نشاط تعليمى يذكر .

---

(١) يقول مسترمن (ص ٣٤٠) انه ربما كان المال الذى منحه سعيد للفرير فى القاهرة والإيطاليين فى الاسكندرية أكثر مما أنفقه على ميزانية التعليم طوال حكمه .

(٢) انظر فيما بعد الفصل الخاص بالبعثات فى عصر سعيد .

السنة	الميزانية السنوية للتعليم		
	بارة	قرشا	جنيها
١٧٥٧ (١)	١٤	٣١	٢٦,٥٢٨
١٨٥٨ (٢)	١٥	٦٩	٣٣,٤٦٨
١٧٥٩ (٣)	٧	٧٢	٢٠,٢٦٥
١٨٦٠ (٤)	١٦	٦٨	١٩,٩٧٢
١٨٦١ (٥)	٩	٦٩	٢٧,٤٣٤
١٨٦٢ (٦)	٣٨	٩٦	٢٨,٣٠٠
١٨٦٣ (٧)	٢٨	٦٣	١٢,٧٥٦

فأكثر مدارس سعيد — كما يظهر من مفردات هذه الأرقام — كانت قائمة بين سنتي ١٨٥٧ و١٨٦١ . ففي ميزانية سنة ١٨٥٧ لانجد سوى مدرستي الطب والحربية وكذلك الحال في سنة ١٨٦٢ . وإذا كنا — رغم هذا — نرى أن مجموع ميزانية التعليم في سنة ١٨٦٢ لم ينقص عن ميزانية السنوات الماضية بل زاد على بعضها، فلا يجب أن يغيب عنا أن مقدار ما صرف على (التعليم) فعلا في هذه السنة (١٨٦٢) لم يزد على

---

(١) دفتر ٣٢٦ (ميزانيات)
(٢) دفتر ٣٢٨ (ميزانيات)
(٣) دفتر ٣٣٠ (ميزانيات)
(٤) دفتر ٣٣٢ (ميزانيات)
(٥) دفتر ٣٣٣ (ميزانيات)
(٦) دفتر ٣٣٤ (ميزانيات)
(٧) دفتر ٣٣٥ (ميزانيات)

٤ بارات و٢١ قرشا و١٫٨٧٤ جنيها . أما هذا التضخم (المفتعل فى رأينا) فيرجع إلى أن ما صرف على البعثات فى هذه السنة قد بلغ مبلغا يجعلنا نشك فى صحته وهو (٢٤ باره و ٥٥ قرشا و ٣٦٫٤٣٠ جنيها) ، حتى إذا وضعت ميزانية سنة ١٨٦٣ وهى السنة التى تولى فى أولها إسماعيل باشا هبطت أرقام ميزانيـة التعليم إلى أقل من نصف ما كانت عليه فى العـام السابق . ويؤيد ماذهب إليه من انـكماش التعليم فى سنة ١٨٦٢ ، الأمر الذى أصدره سعيد باشا إلى شريف باشا فى أوائل سنة ١٢٧٨ (يولية ١٨٦١) ، بانقاص المقرر بالميزانيه لمدارس الحربيه الكائنة فى قلاع الاسكندريه ومصر وفى القلعة الـسعيدية ولمدرسة الطب إلى النصف وتنظيمها على هـذا الوجه »[١] . ويلوح أن أكثر هذه المدارس لم تستطع أن تعيش بعد إنقاص ميزانيتها إلى النصف فتقرر إلغاؤها فى سنة ١٨٦١ : وهى — كما ذكرنا — المدرسـة الحربية بالقلعة ومدرسة المهندسخانة السعيدية والمدرسة الحربية بالاسكندرية .

وفى بعض التقارير أنه فى سـنة ١٨٦٢ كان المبلغ الذى خصص للتعليم ٢٧٥٠ جنيها فقط[٢] .

---

(١) أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٣٧٩ (إرادة لشريف باشا رئيس القومسيون فى ٧ المحرم ١٢٧٨)

(٢) Beardsley , Rapport . . . p. 11, De Régny , Statistique 1873 , p. xxx v 11 .

الفصل الثانى

معاهد الدراســـة

المدرسة الحربيـــة بالحوض المرصود

وجه سعيد منذ تولى أمر البلاد اهتمامه إلى العناية بالجيش وإلى ما يتصل بالجيش من جمع الجند وإعداد الضباط وتوفير الأسلحة والأدوات اللازمة له . وكان من الطبيعى أن يتجه تفكيره إلى الافادة من خدمات الرجل الذى اتصل اسمه بتاريخ الجيش المصرى فى عهد أبيه الكبير : سليمان الفرنساوى . وكان سليمان باشا قد أقام بمصر وتزوج بها وكان أحد رجال محمد على القليلين الذين نالوا تقدير عباس الأول فكانت له عنده الحظوة . عهد سعيد باشا إلى سليمان باشا الفرنساوى — « رئيس رجال الجهادية » أو رئيس أركان حرب الجيش — وهو المنصب الذى كان يشغله مدة حكم عباس — بأن ينشىء مدرسة يقوم فيها على تكوين ضباط لأركان حرب الجيش . فأنشأها بالحوض المرصود فى أوائل ســـنة ١٢٧٢ (١٨٥٥) وألحق بها بعض أبناء كبار الموظفين والضباط [1] ، كما كان من بينهم

---

(١) محفظة ١٠ (معية تركى) رقم ٧٠ من سليمان باشا رئيس رجال الجهادية الى عارف الخديو فى ٩ جمادى الأولى ١٢٧٢

تلاميذ بعض المدارس الملغاة ــ كالمهندسخانة وكانوا يميزون بمرتب كبير، هو مائة قرش فى الشهر لكل طالب وتعيين « تفرين »[1]، ومن أولئك الطلبة صغار السن كانوا « يلازمون » قائد المدرسة حتى يصلوا إلى السن التى تؤهلهم ليكونوا طلبة بها .[2] وكذلك أنشىء بالحوض المرصود « مصنع لصنع مؤخرات البنادق »[3].

---

(١) دفتر ١٨٨٣ (أوامر) ص ١٩٥ رقم ١٨٣ أمر كريم إلى الحربية فى ٩ جمادى الأولى ١٢٧٢

(٢) محفظة ١٠ (معية تركى) رقم ٢٧ من سليمان باشا رئيس رجال الجهادية إلى خازن الخديو فى ٥ جمادى الأولى ١٢٧٢

(٣) محفظة ١٠ (معية تركى) رقم ٨٢ من ابراهيم باشا أدهم محافظ مصر إلى خازن الخديو فى ١١ جمادى الأولى ١٢٧٢ - ويتحدث على مبارك فى خططه (م ٣ ج ٩ ص ٤٧) عن مكتب أنشأه سليمان باشا الفرنساوى بمصر العتيقة على نفقته وشمل بالعطف أخا على مبارك وابن أخيه فألحقهما بهذا المكتب بعد طردهما من المدرسة . وفى مكان آخر (م ٤ ج ١٣ ص ٥٥) ذكر على مبارك « أن رفاعة عين ناظرا ثانيا لمدرسة الحربية التى كانت بالحوض المرصود تحت نظارة سليمان باشا الفرنساوى » وفى Merouau L'Egypte Contemporaine ص ٢٢٠ فيذكر لمدرسة « أركان الحرب » التى أنشأها الجنرال سليمان باشا ويذكر « Vigntrinier » فى كتابه « Soliman Pacha » ص ٥٥٥ ، ٥٥٦ أن هذه المدرسة مدرسة سليمان باشا الفرنساوى ، أنشئت فى عصر عباس الأول ، ويذكر أن عباسا أمر سليمان باشا بأن يفتتح فى منزله بمصر العتيقة مدرسة عسكرية يتردد عليها فى أيام معينة أبناء بعض كبار الموظفين ليتلقوا على يديه المعارف اللازمة للمهنة التى يعدون لها وأطاع سليمان وبدأت الدراسة . ثم يستطرد (Vinguinier) فيذكر ما حدث بين الوالى ورئيس أركان الحرب بشأن ما طلبه تلاميذ المدرسة من نقلها الى بولاق لتكون قريبة من القاهرة ، ولكن سليمان باشا رفض رفضا باتا رغم أوامر الوالى حتى اضطر =

ولكن أهواء سعيد وتقلبه بين شتى الآراء والتيارات . . . لم يعد فى عمر هذه المدرسة الناشئة وأكبر الظن أنها لم تكمل عامها الأول ، فقد كانت ثمة تيارات خفية ورجال جدد ظهروا فى محيط الوالى ولهم فى التعليم آراء أخرى . نقصد إبراهيم أدهم باشا وكان قد عين بعد إلغاء ديوان المدارس محافظا للقاهرة ورفاعة رافع بك وكان قد اتصل بأدهم منذ حضر من الخرطوم وأمضى عامه الأول فى مصر يدعو لمشروعه الجديد — مشروع إنشاء المكاتب الأهلية ، وصدق على سعيد قصائده يعنى بها أشد العناية بامتداح الجناب العالى و « تجليدها بالأطلس النفيس والجلد الثمين ، ورفعها إلى المحافظ فيرفعها هذا بدوره إلى الوالى [1] . ولا يتحقق مشروع المكاتب الأهلية ويظل رفاعة بلا عمل فيلحقه أدهم تحت رياسته ، عضوا ومترجما فى قلم المحافظة » [2] .

وكانت مدرسة المهندسخانة قد ألغيت ولم يعد ثمة مدرسة سنية تعد التلاميذ للمدارس الأخرى : العسكرية أو الطبية . فاتجه الرأى — وقد يكون ذلك بتأثير

= هذا إلى المواهد على بقاء المدرسة فى مصر القديمة . ويتفق Vingtrinier مع ما جمع على مبارك فى أن هذه المدرسة (أو المكتب) أنشأها سليمان باشا الفرنساوى بمصر العتيقة ، على نفقته ، وقد تكون مدرسة أخرى غير المدرسة الحربية التى أنشأها سليمان باشا فى أوائل عهد سعيد فى الحوض المرصود .

(١) محفظة ١٠ (معية تركى) رقم ٥٦ من ابراهيم أدهم محافظ مصر الى خازن الخديو فى ٨ جمادى الأولى ١٢٧٢

(٢) على مبارك : الخطط التوفيقية م ٤ ج ١٣ ص ٥٥

أدهم ورفاعة — إلى أن يجعل من مدرسة سليمان باشا الفرنساوى بالحوض المرصود نواة لمدرسة جديدة تحتفظ من المدرسة الأولى بصفتها العسكرية ، على أن يتجه التعليم فيها وجهة مدنية بالإكثار من دراسة اللغات والأدبيات والرياضة إلى جانب التعليم العسكرى العام . وطبيعى أن يتجه الرأى إلى أن تضع الحكومة على رأس هذه المدرسة أحد العلماء ممن لهم قدم راسخة وخبرة واسعة فى إدارة هذا النوع من معاهد التعليم : ولم يكن هذا الرجل سوى رفاعة بك رافع .

قام سليمان باشا الفرنساوى بالخطوات التمهيدية لإنشاء المدرسة : فاختار لها تلامذتها المتازين وتتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والثامنة عشرة ومنهم تلامذة مدرسته القديمة وبعض المدارس الأخرى [1] من الملمين بالقراءة والكتابة وذوى الصحة والوجاهة [2] ، حتى إذا أتم عمله التمس إحالته إلى المعاش [3] وسلم العمل إلى

---

(١) محفظة ١١ (معية تركى) رقم ١٦٣ من سليمان باشا رئيس رجال الجهادية إلى عابدين الخديو فى ٢٠ رجب ١٢٧٢

(٢) محفظة ١١ (معية تركى) رقم ٢٣٨ من سليمان باشا رئيس رجال الجهادية إلى عابدين الخديو فى ٢٩ شعبان ١٢٧٢

(٣) محفظة ١٢ (معية تركى) رقم ٢٢٧ من سليمان باشا رئيس رجال الجهادية إلى عابدين الخديو فى ١٤ شوال ١٢٧٢ وجاء فى هذا الالتماس أنه بلغ من العمر أربعا وستين سنة وقضى فى خدمة الحكومة المصرية إحدى وخمسين سنة وأنه يترك تسوية معاشه إلى كرم الجناب العالى من غير التجاء إلى اللوائح والقوانين ، وأنه رغم اعتزاله الخدمة يضع نفسه تحت تصرف الخديو وأبدى استعداده لبث دروسا على كبار الضباط فى فن قيادة الجيش وليشرف على ترجمة الكتب المراد ترجمتها من الفرنسية . وقد أصدر سعيد أمرا بقيد سليمان باشا مرتباته القديمة (أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٣١٧).

رفاعة بك فصدر الأمر الكريم بتعيينه ناظرا للمدرسة الحربية بالقلعة وبالموافقة على «الترتيب» الذى وضع لها (١).

المدرســـة الحربية بالقلعة

وهكذا أنشئت المدرسة الحربية بالقلعة فى ذى القعدة ١٢٧٢ (يوليه ١٨٥٦) وجعلت تابعة لمحافظة القاهرة (٢) — والمحافظ إذ ذاك إبراهيم أدهم باشا — ووضع لإدارتها «ترتيب» من ستة عشر مادة (٣).

يؤكد سعيد فى مقدمة هذا الترتيب أن «تعليم العلوم والفنون أساس المدنية والتقدم» ولهذا وافق على هذا الترتيب الذى ينظم تلامذة المدرسة : عددهم ومرتباتهم

= إرادة لمرعى باشا ناظر الدائرة السنية فى ١٤ شعبان ١٢٧٥) فلما مات سليمان باشا فى ٢٤ مارس ١٨٦٠ (Vingtrinier p. 553.) أمر سعيد بتخصيص معاش لحرمه وكريمته على اعتبار مرتبه فى رتبة الفريق العسكرية (تقويم النيل ص ٣٠٩ أرادة لراغب باشا ناظر المالية فى ١٥ ربيع الثانى ١٢٧٧)

(١) دفتر ١٨٨٥ (أوامر) ص ٩ رقم ١٥٣ ودفتر ترتيبات ووظائف ... ص ٤٣٤ أمر كريم الى محافظة مصر فى ١٣ ذى القعدة ١٢٧٢

(٢) دفتر ١٨٨٥ (أوامر) ص ٩ رقم ١٥٣ أمر كريم الى محافظة مصر فى ١٣ ذى القعدة ١٢٧٢ ، أمين باشا سامى - التعليم فى مصر - القسم الخامس ملحقات ص ٥١ ، اسماعيل باشا سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ج ٢ ص ٢٧٠

(٣) انظر مقدمة الترتيب فى : دفتر ترتيبات ووظائف ص ٤٣٤ وترجمته وملخص اللائحة فى Merruau · L' Egypte Contemporaine p. 221 — 283 وقد ذكر «ميرو» نقلا عن العدد من جريدة «برزخ السويس» التى كانت تصدر بالفرنسية فى الاسكندرية =

وحياتهم بها ومواد الدراسة وعدد سني الدراسة وأساتذة المدرسة وضباطها وموظفي قلم الترجمة الملحق بها

فالمادتان الأولى والثانية يحددان تلاميذ المدرسة بمائتين وتتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والثامنة عشرة ويشترط فيهم معرفة القراءة والكتابة، حتى يستطيعوا منذ السنة الأولى أن يتابعوا شتى الدروس التي تلقى في المدرسة. ويعد هؤلاء التلاميذ خاصة للسلك العسكري، على أن يدرسوا في السنتين الأولى والثانية العلوم المشتركة العسكرية والمدنية. ولهذا اعتبرت الدراسة في هاتين السنتين دراسة تجهيزية، ثم يخير الطالب في مبدأ السنة الثالثة تبعاً لميولهم فمنهم من يختص بدراسة المواد العسكرية ومنهم من يفضل — أو يفضل له — الدراسة المدنية.

وذكرت المادة الثالثة مواد الدراسة الآتية: اللغة العربية إعراباً وإنشاء لجميع التلاميذ من غير استثناء واللغتان التركية والفارسية لمن يرغب في تعلمها وإحدى اللغات الأجنبية: الانجليزية أو الألمانية أو الفرنسية بحسب رغبة الطالب ورسم المثلثات والرسم الخطي والخطط العسكرية والجغرافية العامة والتاريخ. ونصت المادة الرابعة على أن توزع هذه المواد على سنوات أربع قد تزاد سنة خامسة. ثم تلي ذلك المواد الخاصة بامتحان النقل من فرقة إلى أخرى وتوزيع الجوائز على الطلبة المتازين

= الصادر في ٥ أغسطس ١٨٥٦ أن سعيداً أملى بنفسه القرار بالموافقة على لائحة المدرسة وأن كثيراً من موادها قد وضع بناء على اشارته الخاصة — وفي كتاب أرفاعة بك إلى وكيل الجهادية في ٢٣ شوال ١٢٧٣ (محفظة ١٤ معيه تركي رقم ١٣٥) اشارة الى أن تلك اللائحة قد وضعها سعيد بنفسه .

ومرتبات الطلبة [1] والملابس والكتب وأدوات الدراسة وكلها على نفقة الحكومة ، وتنص المادة الرابعة عشرة على العقوبات التي توقع على الطلبة ويحرم قطعياً العقوبات البدنية .

وفي المادة السادسة عشرة أن يشكل مجلس الدراسة من ناظر المدرسة ووكيلها وأستاذ من كل من أساتذة اللغة العربية والتركية واللغات الأجنبية والرياضيات وأحد الضباط الذين يقومون على التعليم العسكري . على أن يتناوب أساتذة المدرسة عضوية المجلس كل ثلاثة أشهر حتى يتساح لهم جميعاً أن يأخذوا في مداولاته بنصيب ، أما اختصاص هذا المجلس فتداول الرأي في كل ما يعود على المدرسة بالتقدم . وترفع قراراته إلى الوالي .

وأقبل رفاعة بك على عمله الجديد ، وهمه أن يجدد به ذكريات مدرسة الألسن التي قام على إدارتها وتعهد شبابها سنين طويلة . وهو لا يحب أن يحوّله صبغة المدرسة العسكرية عن آماله وميوله . وأكبر الظن أن رفاعة راح يستكثر من الصبغة المدنية لمدرسته ، ليحبب فيها الأهالي من وجهة ، وليجعل منها ما كانت مدرسة الألسن من قبل مركز الثقافة المدنية في مصر فلم يقتصر على شرفها الدراسية العادية ، بل قيل إنه

(١) جاء في هذه اللائحة أن مرتب الطالب في الشهر مائة قرش ، ولكن جاء في وثيقة أخرى (دفتر ١٨٨٩ (أوامر) ص ٨٤ رقم ٢٤ أمر كريم الى الجهادية في ٢٢ رجب ١٢٧٤) ان النفر (الطالب الذي لا يحمل رتبة عسكرية) الذي يقرأ ويكتب له في الشهر ٧٥ قرشا والمبتدىء ١٥ قرشا والاونباشى يزيد عن النفر ١٠ قروش والجاويش والبلوك يزيد عن الاونباشى ١٠ قروش والباشجاويش يزيد ١٠ قروش أخرى

جعل فيها فرقة خاصة للمحاسبة [1] ، وألحق بها قلماً للترجمة وضع على رأسه أحد تلامذته القدماء : السيد صالح مجدى [2] ، بل قيل إن رفاعة كان يجمع إلى هــذا نظارة مدرستى الهندسة الملكية والعمارة وتفتيش مصلحة الأبنية [3] . أما مدرسة الهندسة هــذه فلم

---

(١) أمين باشا سامى . التعليم فى مصر ص١٦ ، ويبدو أن انشاء هذه الفرقة تأخر عامين لأن فى ٢٣ صفر ١٢٧٤ صدر أمر كريم الى رفاعة بك (دفتر ١٨٨٩ (أوامر) ص ٥٠ رقم ١٦) بتخصيص ٤٣ تلميذا ليتعلموا الكتابة والانشاء وغيرها .

(٢) على باشا مبارك : الخطط م ٢ ج ٨ ص ٢٤ ، الوقائع المصرية العــدد ٣٨٣ فى ٥ ذى القعدة ١٢٧٧

(٣) السيد صالح مجدى : حلية الزمن فى مناقب خادم الوطن وعبد الرحمن بك الرافعى : تاريخ الحركة القومية الجزء الثالث ص ٤٩٣ — ولم يقتصر رفاعة بك على عنايته بترجمة الكتب بل عنى كذلك بطبع جمــلة من المؤلفات القديمة فاستصدر من سعيد باشا أوامره بطبع جملة كتب عربية على طرف الحكومة مع الانتفاع بها فى الأزهر وغيره منها تفسير الفخر الرازى ومعاهد التنصيص وخزانة الأدب والمقامات الحريرية وغير ذلك من الكتب التى كانت عديمة الوجود فى ذلك الوقت (على مبارك : الخطط م ٤ ج ١٣ ص ٥٥ — ٥٦) ومنها أيضا مقدمة ابن خلدون . وقد استلزم هذا عنايته بمطبعة بولاق حفظا لصيتها وشهرة المطبعة المصرية المشهورة بصحة ودقة أمورها وجودة طبعها ، فصدر الأمر الى ناظرها — جودت أفندى — باختيار المصححين وغيرهم لسرعة طبع الكتب التى دفعت بها عائلته القاهرة الى المطبعة وعددها عشرون أو ثلاثون كتابا . وكانت هذه الكتب تطبع على نفقة الحكومة أو يقوم الملتزمون بطبعها على نفقتهم . وقد عين الشيخ ابراهيم الدسوقى الذى كان مصححا بالمهندسخانة القديمة رئيسا لمصححى المطبعــة ومن مصححيها ، الشيخ محمــد قطة ، وهو من أقرباء رفاعة بك وكان مدرسا بمدرسة الألسن القديمة ، ومن الكتب الأجنبية الهامة التى طبعت بإعانة سعيد باشا كتاب الأستاذ بروكش فى تاريخ مصر فى ثلاثة مجلدات (انظر أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر عباس =

تكن — على وجه الترجيح — (لأن الوثائق لا تذكر شيئاً في هذا الصدد) سوى تلاميذ مهندسخانة الملغاة التي ضم بعض تلامذتها إلى المدرسة الحربية الجديدة .

أما مدرسة العمارة فقد ذكر أمين باشا سامي [1] أنها أنشئت في يناير سنة ١٨٥٨ أي بعد إنشاء مدرسة القلعة بنحو عام ونصف عام وألغيت في أغسطس ١٨٦١ أي في تاريخ إلغاء مدرسة القلعة . وكان ناظرها يدعى «أحمد أفندي» وليس في أي مصدر آخر ذكر لهذه المدرسة .

اختار رفاعة بك مدرسي مدرسته من بين مدرسي مدرستي الحوض المرصود والمهندسخانة القديمة ، وكان رفاعة دائم العطف عليهم والتوصية بهم [2] .

أما تلامذته فقد علمهم أنفارا وضباط صف ورتبهم ثمانية فصول طبقاً لقدراتهم العقلية ، يدرسون في العام الأول من التحاقهم بها كما جاء بتقرير لجنة امتحان التلاميذ على النحو الآتي [3] :

= وسعيد م ١ ج ٣ ص ١٥٦ و ١٥٩ و ٢٧٢ و ٥٠٦ و ٣٥٦ — ودفتر ١٨٨٠ (أوامر عربي) ص ١٣٧ رقم ٣ إلى محافظ المحروسة في ١٠ جمادى الأولى ١٢٧١

(١) التعليم في مصر . القسم الخامس ملحقات ص ٤٩ — وهذا يفسر قول دور في كتابه ص ٢١٥ أنه في حكم سعيد باشا جمع ما بقي من مدارس الحكومة القليلة في القلعة تحت إدارة رفاعة بك .

(٢) ومنهم حسين سليمان ومحمد خفاجي معلما الرياضيات ومحمد صادق معلم الرسم ومصطفى النجدي معلم اللغة الألمانية وطبيب المدرسة والشيخ محمد الزعفراني معلم العربية أما وكيلها فيدعى البكباشي ابراهيم افندي .

(٣) المرفق العربي للوثيقة التركية رقم ١٣٥ (محفظة ١٤ معية تركي) في غرة القعدة ١٢٧٣

تلاميذ الفصل الأول وهم ١٣ تلميذا يدرسون فى الهندسة الثانى مقالات من لوجاندر بالثبات .

والحساب : على التمام (كذا) بالثبات .

واللغة الفرنسية : فى النحو لغاية الضمير ومطالعة أحلافنا مه وإملاء .

واللغة التركية : ثلاث عشرة قطعة من تحفة وهبي وقراءة مفردات تركية .

واللغة العربية : القسم الأول من التحفة الحربية فى تعليم العربية .

وتوربه يادة (أى المناورات) فصل أول لغاية الدرس الرابع من القانون الثانى علما وعملا وكذلك يدرسون الرسم وخط الرقعة .

وتلاميذ القسم الثانى من الفصل الأول وهم ١٢ تلميذا يدرسون المواد السابقة مع اختلاف بسيط فى الهندسة والفرنسية .

وتلاميذ الفصل الثانى وهم ٢٨ تلميذا يدرسون المواد السابقة مع اختلاف فى التحصيلات على أنهم يدرسون اللغة الانجليزية بدل الفرنسية ، ومنهم احتيرفريق لدراسه (التلغراف الانجليزى) بمصلحة المرور [١]

وتلاميذ الفصل الثالث وهم ٢٣ تلميذا يدرسون — عدا بقية المواد — اللغة الألمانية .

» » الرابع » ٣٠ » » — » » » — » الفرنسية

فيقومون بقراءة وحفظ مفردات ومحادثات ابتدائية . أما فى الهندسة فيكتفون بالمقالة الأولى من لوجاندر وفى الحساب العمليات الأربع وكذلك تلاميذ الفصل الخامس وهم ٢٩ وتلاميذ الفصل السادس وهم ٢٨ تلميذا أما تلاميذ الفصل السابع

(١) محفظة ١٧ (معية تركى) رقم ٤٦ من ناظر الداخلية الى المعية فى ١٤ جمادى الأولى ١٢٧٤ .

و ٨) فيكتفون فى الحساب بعمليات الجمع والطرح وضرب الأعداد الصحيحة وفى المرتبة بقراءة كلمات من كتاب هجاء فرنسى وفى اللغة العربية يقرءون جانبا من (التحفة الخيرية فى تعليم العربية) ويكتبون خط الرقعة وفى مأمورات السيادة يكتفون بالفصل الأول من القانون الثانى علما وعملا .

أما تلاميذ الفصل التاسع ، وهو أول فصول المدرسة عدد تلامذته ١٩ منهم ١١ تلميذا سودانيا ولا يدرسون سوى الهجاء وقراءة القرآن الكريم

وهكذا نرى أن رفاعة بك قد تجاوز — منذ العام الأول من حياة مدرسته — عدد تلامذتها المقرر ثلاثين تلميذا .

ونظم مجلس المدرسة الدراسة على الفصول الثمانية فى العام الثانى من حياة المدرسة بما لا يخرج عما تقدم [١] سوى تدريس « الشيخ خالد » و « الكفراوى » فى شرح الآجرومية بدلا من كتاب (التحفة الخيرية) وكذلك نجد اللغات الأجنبية تدرس بالفصول السبع الأخرى . وكان للغة الفرنسية النصيب الأوفى . فقد كانت تدرس فى خمس فصول والانجليزية فى فصل والألمانية فى آخر .

والجدول التالى يبين خطة الدراسة بمدرسة الفيمة فى عامها الثانى :

---

(١) محفظة ١٤ (معية تركى) رقم ٤٦٥ (ومرفقها العربى) من رفاعة بك ناظر المدرسة الحربية إلى كاتب ديوان الخديو فى ٢٨ ذى الحجة ١٢٧٣ .

(جدول ترتيب دروس المدرسة الحربية فى السنة المكتبية

من ١٥ شوال ١٢٧٣ إلى ١٥ شعبان ١٢٧٤)

المادة	الفصل الأول	الثانى	الثالث	الرابع	الخامس	السادس	السابع	الثامن
نحو	شرح الأجرومية للشيخ خالد	متن وشرح الأجرومية للكفراوى				متن الأجرومية مجرد عن الشرح		[illegible]
هندسة	أربع مقالات من لوجاندر باثبات			مقالتان من لوجاندر باثبات			—	
حساب	الجزء الأول من الحساب بإثبات النسبة والتناسب			الجزء الأول من الحساب بدون إثبات النسبة والتناسب				
لغة أجنبية	لغة فرنسية	لغة انكليزية	لغة ألمانية	لغة فرنسية				
مادة عسكرية	تورية بيادة							
لغة تركية وفارسية	تحفة وهى ومفردات			علم حال ومفردات				
رسم وخط	رسم طبوغرافى			رسم خطوط وخط فرنساوى				

وهكذا نرى أن تأثير مدارس محمد على ما زال قوياً : فكتبها ما تزال تدرس كالكفراوى والشيخ خالد وتحفة ومي وعلم حال ولوجانفر ، على أننا نلحظ عناية أشد بتدريس اللغات الأجنبية فقد عم تدريسها جميع تلاميذ المدرسة سوى المبتدئين وجد تدريس اللغة الألمانية لبعض تلامذتها . والسنة الدراسية — كما كانت فى عهد محمد على — تنتهى فى شهر شعبان من كل عام ، فيمتحن التلاميذ فى النصف الثانى منه ثم يقضون الاجازة السنوية فى رمضان وعيد الفطر ثم تفتح الدراسة فى منتصف شوال ، وبذلك تستمر الدراسة عشرة أشهر كاملة لا يتخللها سوى عطلات قصيرة فى عيد الأضحى والمواسم الأخرى . وكان يعهد بامتحان التلامذ إلى لجان تتكون من بعض النابهين المتصلين بالمدارس كعلى مبارك وعلى ابراهيم وغيرهما . ورأس لجنة الامتحان أحد الأعوام محمد شريف باشا ناظر ديوان الخارجية .

وأفلحت المدرسة فى « جذب خواطر الأهلين »[1] فكثرت طلبات إلحاق أبنائهم بها ، حتى اضطر رفاعة بك كما رأيت إلى تجاوز العدد المقرر لمدرسته ثلاثين تلميذا . ومع ذلك فقد كان يضطر إلى صرف كثير من الشبان لأصحاء الذين يعرفون القراءة والكتابة[2] ولبت الحكومة حاجة الأهلين ، فرفعت عدد التلامذة إلى ثلاثمائة و بنت لهم بعض حجرات جديدة[3] ، بعد أن عدلت عما ارتآه رفاعة بك من نقل المدرسة من

---

(١) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٤ ج ١٣ ص ٥٥

(٢) عفظة ١٤ (معيــة تركى) رقم ٢٩٩ من ناظر الجهادية إلى المعية فى ٢٤ ذى القعدة ١٢٧٣

(٣) أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٢٣٥ ارادة لأدهم باشا حافظ المحروسة فى ١٠ المحرم ١٢٧٤

القلعة إلى مكان المهندسخانة القديمة ببولاق[1]، ثم ألحقت بها عشرين من أبناء الأوروبيين المقيمين بمصر[2]. على أنه فى العام السابق لإلغائها — أى فى سنة ١٨٦٠ — صدر الأمر بعدم زيادة تلامذتها والاكتفاء بالـ٢٤٣ تلميذاً الموجودين بها[3].

ويبدو أن سعيد باشا ارتاح لتقدم المدرسة وقدر جهود ناظرها فأنعم عليه برتبة المتمايز بعد إنشاء المدرسة بثلاثة أعوام[4].

على أن ثمة أمراً كان لاشك يعوق إطراد تقدم المدرسة : وهو اختلاف الجهة التى تتبعها المدرسة من وقت لآخر . فقد رأيت أنها أول إنشائها جعلت تابعة لمحافظة مصر . وقد أرجعنا ذلك إلى ما كان من الصلة بين رفاعة بك وأدهم باشا محافظ مصر . ولا شك فى أن هذه التبعية كان لها ما يبررها ؛ فقد عرف عن أدهم اتصاله بالتعليم فى عهد محمد على وأوائل حكم عباس اتصالا أجدى عليه خبرة وكفاية فى معالجة مسائله والتعرف إلى رجاله .

على أن ما عرف من كثرة التغييرات الإدارية فى عهد سعيد لم يترك مجالا لبقاء المدرسة تابعة لمحافظة مصر ، ففى غرة رجب ١٢٧٣ (فبراير ١٨٥٧) وضع نظام جديد

---

(١) محفظة ١٤ (معية تركى) رقم ٤٦٠ من ناظر المالية إلى المعية فى ٢٨ ذى الحجة ١٢٧٣

(٢) دفتر ١٨٩٤ (أوامر) ص ٢ رقم ١ أمر إلى ناظر المدرسة الحربية فى ٢٤ صفر ١٢٧٧

(٣) دفتر ١٨٩٤ (أوامر) ص ١٢٥ رقم ٩٣ أمر إلى محافظ مصر فى ١٤ شوال ١٢٧٧

(٤) أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٣٢٩ إرادة لناظر الجهادية فى ٢٠ ذى الحجة ١٢٧٥

لاختصاصات الدواوين وروى فيه أنه لما كانت مدرسة القلعة مدرسة عسكرية يجب أن تكون تابعة « فى كل أمورها وخصوصياتها لديوان الجهادية »[١]. ويبدو أنه كان لديوان الجهادية رأى جديد فى تنظيم المدرسة، فطلب إليه أن يضع ترتيباً جديداً للمدرسة وافق عليه الوالى فى ٢٩ ربيع الثانى ١٢٧٤ (يناير ١٨٥٨)[٢]. ولم يمض على ذلك شهور أربعة حتى صدر الأمر بإلغاء ديوان الجهادية وإحالة المدرسة الحربية إلى ديوان الداخلية[٣]. وبعد عام ونصف عام أعيد ديوان الجهادية، وعاد الوالى يتجه إليه فى الشئون الخاصة بالمدرسة حينا وإلى محافظة مصر حينا آخر[٤].

وثمة أمر آخر لاشك كان له أثره فى سير المدرسة : وهو اختلاف ميزانيتها اختلافاً بيناً من عام لآخر. ونزيد هذا الأمر هنا جلاء مستندين إلى وثائق أخرى غير دفاتر الميزانيات.

فقد كانت ميزانية المدرسة منـذ إنشائها تبلغ فى الشهر ٢٧ بارة و ٢٦ قرشا و٦٥٧ جنيها. ثم لما وضع للمدرسة ترتيب جديد على أثر إحالتها إلى ديوان الجهادية فى سنة ١٢٧٤ (١٨٥) أصبحت ميزانيتها الشهرية فى هذا الترتيب إلى ١٦ بارة و ١٥ قرشا

---

(١) المصدر السابق ص ٢١٦

(٢) دفتر ١٨٨٩ (أوامر) ص ٨٤ رقم ٢٠ أمر كريم الى ديوان الجهادية فى ٢٩ ربيع الثانى ١٢٧٤.

(٣) أمين سامى. تقويم النيل ج ١ ج ٣ ص ٢٨٧ أمر عال للداخليـة فى ٢٥ شعبان ١٢٧٤.

(٤) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٨١ رقم ٣٠ أمر كريم الى نظارة الجهادية فى ١٢ صفر ١٢٧٦ ودفتر ١٨٩٨ (أوامر) ص ١٨٦ رقم ٥٥ أمر كريم الى محافظة مصر فى ٢٠ جمادى الآخرة ١٢٧٨

و ٥٨ جنيها [١] ، وبعد ذلك أضيف إلى هذه الميزانية الشهرية مبلغ ٤٢/٥،٠٤ قرشا بناء على رغبة ناظرها [٢] ، على أنه قبيل إلغائها صدر الأمر بانقاص ميزانيـة المدارس — ومنها المدرسة الحربية بالقلعة — إلى نصف ماهي عليه [٣] . ولا شك في أن هذه الضربة كانت قاصمة ، لم تستطع المدرسة أن تتخلص منها فكان ذلك تمهيداً لإلغائها .

وحدث هذا الالغاء في أوائل سنة ١٢٧٨ (أغسطس ١٨٦١) بعد أن عمرت خمسة أعوام وشهرين [٤] ، وأوشكت المدرسة أن تؤتى ثمارها و « ظهرت نجابة تلامذتها واستفادتهم استفادة جيدة في أقرب وقت » [٥] .

مدرسة القلعـــة السعيدية

رأيت أن سعيد باشا أمر في أغسطس ١٨٥٤ بانشاء مدرسة المهندسخانة التي أنشأها عباس الأول وبالحاق ناظرها ، على مبارك بك ، بالحملة المسافرة للقتال في بلاد

---

(١) أمين باشا سامي - تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٢٦١ أمر كريم إلى ديوان الجهادية في ٢٩ ربيع الثاني ١٢٧٤

(٢) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٨١ رقم ٣٠ أمر كريم الى ديوان الجهادية في ١٢ صفر ١٢٧٦

(٣) أمين باشا سامي - تقويم النيل ... م ١ ج ٣ ص ٣٧٩ إرادة لشريف باشا رئيس مجلس القومسيون في ١٠ المحرم ١٢٧٨

(٤) أمين باشا سامي - التعليم في مصر - القسم الخامس ملحقات ص ٥١ ودفتر ١٨٩٨ (اوامر) ص ١٨٦ رقم ٥٥ امر كريم الى محافظة مصر في ٢٠ جمادى الآخرة ١٢٧٨

(٥) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٤ ج ١٢ ص ٥٥

القرم، وبيعت كتب المدرسة وأدواتها [١].

وهكذا عفى على المهندسخانة وآثارها . ولكن الحكومة مالبثت أن أحست الحاجة إلى المهندسين فراحت تلتمس من المهندسين المصريين أو الحاليين إلى الاستيداع [٢] .

وكان سعيد يطوف بجيشه من مكان لآخر . واستقر به في إحدى جولاته عند القناطر الخيرية . ففكر في أن يبني عندها قلعة تخلد اسمه وتحمي – فيما ذكروا له – القاهرة من ناحية الشمال وتكون مركزاً عسكرياً تتجمع فيه وحدات الجيش وساحة للفرق (السعيدية) التي تحمل اسمه وتمتاز بين فرق الجيش بلباس خاص وتدريب خاص ومرتب خاص .

وفي صباح ٢٣ جمادى الآخرة ١٢٧١ (مارس ١٨٥٥) أقيم احتفال باهر وضع فيه محمد سعيد باشا الحجر الأساسي في بلد القلعة السعيدة وضربت مدالية تذكارية نقش على إحدى واجهتيها رسم الاستحكامات التي أقيمت وعلى الجهة الأخرى هذه عبارة [٣]

« في يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الآخر سنة إحدى وسبعين ومائتين ، وألف من الهجرة وضع أساس القلعة السعيدية والاستحكامات المنيعة وسط ، القناطر الخيرية حماية أم الدنيا محمد سعيد بن محمد على العظيم المولود بالإسكندرية »

---

(١) علي مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٤٨

(٢) أمين سامي : تقويم النيل ... م ١ ج ٣ ص ١٦ أمر إلى أدهم باشا محافظ مصر في ٩ شعبان ١٢٧٢

(٣) المصدر السابق ص ١١٠ والصفحة المواجهة للصفحة ١٠٦

« سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف والذى تولى حكم مصر فى شوال سنة سبعين « ومائتين وألف من الهجرة وله من العمر أربع وثلاثون سنة » .

وسرعان ما أصبحت « القلعة السعيدية » مركزا لنشاط عسكرى وتعليمى كبير ، أنشئت بها فى أول الأمر مدرسة حربية يتعلم فيها ضباط الجيش . ويرجع السبب فى إنشائها إلى حادث طريف يتفق مع ما نعرفه من أخلاق سعيد . ذكر اسماعيل باشا سرهنك [1] أن سعيد باشا لما قصد السفر إلى السودان فى سنة ١٢٧٣ (١٨٥٦) صرف جميع عساكر الجيش لخوفه من أن يثوروا عليه مدة غيابه ، وذكر فى موضع آخر [2] أن سعيدا جمع عموم الضباط من أول رتبة البكباشى إلى رتبة الاسمران وشكل منهم مدرسة بالقلعة السعيدية وجعل لها الأساتذة والمأمورين وجعل نظارة المدرسة للأميرالاى على بك المعروف بسيواستبول ، ولما عاد سعيد من السودان أعاد الجيش ثانية . وتؤيد الوثائق التى بين أيدينا ما ذكر سرهنك من جمع الضباط فى مدرســـة بالقلعة السعيدية : فقد أصدر سعيد أمرا إلى ديوان الجهادية فى أوائل سنة ١٢٧٤ (نوفمبر ١٨٥٧) بالحاق الأكفاء من الضباط بهذه المدرسة أما غير الأكفاء فيمنحون معاشا أو أرضا [3] .

ثم لما صدر الأمر باعادة تنظيم الجيش اختير ضباطه من الضباط الملتحقين

---

(١) حقائق الأخبار ... ج ٢ ص ٢٧٠

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٥

(٣) محفظة ٦ (جهادية) رقم ٢٤٨ أمر الى ناظر الجهادية فى ٦ ربيع الأول ١٢٧٤

المدرسة الحربية بالقلعة السعيدية [1] .

وعلى هذا النحو كان إنشاء هذه المدرسة الحربية بالقلعة السعيدية وكانت نهايتها .

أما القلعة السعيدية فما لبثت أن استعاضت عن المدرسة الحربية بمدرسة أخرى : في أوائل سنة ١٢٧٤ (أواخر سنة ١٨٥٧ م) أي في الوقت الذي انتهت فيه المدرسة الحربية ، أمر سعيد باشا بإنشاء مدرسة للهندسة تلحق باستحكامات القلعة ، على أن يكون تلاميذها من أبناء الأهالي والعمد والمشايخ والتجار ، ثم وافق على أن يلحق بها أبناء الموظفين أيضا . وخص كل مديرية بعدد معين من التلاميذ على أن تتراوح أعمارهم بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة ويعرفوا القراءة والكتابة .

وهكذا اجتمع في (قصر النيل) — ريثما يتم إعداد مكان المدرسة بالقلعة السعيدية — خمسة وخمسون شابا ليكونوا (نواة) المهندسخانة ، وكل زادهم من العلم معرفة القراءة والكتابة ، وكانوا موزعين على المديريات الآتية : [2]

مديرية روضة البحرين	٢١ طالبا
مديرية المنيا وبني مزار	١٩ »
مديرية الجيزة	٩ طلاب

(١) محفظة ١٩ (معية تركي) رقم ١٨٢ من ناظر الجهادية الى المعية في ١٥ ربيع الثاني ١٢٧٤

(٢) محفظة ١٦ (معية تركي) رقم ١٦٠ و١٧٢ و١٨٩ و٢٢٢ و٢٣٢ و٢٣٨ من المديريات في ربيع الثاني ١٢٧٤ . وليس في الوثائق ما يؤيد ما ذكره اسماعيل سرهنك باشا (حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٧٠) من ان سعيدا باشا فتح مدرسة المهندسخانة ثانية ببولاق سنة ١٢٧٤ ثم نقلها الى القلعة السعيدية ، والصحيح ما ذكرناه وهو أن طلبة المهندسخانة جمعوا أولا في قصر النيل ثم انتقلوا الى القلعة السعيدية .

مديرية أسيوط	٨ طلاب
مديرية جرجا	٧ »
مديرية قنا	٥ »
مديرية إسنا	٥ »
مديرية القليوبية	طالب واحد

وكان يراد إعداد هؤلاء الطلاب للهندسة العسكرية «حتى تعين لهم القلعة السعيدية ليقيموا بها تحت إشراف مأمور استحكاماتها « موتوبك » ويكونوا تابعين لعموم الجهادية ، وأقيمت لهم فى أول الأمر بيوت من خشب [1]، وعهد إلى موتو وضع «ترتيب» للمهندسخانة الجديدة يوضح فيه ما تحتاج اليه من المدرسين والموظفين . ووافق سعيد باشا على هذا الترتيب وأصدر أمره بتنفيذه فى ١٩ ربيع الثانى ١٢٧٤ (١١ ديسمبر ١٨٥٧) ، وعما جاء فيه تعيين مسيو دى برناردى «De Bernardi» كبيرا لمعلمى المدرسة وتعيين ستة عشر صف ضابط من سلاح المهندسين الخارجين عن الخدمة [2] .

---

(١) أمين سامى . تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٢٥٦ أمر الى الكتخدا الجديد فى ١٨ ربيع الثانى ١٢٧٤ :

(٢) دفتر ١٨٨٩ (أوامر) ص ٧٠ رقم ١٦ أمر الى ديوان الجهادية فى ١٩ ربيع الثانى ١٢٧٤ — ويذكر امين باشا سامى (التعليم فى مصر . القسم الخامس من الملحقات ص ٤٨) أن مدرسة المهندسخانة فتحت فى ديسمبر ١٨٥٨ وناظرها ، احمد افندى حلمى ، ولكن الواقع — كما ترى من الوثائق التى ذكرناها — أن المدرسة فتحت فى ديسمبر ١٨٥٧ وكانت تحت ادارة موتو بك مأمور الاستحكامات ورياسة الهيئة الفنية فيها دى برناردى أما أحمد حلمى فقد يكون ناظرا لمهمات المدرسة ، وقد عين وكيلا للمدرسة التجهيزية اول =

ومضى شهران على موافقة الوالى على (ترتيب) المدرسة، وصدر الأمر بأن يرسل الطلبة بقصر النيل الذين قيدوا على ذمة مدرسة العلوم الحصمية، إلى القلعة السعيدية حيث يباشر موتو بك تعليمهم [1].

وعلى هذا النحو أنشئت مدرسة المهندسخانة السعيدية.

وما بدأ التلاميذ دراستهم حتى ألغى ديوان الجهادية — الذى اليه يتبعون — وأحيلت المهندسخانة — مع بقية المدارس — إلى ديوان الداخلية [2]، حتى إذا عاد ديوان الجهادية إلى الوجود بعد عام أو عامين عادت مدرسة المهندسخانة فأصبحت تابعة اليه [3].

أما برامج الدراسة بالمهندسخانة السعيدية فلا نعلم عنها شيئاً كثيرا، سوى ما جاء فى بعض الوثائق [4] من أن الوالى وافق على ما عرضته الجهادية خاصا بتعيين عشرة من

= افتتاحها فى حكم اسماعيل — وكان لمدرسة المهندسخانة السعيدية وكيل هو محمد نصر أفندى، وقد عين وكيلا لمدرسة المبتديان أول افتتاحها فى حكم اسماعيل

(١) دفتر ١٨٨٩ (أوامر) ص ١٢٧ رقم ٢٥ امر الى ديوان الجهادية فى ٢٥ رجب ١٢٧٤.

(٢) امين سامى. تقويم النيل ... م ١ ج ٣ ص ٢٧٨ امر الى ديوان الداخلية فى ٢٥ شعبان ١٢٧٤.

(٣) دفتر ١٨٩٣ (أوامر) ص ٧٧ رقم ٥٧ أمر الى ديوان الجهادية فى ١٦ شوال ١٢٧٦.

(٤) دفتر ١٨٩٩ (أوامر) ص ١١٣ رقم ١١٨ ج ٢ امر الى ديوان الجهادية فى ٧ شوال ١٢٧٨.

تلامـذة المدرسة وجدوا متفوقين على أقرانهم فى الاستحكامات الخفيفة والقوية والعمليات الطبوغرافية واتضح من الامتحان كفايتهم للقيام بالأعمال الهندسية تحت إدارة كبير مهندسى القلعة السعيدية ليمرنوا على أعمال الاستحكامات وغيرها من الأعمال الهندسية وربط لكل منهم ٢٥٠ قرشا فى الشهر .

وبعد أربع سنوات من افتتاح مدرسة المهندسخانة نظمت نظاما جديدا : ذلك أنه فى أواخر سنة ١٨٦١ (١٢٧٨ هـ) ألغيت المدرستان الحربيتان بالقاهرة (بالقلعة) والاسكندرية ورؤى أن تحول مدرسة المهندسخانة السعيدية (بالقلعة السعيدية) إلى مدرسة حربية لمائة تلميذ وقد قام بوضع النظام الجديد محمد شريف باشا ، وكان فى ذلك الوقت رئيس لمجلس الأحكام . ووافق الوالى على الترتيب الذى وضعه وزيره فى ٨ صفر ١٢٧٨ (يوليه ١٨٦١) . وفى ذلك الوقت كان ديوان الجهادية قد ألغى مرة ثانية فأضيفت حسابات المدرسة إلى ديوان المالية ، ثم لما أعيد ديوان الجهادية أعيدت حساباتها إليه [1] .

وكان حكم سعيد قد آذن بالزوال فلما تولى اسماعيل فى يناير ١٨٦٣ أمر بنقل (المدرسة الحربية) من القلعة السعيدية إلى قصر النيل [2] ، وفى أوائل سنة ١٢٨٠ (يونيه ١٨٦٣) استقرت المدرسة بإحدى ثكنات الجيش بالعباسية [3] ثم تمت

---

(١) دفتر ٣٥٠ (مدارس عربى) ص ٢٢ رقم ١٣٢ الى ديوان المالية فى ١٢ شعبان ١٢٨٠

(٢) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ٨٢ رقم ١٠٨ الى مخزن الآلات فى ٤ ذى القعدة ١٢٧٩

(٣) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١١٢ رقم ٢٠ الى ادارة الهندسة فى ٢٠ المحرم ١٢٨٠ .

تبعيتها من ديوان الجهادية الى ديوان المدارس بعد أشهر من إنشائه[1]، ثم دعيت «مدرسة المدفعية»[2]. وكانت إحدى المدارس الحربية الشهيرة فى عصر إسماعيل.

المدرســـة الحربية بالاسكندرية

لما تولى سعيد باشا كانت مدرسة المفروزه أو المدارس الحربية كما دعيت بعد ذلك — وهى التى أنشأها سلفه قائمة على إعداد الضباط لمختلف أسلحة الجيش: فمنها مدرسة للفرسان وأخرى للمدفعية وثالثة للمشاة. وعلى الرغم من حنق سعيد على مشآت سلفه وقلة ثقته فيها وفى رجالها فقد أزمع أن يفيد من هذه المدارس فى تنفيذ المشروعات التى كانت تجول بخاطره عند ما تولى أمر البلاد وخاصة ما كان منها متعلقا بإعادة تكوين الجيش على النحو الذى كان يبغى. فأصــــدر أمره بأن يختار من طلابها نفر ليكونوا ضباطا فى الكتائب الجديدة وآخرون ليبعثوا للدراسة والتطبيقات

---

(١) دفــــتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١٥٧ رقم ٥٢ الى الجهادية فى ١٦ المحرم ١٢٨٠.

(٢) دفتر ٣٧١ (مدارس عربى) ص ٤ رقم ١٢٣ الى المالية فى ١٦ رمضان ١٢٨٢ ويذكر أمين باشا سامى (التعليم فى مصر، ص ٤٨ و ٥٤) وينقل عنه هيستر دن (ص ٣٢٠) أن مدرسة المهندسخانة بالقلعة السعيدية ألغيت فى أغسطس ١٨٦١ ثم أعيد فتحها فى سبتمبر ١٨٦٣ باسم المدرسة الحربيـــة وناظرها مسيو دى رناردى ثم نقلت الى العباسية فى سنة ١٨٦٣ وظلت حتى أغلقت فى يولية ١٨٦٤. ولكن الوثائق التى أوردناها لا تشير إلى إلغاء المهندسخانة بل الى تنظيمها واستبدال اسم جديد باسمها القديم. أما دى رناردى فقد كان ناظرا كبيرا لمعلمى المهندسخانة ثم لما أصبحت مدرسة حربية جعل مديرا لها.

الجرخجية « escarmouche » في أوروبا . وأخذ الأمر فاختاروا اثنين وثلاثين ضابطاً للفرسان وثلاثة عشر ضابطاً للمشاة واثني عشر طالباً للعلة العسكرية وكلهم من المماليك والترك وأهل قولة وكريد وأورنة وغيرهم . وكانت المدارس الحربية إذ ذاك ما تزال في القاهرة وعلى رأسها « أحمد كمال باشا »[1].

وبذلك لاح أن سعيداً لايبوى سوءاً بالمفروزه، على أنه أصدر أمره — بعد نحو عام — بنقلها إلى الاسكندرية وجعلها تابعة لديوان البحرية وعزل ناظرها — كمال باشا — وتعيين وكيلها الصاغ — أحمد أفندي — ناظراً مكانه برتبة البكباشي[2].

على أن نقل المدرسة إلى الاسكندرية — وخاصة بعد اعتزال مدير البحريه النشط — حافظ باشا خليل ثم انتقال ديوان البحرية إلى القاهرة[3] — قد أدى إلى سوء حالها : فالتلاميذ والخدم لا يصرف لهم شيء من مرتباتهم ويقضون الشتاء من

---

(١) محفظة ٤ (معية تركى) رقم ٢٤ من احمد كمال باشا مدير المدارس الحربية الى كاتب الديوان العالى فى ٦ المحرم ١٢٧١ ويوافق هذا التاريخ (١٨ سبتمبر ١٨٥٤) ويتضح هذا خطأ ما ذهب اليه امين باشا سامى من ان مدرسة المفروزة بمصر نقلت الى الاسكندرية فى ديسمبر ١٥٨٠ بعد ان بقيت بمصر سنة وثلاثة اشهر فقط (التعليم فى مصر . القسم الخامس من الملحقات ص ٤٥)

(٢) محفظة ١٠ (معية تركى) رقم ١٣ من حافظ خليل باشا ناظر البحرية الى كاتب الديوان الخديوى فى ١٧ جمادى الثانية ١٢٧٢ . يذكر أمين باشا سامى المصدر السابق ان « احمد بك كمال اعتزل نظارة المدرسة بالاسكندرية فى فبراير ١٨٥٦ » وان احمد أفندى الجزايرلى خلفه من مارس ١٨٥٦ الى ديسمبر ١٨٥٨ .

(٣) محفظة ١٣ (معية تركى) رقم ٩٤ من المير حسين حسنى الى المعية فى ١٠ رجب ١٢٧٣

غير ملابس تقيهم البرد ، وديوان البحرية يصم أذنيه عن مطالب ناظر المدرسة ويضطر هذا إلى الكتابة إلى المعية وأخيراً ملتمساً عرض الأمر على الجناب العالى[1]. ويرى سعيد باشا أن إلحاق المدرسة بديوان محافظة الاسكندرية قد يقيلها من عثرتها ، فأصدر أمره بذلك في ١٠ شعبان ١٢٧٣ (ابريل ١٨٥٧) . وأقبل محافظ الاسكندرية على المدرسة ينظم تعييناتها ويرتب سائر أمورها[2]. وبدأت المدرسة تنتعش : فامتحن تلاميذها ورفعت بنتائجهم تقريرات إلى الوالى ، جرياً على الأصول التى كانت مرعية في المدارس في عهد المرحوم مولانا الأكبر »[3].

كان بالمدرسة في ذلك الوقت — كما أثبت جدول الامتحان — ٢١٢ تلميذاً موزعين على الفرق الآتية :[4]

الفرقة الأولى (النهائية) ٣٦ تلميذا

---

(١) محفظة ١٣ (معية تركى) رقم ٢٦١ من البكباشى احمد أفندى ناظر مدرسة الحربية الى المعية في ٣ شعبان ١٢٧٣

(٢) محفظة ١٣ (معية تركى) رقم ٢٩٩ من محمد شاكر باشا محافظ الاسكندرية الى المعية في ١٨ شعبان ١٢٧٣

(٣) محفظة ١٤ (معية تركى) رقم ٦١٧ من خورشيد باشا محافظ الاسكندرية الى المعية في ٢٨ شوال ١٢٧٣

(٤) كما كان يقبل بالمدرسة أيضاً بعض ابناء الاوروبيين (دفتر ١٨٩٣ أوامر) ص ٧٧ امر كريم الى نظارة الجهادية في ١٦ شوال ١٢٧٦) ، ومن تلاميذ المدرسة اسماعيل بك نجل الأمير محمد على باشا وحميد محمد على الكبير وبعض عائلته (محفظة ١٤ (معية تركى) رقم ٧٠٧ من خورشيد باشا محافظ الاسكندرية الى المعية في ٢١ ذى القعدة ١٢٧٣)

الفرقة الثانية	٤٤ تلميذا
« الثالثة	١٣٢ «

والمتصفح لأسماء هؤلاء التلاميذ – وهي مثبتة في جدول الامتحان – وجنسياتهم لا يرى أن لأبناء البلاد فيها حظا كبيرا، فليس من بينهم سوى سبعة طلاب كتب أمامهم « مصرلى »، وقد لا يعني هذا أنهم من أهل البلاد بل قد يعني أنهم ولدوا بها، أما الآخرون فأخلاط من الشركس وأبناء المورة والأناضول وأزمير ومرعش وكريد والآستانة ... الخ.

وكانوا موزعين على بلوكات ولهم رتب عسكرية: من نفر إلى باشجاويش، ومنهم ملازمون، وتلاميذ الفرقة الأولى يدرسون الحساب وقد ذكر في جدول الامتحان أنهم بلغوا فيه درجة جيدة، حتى يجوز لهم أن يشرعوا في تعلم أصول الهندسة والجبر، ويدرسون الرسم ويقرءون (عقائد ومنى) ويكتبون الرقعة أو الثلث ويمرنون جميعاً على الحركات العسكرية.

وتلاميذ الفرقة الثانية يدرسون النحو والصرف ويكتبون الرقعة أو الثلث ويمرنون على الحركات العسكرية وقليل منهم يدرس الفارسية.

أما تلاميذ الفرقة الثالثة فيقرءون القرآن ويكتبون الثلث.

ومن ذلك نرى أن تلاميذ المدرسة الحربية بالاسكندرية كانوا دون تلاميذ المدرسة الحربية بقلعة القاهرة علما وأقل منهم تحصيلا وأدرك ناظر المدرسة هذه الحقيقة، فاقترح على المحافظة أن يدرس تلاميذها اللغة الفرنسية وأن يعين مسيو « بارتلى » الذي كان مدرسا بمدرسة الطب ويعمل إذ ذاك في سكرتيرية مشورة

الأطباء بالاسكندرية مدرسة لهذه الغاية ووافقت الحكومة والمعية (١) . ثم تلا ذلك تكوين لجنة لتنظيم الدراسة بالمدرسة تظهر فيها أسماء أدهم باشا ورفاعة بك وارتين بك ، ولهم في تنظيم المدارس أكبر خبرة منذ عهد محمد علي .

وقد قام بالنصيب الأكبر من العمل رفاعة بك ، فامتحن تلاميذ المدرسة ولم يمض على امتحانهم السابق سبعة أشهر ، وأثبت درجاتهم في جداول أرفقها بمقترحاته . (٢)

وكان بالفرقة الأولى ٢٥ تلميذا وقد درسوا المواد الآتية :

الحساب : إلى آخر التناسب بالاثبات .

الجبر : إلى آخر الدرجة الأولى .

الهندسة : إلى آخر المقالة الأولى من لوجندر .

اللغة التركية : قرؤا من بعض عطار إلى السلطنة الثامنة وهي في بيان نصيحة ملوك وسلاطين .

الرسم والخط : الرسم النظري ، وخطوط من الأمشق ونقل رسم عمارات بالألوان والظلال .

التعليمات العسكرية : مقسمون فيها إلى ثلاثة فصول .

وبالفرقة الثانية ٢٠ تلميذا درسوا ما يلي :

الحساب : بالثبات إلى آخر قواسم الأعداد

---

(١) محفظة ١٤ (معية تركي) رقم ٤٣٢ من خورشيد محافظ الاسكندرية إلى المعية في ٢٢ ذي الحجة ١٢٧٣

(٢) محفظة ١٦ (معية تركي) رقم ١٨٣ من خورشيد محافظ الاسكندرية الى المعية في ١٥ ربيع الثاني ١٢٧٤

اللغة الفارسية : منقسمون فيها إلى فصلين . الأول ختم التحفه والثانى قرأ خمس عشرة قطعة منها .

الرسم والخط : الرسم النظرى وخطوط من الأمشق .

التعليمات العسكرية : منقسمون فيها إلى ثلاثة فصول

وبالفرقة الثالثة ٩٤ تلميذا درسوا :

الأجـــرومية : حفظاً من غير إعراب .

الصرف : انقسموا فصلين . الأول أتم الأمثلة وابتدأ فى البناء والثانى قرأ من الأمثلة إلى صيغة فعل الأمر .

وبالفرقة الرابعة ثلاثة فصول :

الفصـــل الأول . ٣٨ تلميذا . قرؤا ثلاثة أرباع القرآن وقراءتهم لا بأس بها .

الفصـــل الثانى : ٣٥ تلميذا . قرأوا الى الجزء الثالث من القرآن وقراءتهم بسيطة .

الفصـــل الثالث : ٢٢ » » » الجزء الأول وابتدأوا فى الجزء الثـــانى ، ثم » تلاميذ مبتدئون فى الهجاء .

وقد أشـــار رفاعة بك بأن يضم (القرآنجية) جميعا أى قارئو القرآن فى فرقة خاصة .

وعلى ضوء هذه النتائج ، استقر رأى جمعية المدرسة بحضور سعادة أدهم باشا ، على تعديل الدروس وزيادة العناية بتدريس اللغة العربيـة ووضع جدول لساعات الدراسة واستذكار الدروس وأوقات الرياضة ورفع هذا كله إلى الجناب العالى .

وفى تلك الأثناء كان ديوان الداخلية جادا فى وضع (ترتيب) المدارس . وقد بلغت نفقات المـــدرسة الحربية بالاسكندرية طبقاً للترتيب الذى وضع لها

٥ بارة و ٢٤ قرشا و ٤٤٦ جنيها في الشهر . وبذلك اقتصدت الحكومة مبلغ ٦ بارات و ٩٧ قرشا و ٦٤ جنيها وفصلت بعض الموظفين (١) .

ولم تنقطع صلة رفاعة بك وهو ناظر المدرسة الحربية بقلعة القاهرة — بالمدرسة الحربية بالإسكندرية ، فكان يزورها من وقت لآخر ليفتش عن أحوالها ويمتحن تلامذتها يصحبه أحياناً محمد شريف باشا ناظر الخارجية ويصدر أوامره إلى ناظرها ويكتب في شأنها إلى محافظة الإسكندرية أو إلى المعية رأساً (٢) . وقد كان لهذا أثره في تقريب مستوى الدراسة بمدرسة الإسكندرية من مستوى مدرسة القاهرة . فأشير بأن تجعل مدة الدراسة بها خمس سنين توزع فيها مختلف المواد ، وأن يصرف عن المدرسة التلاميذ الأغبياء المتقدمون في السن وأن يثاب المدرسون الأكفاء بمرتب شهر أو شهرين مكافأة لهم بنسبة عدد الطلبة الذين نشأوهم (٣) .

وقد تعاقب على المدرسة منذ نقلت إلى الإسكندرية وعزل ناظرها أحمد باشا كان نظار كثيرون من أوائل سنة ١٢٧٢ (١٨٥٥ — ١٨٥٦) وهم : (٤)

---

(١) دفتر ١٨٨٩ (أوامر) ص ٨٦ أمر الى محافظة الإسكندرية في ٢٩ ربيع الثاني ١٢٧٤

(٢) محفظة ١٨ (معيه تركى) رقم ١٨٨ من رفاعة رافع ناظر المدرسة الحربية الى المعية في ٢٤ رجب ١٢٧٤

(٣) محفظة ٢٠ (معية تركى) رقم ٢١١ من محمد شريف باشا ناظر الخارجية الى المعية في غاية ذى الحجة ١٢٧٤

(٤) هذا البيان عن أمين باشا سامى : التعليم في مصر القسم الخامس من الملحقات ص ٤٥ — والوثائق التي بين أيدينا تكاد تتفق معه في تاريخ تعيين كل من أحمد أفندى =

أحمـــد أفندى الجزايرلى من مارس ١٨٥٦ إلى ديسمبر ١٨٥٧
ثم إبراهيم « أدهم « يناير ١٨٥٨ « يونية ١٨٦٠
« حسين « سليمان « يولية ١٨٦٠ « أغسطس ١٨٦٠
« سليمان « تمزلى « سبتمبر ١٨٦٠ « أغسطس ١٨٦١

وظلت المدرسة تابعة لمحافظة الاسكندرية حتى صدر الأمر بالغائها فى ٢ صفر ١٢٧٨ (يولية — أغسطس ١٨٦١) [١] فى نفس الوقت الذى ألغيت فيه المدرسة الحربية بالقاهرة .

المدرســـة البحرية بالاسكندرية

رأيت أن عباس الأول أمر — أثر وليه — بإلغاء المدرسة البحرية بالاسكندرية وتشتيت تلاميذها ففصل الكثيرون وألحق الباقون بإحدى سفن الأسطول . [٢]

فلما تولى سعيد انبعثت الآمال فى إحياء البحرية المصرية والمدرسة البحرية . فقد درس سعيد فى حياة والده العظيم الفنون البحرية وتخرج فى المدرسة البحرية بالاسكندرية وتدرج فى السلك البحرى حتى بلغ أرفع رتبه . وبدأ سعيد عنايته

= وإبراهيم أدهم افندى ناظرا على المدرسة ، الا أنه يلوح أن أدهم لم يبق طويلا بالمدرسة إذ أنه بعد تعيينه بشهر وبضعة أيام يبدو اسمه فى الوثائق مقرونا بمدير أسيوط . (محفظة ١٨ معيـــة تركى رقم ٥ فى غرة رجب ١٢٧٤) ولكن الوثائق لا تذكر شيئاً عن نظار المدرسة من بعده .

(١) دفتر ١٨٩٥ (أوامر) ص ٤٨ رقم ٧٢ أمر كريم الى محافظة الاسكندرية فى ٢ صفر ١٢٧٨

(٢) انظر فيما سبق ص ٦٩

بالبحرية بإعادة إنشاء ديوان البحرية وجعل مقره بالإسكندرية . ولكن يلوح أن سعيداً حتى أن يعمل الديوان من غير عمل يقوم به لأنه لم يكن ثمة أسطول فى ذلك الوقت فجعل من اختصاصه شراء كل ما يلزم لسائر مصالح الحكومة ، ومن ذلك أن ديوان المدارس طلب إليه أن يبتاع له حالات نطق لتلامذة جدد بالمهندسخانة[1] ! ولم يعمل سعيد شيئاً لتجديد البحرية المصرية ، وظلت المدرسة البحرية قاصرة على النفر من التلاميذ الملحقين بالسفينة « فيض جهاد » [2] وكانوا يدعونهم أحياناً « مكتب بحرية إسكندرية » أو « المدرسة البحرية » . وقضى سعيد بأن تنقل المدرسة الحربية (المفروزة) إلى الإسكندرية وجعلها تابعة لديوان البحرية .

وسرعان ما اكتشف سعيد أن ديوان البحرية لا يعمل شيئاً بالإسكندرية فأمر بنقله إلى القاهرة[3] وأخيراً . . . . وكان قد مضى على تولى سعيد خمس سنين — فكر فى تجديد المدرسة البحرية بالإسكندرية . وأرسل يطلب من فرنسا كتباً فى فنون البحر

---

(١) دفتر ٣٢٣ (مدارس عربى) ص ١٤٠ رقم ٩٩ إلى المالية فى ١٧ المحرم ١٢٧١ ودفتر ٣٢٤ (مدارس عربى) ص ٣٧ رقم ١٤ إلى ديوان عموم بحرية إسكندرية فى ١٣ صفر ١٢٧١

(٢) دفتر ٣٢٩ (مدارس عربى) ص ٣٢٩ رقم ١٤٤ من المهندسخانة فى ٢٧ صفر ١٢٧١

(٣) صفحة ١٣ (معية تركى) رقم ٩٤ من المير حسين حسنى إلى المعية فى ١٠ رجب ١٢٧٣

دفع بهما إلى قلم الترجمة بالمدرسة الحربية بالقاهرة لتتم ترجمتها فى وقت وجيز[1] .

ومضى عام وبعض عام ، وفى أواخر سنة ١٢٧٦ (١٨٦٠) أنشئت المدرسة البحرية ونصب ناظراً عليها أحد رجال البحرية الايطالية ويدعى البكابتن فدريقو (Federico) وكانت الحكومة المصرية قد استدعته قبل ذلك بأشهر ليعمل فى البحرية المصرية[2]. وهكذا جدد سعيد المدرسة البحرية وانتخب لها جملة من نجباء تلامذه المدارس الحربية ، وكانوا يمرنون يوميا فى القرقاطتين « شير جهاد » و« رشيد » ، ولما أريد إصلاحهما سافر تلامذة البحرية بهما إلى لفربول ومعهم القبودان فدريقو بك[3] .

وتخرج بهذه المدرسة كثير من الضباط . على أن سعيدا ما زال عند موقفه الأول فلم يعمل على تجديد الأسطول المصرى . وقيل إن سعيدا كان يرى أنه لا بد قبل كل شىء من وجود المدرسة البحرية وتخريج ضباط أكفاء منها وذلك يحتاج إلى وقت طويل . أما الحصول على السفن فأمر سهل لأنه يمكن شراؤها فى أى وقت[4] ولازمته هذه الفكرة حتى مات وتولى إسماعيل فدخلت البحرية المصرية والمدرسة البحرية فى طور جديد .

---

(١) محفظة ٢٢ (معية تركى) رقم ١٩٢ من محمد شريف ناظر ديوان الخارجية الى المعية فى ٢٧ ربيع الأول ١٢٧٥

(٢) محفظة ٢٥ (معية تركى) رقم ٣٦٨ من محمد شريف ناظر ديوان الخارجية الى المعية فى ٩ ذى القعدة ١٢٧٦ .

(٣) اسماعيل سرهنك باشا . حقائق الأخبار ... ج٢ ص٢٧٠ ويذكر سرهنك باشا ان إدارة المدرسة كانت لأحد مطرش قوه ان أحد رجال البحرية

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣

مدرســـة الطب

رأيت كيف عاشت مدرسة الطب حياتها فى حكم عباس متعثرة فى طريقها ، فمن نظام يوضع بينقض إلى ألوان مختلفة من الثقافات : الفرنسية والألمانية والإيطالية يراد فرضها عليها ، إلى أطباء مختلفى الجنسية والثقافة والنزعة لا يكاد يستتب الأمر لواحد منهم حتى يخلفه آخر ، وبعثات للطب ترسل إلى مختلف الجامعات الأوروبية : مونيخ وفينا وبرلين وبيزا وأدنبرة . والحق أن مدرسة الطب لم يقدر لها أن تحيا فى حكم عباس إلا بفضل قوة الاستمرار وحدها وبفضل ما أفادت فى حكم مؤسسها الأول من تقاليد وأثر لاينكر فى النهضة التعليمية والاجتماعية . ولا نستطيع أن نهمل عاملا كان له أثره فى الاحتفاظ بهذه التقاليد ، ذلك هو أولئك الأطباء المصريون من خريجى المدرسة وبعثاتها الأولى ، وقد درسوا بها طلابا ثم عادوا إليها مدرسين فأساتذة ، وإذا كانوا حتى ذلك الوقت محرومين من الاشتراك فى الإدارة العليا للمدرسة — وقد كانت من اختصاص شورى الأطباء — فقد كانوا أشد اتصالا بالطلبة فى الدروس وفى خارج الدروس ، وبذلك كانوا العنصر الثابت فى تلك السنوات المضطربة التى مرت بها المدرسة .

ويرسم «كلوت بك» ، وهو لم يفتر لحظة عن تتبع المدرسة والإشادة بالنظم التى وضعها والنجاح الذى أصابت فى عهد إدارته .. صورة قاتمة لها حين انتهى حكم عباس فى سنة ١٨٥٤ يقول إنه عند ما تولى سعيد كانت المدرسة قد فقدت أهميتها وأصابها الخلل لدرجة أن تقرير إلغائها كان أسهل من محاولة إصلاحها [١] .

---

(١) Clot : Compte rendu de la réouverture de l'École de médecine du Caire P. 16-17.

تولى سعيد في يوليه ١٨٥٤ . وكان توليه مبعث ارتياح لدى الرجال الذين خدموا في عهد محمد علي وتطلعوا إلى أن يعيد الأمير ذكرى حكم والده المجيد . ومن هؤلاء الرجال الذين طالما حنوا إلى أيامهم بمصر كلوت بك . سرعان ما شد رحاله إلى مصر ينشد النجم البازغ ويتطلع إلى الحظوة في ظلال الحكم الجديد .

وفي نوفمبر ١٨٥٤ وصل كلوت بك إلى القاهرة ، وقدم عواطفه لابن محمد علي ، وكان طبيعياً أن يبادر بالاتصال بمدرسته فأسرع إلى زيارة الدكتور رائزى (Rauzi) رئيس شورى الأطباء ومدرسة الطب ، وكان قد انعقد بين الرجلين على البعد صلات الود والتقدير . ويبدو أن رائزى قد أدرك أن خدمته لمصر قد آذنت بالانتهاء ، فألح على كلوت بك ليتسلم إدارة المدرسة من يديه ، وطلب إلى الوالي أن يحله من عقده ولم يمض عليه سوى عام واحد ، واستعاد في جامعة فلورنسة كرسي أستاذية الجراحية وقبل كلوت بك ، بعد تردد ، العبء الثقيل ، عبء إعادة تنظيم الإدارة الطبية والصحة كلها مع العمل لمطابقتها لحالة مصر الراهنة .

والحق أن العمل كان شاقاً . فإذا كان كلوت بك قد استطاع — باستقالة الدكتور رائزى — أن يتخلص من النفوذ الإيطالي ، فقد بقي أمامه النفوذ الألماني الذي استطاع أن يشق طريقه إلى بلاط الوالي الجديد ، ويتمثل هذا النفوذ في الطبيبين راير Rayer ولاوتنر Lautner وقد رأينا الدور الذي قاما به في مدرسة الطب في حكم عباس[1] .

فبينا كلوت بك ماض في عمله بوصف كونه المفتش العام للصحة في مصر كان

---

(١) انظر فيما سبق ص ٨٧

زار قد خلف زارى فى رياسة شورى الأطباء مع احتفاظه بوظيفة كبير جراحى مستشفى قصر العينى . أما زميله لاوتنر وكان وكيلا لشورى الأطباء فقد خلف زاير كبير الأطباء المستشفى وكذلك كان كبيراً لأطباء الجهاد العالى (1) . وأقبل كلوت ينظم الإدارة الصحية والطبية ومدرستى الطب والولادة ، وكان بمدرسة الطب قبل تولى سعيد بشهرين تسعون طالبا وبمدرسة الولادة خمسة وعشرون طالبة (2) وظهر أن كلوت وجد من الصواب الاقدام على إلغاء المدرستين حتى يمهد الأرض الصالحة ليبدأ بناءها من جديد . ففى ديسمبر ١٨٥٤ بعد وصول كلوت بك إلى مصر بشهر واحد – شرد تلامذة مدرسة الطب . ففصل منهم ٧٧ طالبا ولم يبق بها سوى عشرين (3) ، ثم ألغيت المدرستان فى أوائل سنة ١٨٥٥ . وقيل فى تعليل إلغاء مدرسة الطب إنها أصبحت مركزاً (تجاريا) لإعطاء شهادات طبية مزورة للاعفاء من الخدمة العسكرية (4) . واستعرض سعيد باشا بنفسه تلامذة المدرسة أمام ديوان الخديوى بالعامة ، فجعلهم أقساما بحسب أعمارهم ، فمن بلغوا السن أمر بطردهم من المدرسة وألحق الآخرين بالجندية (5) . وانقطعت عن المدرسين والمدرسات مرتباتهم وحل بهم

---

(1) محفظة ٣ (معية تركى) رقم ٢١٠ ورقة ٣ فى ٢٤ ذى القعدة ١٢٧١ ومحفظة ٥ معية تركى) رقم ٢٨١ من مدير المدارس الى كاتب ديوان الخديو فى ٤ المحرم ١٢٧١

(2) دفتر ٢١٤٩ (مدارس تركى) ص ٤٧ رقم ٨٩ من مدير المدارس إلى أدهم باشا فى ٢١ صفر ١٢٧١ (تقرير امتحان سنة ١٢٧٠)

(3) دفتر ٣٣٩ (مدارس عربى) ص ٣٦٦ رقم ١٥٠ من مدرسة الطب فى ١٥ ربيع الأول ١٢٧١

(4) Sandwith : op. cit : p 47.

(5) جورجى زيدان : مشاهير الشرق ج ٢ ص ٢٤٧ (من ترجمة الدكتور درى باشا)

الضيق وأخذوا يترددون على دوائر الحكومة حتى ربطت مرتباتهم بالمستشفيات التي كانوا يعملون بها [1].

وأزمع كلوت بك أن يقيم بناءه الجديد على أرض جديدة، فعرض أن ينقل مستشفى قصر العيني إلى البناء الذي كان يشغله مصنعان للحكومة بالخرنفش [2]. كما أنه فكر كذلك في إعداد (المبيضة) ببولاق لتكون مقرا لمدرسة الطب الجديدة [3] ولكن كلا اقتراحيه لم ينفذا.

وأدرك كلوت بك أن لا سبيل لتنفيذ مشروعاته إلا إذا توحدت الإدارة الطبية التي كانت موزعة بين شورى الأطباء في القاهرة — وكان النفوذ الألماني غالبا فيه — ومجلس الصحة بالاسكندرية وكان بحكم تكوينه وصبغته هيئة دولية. سعى كلوت بك حتى صدر أمر الوالي بإلغاء شورى الأطباء والاكتفاء بمجلس الصحة [4]. ولم يكد كلوت بك يتخلص من شورى الأطباء ورئيسه ووكيله الألمانيين حتى سعى لتكوين مجلس جديد دعاه «المجلس الخصوصي للطب»، ووضع له لائحة من عشرين مادة وأعضاؤه أربعة من أصدقاء كلوت بك القدماء: عضوان أوروبيان هما الدكتور القائمقام أنطوان كولوتشي (Colucci) كولوتشي باشا بعد ذلك رئيس مجلس الصحة

---

(١) محفظة ٦ (معية تركي) رقم ٦٩٠ من محافظ مصر إلى كاتب الديوان الخديوي في ٢٩ شوال ١٢٧١ ومحفظة ٨ (معيـــة تركي) رقم ٣٣٦ من محافظ مصر إلى كاتب الديوان الخديوي في ١٣ صفر ١٢٧٢

(٢) دفـــتر ١٨٨٤ (أوامر) ص ٥١ ارادة سنية لمحافظ مصر في ١٢ جمادى الآخرة ١٢٧٢

(٣) Clot, Compte rendu de la réouverture .. p. 3

(٤) دفتر ١٨٨٤ (أوامر) أمر إلى الخزينة المصرية في ٢٥ جمادى الآخرة ١٢٧٢

بالاسكندرية) وكان إذ ذاك مفتشاً لصحة القاهرة وعضواً سابقاً بمجلس الصحة والصيدلى القائمقام اسبنارى (Kspinassy) مفتش الصيدلة بالاسكندرية والناظر السابق لقلم الطب بالقاهرة .

وعضوان مصريان هما القائمقام محمد أفندى الشافعى حكيمباشى البحيرة وناظر مدرسة الطب سابقاً والقائمقام حسين أفندى عوف المفتش بالصيدلانة وأستاذ الكيمياء سابقاً بمدرسة الطب . [1]

ويكون (مجلس الطب الخصوصى) تابعاً لمجلس الصحة بالاسكندرية . ومن خصائصه تعيين الأطباء وترقيتهم وتنقلهم وامتحانهم والتفتيش على جميع فروع الخدمة الطبية والصحية ، وزيارة مخازن الأدوية للتحقق من نظافتها وصيانة الأدوية والآلات بها ومن اختصاصه أيضاً امتحان وتلامذة التعليم ، ويقصد تلامذة المدرسة الطبية (المادتان ٨ و ٩) [2] .

والواقع — كما ترى — أن مجلس الطب الخصوصى قد ورث عن شورى الأطباء اختصاصاته الواسعة بل ضرعان ما ورث عنه اسمه .

وفى تلك الأثناء كان كلوت بك جاداً فى القيام بعمله الرئيسى ، ووضع لائحـــة

(١) دفتر ١٨٨٤ (أوامر) لائحة المجلس الخصوصى للطب فى ٢٥ شوال ١٢٧٢ — ثم حل الدكتور ابراهيم بك النبراوى الطبيب الخاص للوالى محل حسانين أفندى على واختير الدكتور كلوتشى وكيلا للمجلس (محفظه ١٥ (معية تركى) رقم ١٩٩ المرفق العربى فى ٢٢ محرم ١٢٧٤)

(٢) دفـــتر ١٨٨٥ (أوامر) ص ٩ أمر إلى رئيس مجلس الصحة فى ١٣ ذى القعدة ١٢٧٢ .

لتأسيس مدرسة جديدة للطب تكون ملحقة بمستشفى قصر العيني، ثم عرضها على مجلس الطب الخصوصي أو شورى الأطباء فنال موافقته، وصدر بها أمر سعيد باشا إلى مجلس الصحة ومحافظة القاهرة في أغسطس ١٨٥٦ مشيراً بافتتاح المدرسة في أول العام الهجري من سنة ١٢٧٣ (٢٠ أغسطس ١٨٥٦). انتظمت اللائحة ٣٩ مادة وأهم موادها [١]:

(١) التلامذة الذين يقبلون بها يجيدون القراءة والكتابة العربية ويعرفون قواعد الحساب الأصلية.

(٢) تكون سنهم نحو الخمسة عشر عاماً.

(٣) يكون عدد تلاميذ المدرسة ٨٠ تلميذاً: منهم ٦٠ لتلقي علوم الطب والجراحة و ٢٠ لتلقي الصيدلة [٢].

(٤) يقيم التلاميذ في المدرسة وتنفق الحكومة على مأكلهم وملبسهم ويعطى كل منهم مرتباً شهرياً [٣].

---

(١) دفتر ١٨٨٥ (أوامر) ص ٥٨ رقم ١٧٧ أمر إلى رئيس مجلس الصحة في ٢٤ ذي الحجة ١٢٧٢ ودفتر ترتيبات ووظائف ص ٤٣٢ رقم ١٥ إلى محافظة مصر في ٩ صفر ١٢٧٣ وكذلك نجد ملخصاً وافياً للائحة في Merruau, L'Egypte Contemporaine pp. 315 - 320.

(٢) وقد جاء في أمر الوالي بتنفيذ اللائحة أن مجلس الصحة قدر أن عدد الطلبة الصيدلة أكثر من اللازم ورأى أن نسبة العدد الصيادلة إلى الطلاب الأطباء كنسبة ١ إلى ٦.

(٣) وقد رتب لكل تلميذ في السنة كسوة من جوخ أزرق وكسوتان من البفتة وطربوش وحزام ومركوبان وثلاثة ألبسة وثلاثة طواقي ويعطى التلميذ المبتدىء خمسة ...

(٥) ويسمح للطلبة الذين يرغبون فى دراسة الطب ويكونون زائدين عن حاجة المدرسة بأن يترددوا عليها ، ويعاملون معاملة طلبة المدرسة فى الضبط كما يعاملون مثلهم بعد انتهاء تعليمهم .

(٦) يقيد بالمدرسة تلامذة الطب القدماء وعددهم ٣٣ طالبا وكانوا قد وزعوا على فرق الجيش ، وتتكون منهم الثلاث فرق الدراسية الأولى .

(٧) ويؤخذ باقى الطلبة من تلامذة مدرسة القلعة ممن لهم استعداد ورغبة فى تعلم الطب .

(٨) مدة الدراسة بالمدرسة خمس سنوات .

(٩) إذ تعذر وجود تلامذة يعرفون الحساب يعين بالمدرسة مدرس للحساب ومبادئ الهندسة وكذلك يعين مدرس للغة الفرنسية وهذا إجراء وقتى حتى تخرج المدرسة (التجهيزية) بالقلعة تلاميذ يعرفون الحساب واللغة الفرنسية .

ونص فى هذا (الترتيب) على تعيين « حسانى أفندى » وهو من أعضاء مجلس الصحة أستاذاً للكيمياء والصيدلة بالمدرسة مع احتفاظه بوظيفته فى « الصيدلية » وتعيين الأطباء بورجيير Burguieres ودياملى Diamant ومحمد على البقلى مع ترقيتهم إلى رتبة القائمقام ومصطفى أفندى الواطى مع ترقيته إلى رتبة الصاغقول أغاسى [١] .

= ويعطون قرشا فى كل شهر تزاد عشرة قروش كلما انتقل إلى فرقة أعلى من فرقته ؛ على أن يخصم من كل تلميذ ٥ ٪ من مرتبه تحفظ عند موظف خاص بالمدرسة ليصرف منها على ما يحتاج إليه التلاميذ من إصلاح ملابس أو شراء كتب .

(١) وفى الشهر التالى لافتتاح المدرسة أعيد إليها الدكتور بيلارد أستاذ التشريح الوصفى وكان أستاذا بها فى عهد عباس ثم نقل إلى إحدى فرق الجيش .

وهكذا جمع كلوت بك حوله فريقاً من أساتذة المدرسة القدامى من زملائه وتلامذته ليتكاتفوا على النهوض بها فى عهدها الجديد . وتوضع المدرسة تحت إشراف ورقابة مجلس الطب الخصوصى . ولكل من رئيس قسم الطب ورئيس قسم الصيدلة بالمدرسة الاشراف على التعليم وعلى تنفيذ اللوائح فى قسمه ، وتحت رياسته وكيل مصرى يعهد إليه تحصيلات العمل اليومى . ويعاون الأساتذة مساعدون

ويؤلف مجلس للتعليم من جميع الأساتذة الوطنيين والأجانب ، ويجتمع مرة على الأقل فى كل شهر أو عدة مرات إذا لزم الأمر ليشرف على نظام المدرسة والدراسة ويدرس التحسينات الممكن إدخالها ، وتدون جميع مداولاته فى سجل خاص يكون دائماً فى متناول السلطات الادارية ومجلس الصحة .

ويعين الوالى الرؤساء والوكلاء والأساتذة وغيرهم من موظفى المدرسة بناء على اقتراح مجلس الصحة وتوزع مواد الدراسة على النحو الآتى :

قسم الطب

السنة الأولى (أى الفرقة الخامسة) : مقدمة لدراسة العلوم الطبيعية ، طبيعة ، كيمياء غير عضوية ، جيولوجيا ، معادن .

السنة الثانية (أى الفرقة الرابعة) : طبيعة ، كيمياء عضوية وغير عضوية ، نبات ، حيوان ، تشريح .

السنة الثالثة (أى الفرقة الثالثة) : تشريح ، فسيولوجيا ، جراحة ، باثولوجيا داخلية ، باثولوجيا خارجية ، مادة طبية ، علاج (Thérapeutique) .

السنة الرابعة (أى الفرقة الثانية) : باثولوجيا داخلية ، باثولوجيا خارجية ، عيادة

داخلية ، عيادة خارجية ، تشريح باثولوجي .

السنة الخامسة (أى الفرقة الأولى النهائية) : عيادة داخلية عيادة خارجية ، تشريح جراحي ، طب العيون ، صحة طب .

قسم الصيدلة

السنة الأولى : مقدمة لدراسة العلوم الطبيعية ، طبيعة ، تاريخ طبيعى ، (جيولوجيا ومعادن) .

السنة الثانية : تاريخ طبيعى (نبات) طبيعة ، كيمياء أوليه .

السنة الثالثة : كيمياء عامة ، كيمياء صيدلية ، تمرين فى صيدلية المستشفى .

السنة الرابعة : كيمياء تحليلية ، مادة طبية ، » » » »

السنة الخامسة : » » » » حساب الصيدلة (Comptabilité pharmaceutique.)

* * *

وإلى جانب هذه المواد تدرس مواد إعدادية او مساعدة : وهى اللغة الفرنسية [1] وتدرس فى جميع سنى الدراسة والحساب ومبادىء هندسة وتدرسان فى خلال السنتين الأوليين .

وجاء فى اللائحة أن الغرض من الدراسة تكوين أطباء عمليين وخاصة للأمراض الشائعة بمصر . ولذا أوصت اللائحة الأساتذة بأن يصرفوا جهودهم ليعطوا

---

(١) وقد اشتغل مدرسا للفرنسية بالمدرسة زمنا ما محمد قدرى أفندى (باشا فيما بعد) ووضع كتابا فى الأجرومية العربية والفرنسية .

دروسهم كل وحدة ممكنة وأن يعرضوا دروسهم فى عبارات واضحة دقيقة تسهل أفهام الناشئين .

وعلى الأساتذة أن يدونوا دروسهم كاملة ويترجم الأجنبي منها إلى اللغة العربية ثم ينسخها التلاميذ .

ويحوى بالمدرسة مكتبة ، ومعامل خاصة للطبيعة والكيمياء والتشريح ومجموعات خاصة بالتاريخ الطبيعى والمادة الطبية والآلات الجراحية اللازمة وحديقة نباتية . ويعهد بالمحافظة على هذه المعامل والمجموعات إلى المدرسين المساعدين .

ويكون امتحان التلاميذ فى النصف الثانى من شهر شعبان من كل عام أمام هيئة مكونة من جميع أساتذة ورؤساء المدرسة ويرأسها أحد أعضاء مجلس الصحة . والطالب الذى تحكم اللجنة بعدم أهليته يعيد سنة بعرقته ، فإذا رسب مرة ثانية طرد من المدرسة وأدخل فى زمرة الممرضين . وبعد الامتحان النهائى يعين المتخرجون فى الخدمة المدنية أو العسكرية طبقاً لحاجة الحكومة .

وأثمرت جهود كلوت بك وفتحت المدرسه فى ١٠ سبتمبر ١٨٥٦ (المحرم ١٢٧٣) فى احتفال فخم رأسه محافظ القاهرة إذ ذاك إبراهيم أدهم باشا وحضرة كبار الموظفين والضباط والعلماء وقناصل الدول (١) . وألقى الدكتور كلوت بك خطبة بليغة أظهر فيها تأثره لإعادة افتتاح المدرسة واغتباطه إذ يرى من حوله تلامذته الأول يشتركون معه فى تعليمها من جديد ، ثم عرج إلى الماضى ، فنوه بالمدرسة الأولى التى افتتحت منذ ثلاثين عاما وقارن بين العهدين ، فالأساتذة والطلاب الآن أفضل إعدادا من زملائهم وقت

---

(١) Clot . Compte rendu de la réouverture de l'école de médecine du Caire.

تأسيس المدرسة والعادات والأخلاق فى مصر قد تغيرت وضعفت المعتقدات السابقة .

وخير دليل يسوقه كلوت بك على ذلك أنه عند افتتاح المدرسة تسابق إليها الطلاب بعجلة تدعو إلى الإعجاب لدرجة أنه بعد أن اختير أكثرهم كفاءة واستعدادا بقى أكثر من ثلثى المتقدمين ، هذا إلى أن الطلاب الذين كانوا قد فصلوا وقت أن حلت المدرسه عادوا يهتمون بقيد أسمائهم [1] .

وتستطيع المدرسة أن تفيد من ثمرة الجهود السابقة ، فثمة الآن لغة علمية وكتب مترجمة .

ودافع كلوت بك عن رأيه فى وجوب إدخال الدراسات العلمية فى مصر بواسطة لغة البلاد وعن طريق المدارس الوطنية ، هذا مع عدم إغفال تدريس اللغة الفرنسية للطلبة حتى يستطيعوا بعد إتقانها قراءة المراجع الفرنسيه .

وما إن نجح كلوت بك فى وضع أساس المدرسة وافتتاحها حتى راح يلتمس سبل لتوطيد أركانها وتوسيع بنيانها والتزيد من النفوذ فى دوائر البلاط والحكومة . فى الشهر التالى لافتتاحها وافق الوالى على اقتراح كلوت بك إلحاق ٢٤ طالباً بها علاوة على الثمانين الذين نصت عليهم اللائحة [2] . ثم قفز عدد التلاميذ إلى ١٤٨ تلميذاً .

حتى إذا مضى عام ونصف عام عاد كلوت بك إلى أسلوبه القديم . أسلوب

---

(١) Clot : Compte rendu de l'examen des élèves , p. 31.

(٢) دفتر ١٨٨٧ (أوامر) ص ٢٤ رقم ١٩ أمر إلى محافظ المحروسة فى ١٤ صفر ١٢٧٣

الامتحانات الحافلة والخطب الرنانة والموسيقى ... الخ فدعا نظار الدواوين وكبار الموظفين والعلماء والضباط إلى (أمستبار) المدرسة ليشهدوا أول امتحان يعقد لتلاميذها [1]. وقد وضعت أسئلة الامتحان في جرار وأخذ منها الطلبة (بالقرعة) وأجابوا علناً وبصوت مرتفع واستغرقت الإجابة عن كل موضوع عشرين دقيقة أو ثلاثين. وكان يطلب منهم أحياناً أن يقرنوا إجاباتهم بالشرح وإجراء بعض العمليات.

وكانت نتائج الامتحان من السمو بحيث أنه لم ينل درجة (دون faible) سوى تلميذ واحد ونال معظم التلامذة درجة (أعلى très bien).

ويمكن تعليل هذا النجاح بالأسباب الآتية:

(١) خضوع التلاميذ للنظام الداخلي الحربي، هذا النظام الذي يضطرهم إلى حضور الدروس بانتظام.

(٢) جمع وسائل الدراسة النظرية والعملية في مكان واحد. فلا يضيع الطلبة وقتاً في التردد بين الدروس والتدريب العملي في المستشفيات.

(٣) قيام المعيدين بشرح دروس الأساتذة للطلاب. وهذه ميزة لا توجد إلا في مدرسة القاهرة.

(٤) إلزام الطلاب بأن ينقلوا دروسهم كاملة في كراساتهم.

(٥) التنافس بين الطلاب في الامتحانات بدافع من حب الذات وما يصحب التفوق من مزايا مادية.

---

(١) Clot. Compte rendu de l'examen des élèves ....

(٦) إلزام الطالب الذى لم يحسن الإجابة فى الامتحان بالبقاء سنة أخرى بفرقته ، فإذا تكرر رسوبه عاماً آخر فصل من المدرسة وألحق بالجيش أو أدخل فى زمرة الممرضين .

(٧) وحدة العمل بحيث أن الأستاذ الموكل بتدريس نظريات العلوم يقوم أيضاً بتطبيقها فى المستشفى والصيدلية والمعامل .

(٨) تكوين مجلس للأساتذة مهمته المحافظة على النظام وانتظام الدراسة ومراعاة المناهج والتمرينات العملية .

ولكن الدسائس كانت تدور من وراء ستار بين كلوت بك ومناهضيه الألمان وزعيمهم الدكتور راير كان رئيساً لقسم الطب بالمدرسة . وعين تبعاً للائحة مديراً لها وكبيراً لجراحى مستشفى قصر العينى . وأراد كلوت بك أن يسمه مدرسة الطب وخريجيها فى العهد السابق ، فنال من سعيد باشا إذناً بامتحان جميع الأطباء بالقاهرة والأقاليم للوقوف على درجة معارفهم ، وأن يكون على رأس هيئة الامتحان كلوت بك نفسه وأعضاء شورى الأطباء (أو مجلس الطب الخصوصى)[1] وعقب الامتحان أعيد بعض الأطباء والصيادلة إلى المدرسة[2] .

وخطا كلوت بك خطوة أخرى ، فنال من الوالى أمراً بفصل شورى الأطباء عن مجلس الصحة وإعادة كل منهما إلى حالته الأولى ونقل الشورى إلى ديوان الداخلية

---

(١) محفظة ١٨ (معية تركى) رقم ٨٠ من كلوت بك المفتش العام للصحة ورئيس مجلس الطب الى المعية فى ١١ رجب ١٢٧٤

(٢) دفتر ١٨٨٩ (أوامر) ص ٥٣ رقم ١٩ أمر الى ديوان الداخليـــة فى ٢٨ صفر ١٢٧٤

وإسناد رياسته إلى كلوت بك[1] . وبذلك أصبح كلوت بك مستقلا فى عمله كرئيس لشورى الأطباء دون رقابة من هيئات أخرى .

ولكن تقدم كلوت بك فى السن وضعف صحته حالا دون أن يستطيع مواصلة النضال فى سبيل المحافظة على النظام الذى وضعه للمدرسة التى ارتبط تاريخها باسمه ، فاضطر أخيراً إلى اعتزال العمل آسفاً والعودة إلى وطنه فى سنة ١٨٥٨ . وقدر سعيد لكلوت بك صدق ولائه وجليل خدماته للطب والصحة فى مصر فأمر بمنحه كامل مرتبه طوال حياته [2] .

وقدر كلوت بك وهو يرحل عن مصر ما ستتعرض له مؤسسته من هجوم خصومه وخاصة ما يعرف من « أن الصحة الدائرة فى سعيد ضعف عظيم يشوبه كثير من الطيبة ، وقد عرف الدكتور راير كيف يستغله لمصلحته ومصلحة الأطباء من بنى جنسه » [3] .

ويلوح أن سعيد باشا حاول أن يتخلص مما يحوط المدرسة من جو لا يساعد على تقدمها ؛ فأصدر قراراً [4] بحرمان المدرسة — وحدها دون المستشفى والصيدلية والمخازن — من إدارة ديوان الداخلية وشورى الأطباء ووضعها مباشرة تحت إشراف

---

(١) محفظة ٢٠ (معية تركى) رقم ١٣٩ من حكيك الى الكاتب التركى فى ٥ ذى الحجة ١٢٧٤

(٢) Documents concernant le Dr. Clot Bey, p. 19-20.

(٣) Clot, Relation des pestes ... p. 19.

(٤) محفظة ٢١ (معية تركى) رقم ١٧ من كيك الى كاتب جناب داورى فى ١٩ المحرم ١٢٧٥

دائرته الخاصة مع بقاء قوانينها ولوائحها جارية عليها ، ومنها أن ناظر قسم الطب بالمدرسة يظل مديراً لمدرستى الطب والولادة وعليه أن يتصل بالدائرة السنية فى كل ما يتعلق بهما من شئون إدارية وفنية . وقد نقل الدكتور رايرِ الذى كان يشغل هذا المنصب إلى عضوية مجلس الصحة بالاسكندرية وحل محله رئيساً لقسم الطب — وبالتالى مديراً للمدرسة — الدكتور بورجيير Burguières أستاذ الأمراض الباطنة بالمدرسة .

ويبقى ناظر قسم الصيدلية مشرفاً على تعليم الصيدلة وما يتعلق بها . وكان يشغل هذا المنصب فيجارى بك Figari أستاذ التاريخ الطبيعى بالمدرسة منذ عهدها الأول .

وتبقى جمعية المعلمين بالمدرسة فى وظائفها المنوطة بها . ويكون رئيسها هو ناظر قسم الطب وهو يدعوها إلى الانعقاد كلما لزم الأمر أو طلبت الدائرة السنية عقدها .

ويستمر الأساتذة والمساعدون [1] قائمين بواجبات وظائفهم ، على أن يعين الطبيب المقدم الدكتور محمد على البقلى أستاذاً للتشريح الجراحى والعمليات . وكان كلوت بك قد اقترح تعيينه فى لائحة المدرسة ولكن يظهر أن الدكتور رايرِ ظل يعارض فى هذا التعيين حتى خرج معين العلى ، ويعين الأستاذ جاستنل Gastinel أستاذاً للطبيعة والكيمياء بدلا من حسانين على أفندى الذى توفى .

---

(١) ومن المساعدين أو الخريجات الشراق الذين كانوا يعملون بالمدرسة الذكاترة : سالم سالم (للفسيولوجيا والباثولوجيا والعيادة) ومحمد بدر (للرمد) وعلى رياض (للطبيعة) ومحمد عبد السميع (للعمليات الجراحية وغيرها) وحسن عبد الرحمن (للتشريح والأمراض الباطنية) وعمران محمد (للباثولوجيا والعيادة) وأحمد حمدى (للتاريخ الطبيعى) وصالح على ومحمد فوزى وبدوى سالم . ومن الأساتذة الأجانب الدكتور (Bellset) وكان أستاذاً للتشريح والدكتور (Pompiguoli) وكان أستاذ الباثولوجيا الداخلية .

وعلى المستشفى أن يتدارك المدرسة بجميع الوسائل العملية اللازمة للتدريس .

ولكن « راير » لم يلق السلاح . فما أن نقل إلى مجلس الصحة بالاسكندرية حتى استصدر من الوالى قراراً بالغاء شورى الأطباء وذلك بتوحيـــده مع مجلس الصحة فى هيئة واحدة تدعى « مجلس عموم الصحة » تكون له الادارة العليا على جميع المصالح الصحية والمستشفيات والكورنتينات ومدرسة الطب [١] . وهكذا عاد « راير » إلى الاتصال بمدرسة الطب والاشتراك فى لجان امتحان طلبتها [٢] ، وعن طريق هذا الاشتراك أخذ راير يثير الصعوبات أمام خلفه « بورجيير » ورفع الى الوالى مقترحات يوافقه عليها تارةً ويحيلها إلى مجلس عموم الصحة لدرسها أو التقرير عنها تارة أخرى [٣] ورأى راير إلا أن تنفذ مقترحاته ، ويحتدم الجدل بين راير وبورجيير ويرفع كل منهما مذكرات بوجهة نظره [٤] ، ويعلى راير بك « الأحقاد الدولية » ويترك مصر فى سنة ١٨٦٠ [٥] . ويفصل « بورجيير » بك من رياسة مدرسة الطب ويقيد بالمحافظة ، ثم يخلفه فى رياسة المدرسة فى أغسطس ١٨٦١ الدكتور عرنوس بك (Arnoux) مع احتفاظه بمنصبه فى تفتيش

---

(١) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ٥٩ امر الى الداخلية فى ٢٩ ربيع الثانى ١٢٧٥

(٢) محفظة ٢٣ (معيه تركى) رقم ٧-١ من على ذى الفقار رئيس مجلس الأحكام إلى المعية فى شعبان ١٢٧٥

(٣) دفـــتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٥٧ رقم ١٠ أمر الى الجهادية فى ٢١ ذى الحجة ١٢٧٥ ودفتر ترتيبات ووظائف ص ٣٠ ؛ امر الى الداخليـــة فى ١٣ رمضان ١٢٧٥

(٤) محفظة ٢٥ (معيـــه تركى) رقم ٢٥٢ من على ذى الفقار الى المعيه فى ١٣ رمضان ١٢٧٦

(٥) Sandwith, op. cit. p. 17.

صحة القاهرة [1] . وظل ناظراً عليها حتى تولى اسماعيل .

والحق أن المدرسة كانت فى ذلك الوقت تكاد تحتضر : إذ أخذ عدد تلامذتها يتناقص من ١٤٨ تلميذا فى سنة ١٨٥٧ إلى ١٠٠ تلميذ فى العام التالى ، حتى إذا كانت سنة ١٨٦١ — ١٨٦٢ وهى السنة التى ألغيت فيها أكثر مدارس سعيد ، امتدت يد الاقتصاد فأقصت من مدرسة الطب أكثر طلبتها حتى لم يبق بها سوى أربعة عشر طالباً موزعين على ثلاث فرق دراسية . ثم صدر أمر الوالى بزيادتهم إلى خمسة وعشرين طالبا وإنشاء فرق جديدة [2] .

مدرســـة الولادة

أما مدرسة الولادة فقد شاركت مدرسة الطب مصيرها وقاست ما قاسته من تباين الأهواء واختلاف النزعات . لقيت معها مصيرها فألغيت فى أوائل حكم سعيد ، ثم عادت معها حين نظمها كلوت بك نظاما جديدا وألحقت بقصر العينى [3] .

والحق أن مدرسة الولادة قد أثبتت بجدواها على النهضة الاجتماعية والصحية — أحقيتها للوجود . فقد مست الحاجة إلى خريجاتها ليعملن فى توليد النساء والكشف عن النساء المتوفيات بدلا من زوجات الحلاقين الصحيين اللاتى

(١) دفتر ١٨٩٥ (أوامر) ص ٢ رقم ١٠٧ أمر إلى محافظة مصر فى ٢١ صفر ١٢٧٨

(٢) دفتر ١٨٩٩ (أوامر) ص ١٠٦ رقم ١١١ أمر إلى رئيس مجلس الصحة فى ٢٠ رمضان ١٢٧٨ ودفتر ١ (مجلس الصحة — بعثة مرنيخ) رقم ١٠ من كلوت بك إلى لاوتنر فى ١٠ يناير ١٨٦٣ (بالمخطوطات الأوربية بالقلعة)

(٣) وقد رفض اقتراح عرضه الدكتور رابر فى سنة ١٢٧٥ يرمى إلى نقل المدرسة إلى الاسكندرية لما فى وجودها بالقاهرة من مزايا عظيمة .

ارتفعت الشكوى من إهمالهن وقلة أمانتهن [١].

وقد بذلت عناية بإجادة التعليم في هذه المدرسة وخاصة بعد أن نوه كلوت بك في تقريره عن أول امتحان لطلبة الطب والولادة بعد تنظيم المدرسين بأن إجابة التلميذات أفضل في المسائل النظرية التي لا تتطلب إلا مجهود الذاكرة. وأرجع كلوت بك هذا النقص إلى قلة عدد حالات الوضع التي تجرى في المدرسة — وهي المشكلة نفسها التي واجهتها المدرسة في عهد عباس وقد أصدر الوالي أمراً «بأن تصير المساعدة في قبول النساء الحوامل بالمدرسة وتفرد لهن قاعة مخصوصة» [٢].

وقد وزعت دروس المدرسة في عامها الأول على النحو الآتي: [٣].

الفرقة الأولى: (النهائية) تشريح وفسيولوجيا، جراحة صغرى، أمراض النساء، صحة النساء والأطفال، مادة طبية، وبالفرقة طالبتان.

الفرقة الثانية: ولم يكن بها أحد من التلميذات

الفرقة الثالثة: المواد السابقة بشيء من التوسع، وبالفرقة خمس طالبات.

الفرقة الرابعة: تشريح وفسيولوجيا، جراحة صغرى وبالفرقة أربع طالبات

الفرقة الخامسة (أي السنة الأولى) طبيبات هذه الفرقة وعددهن ١٨ تلميذة لم يمتحن.

---

(١) دفتر ١٨٨٤ (أوامر) ص ١٥٣ أمر لمحافظة الإسكندرية في ١٤ شوال ١٢٧٢

(٢) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٥٧ إلى نظارة الجهادية في ٢١ ذي الحجة ١٢٧٥

(٣) Clot : Compte rendu de l'examen, .p. 28-38.

أما نظام الدراسة الذى كان متبعاً فى عهدها الأول وعنى كلوت بك باتباعه فى عهدها الثانى فيلخص فيما يلى :

(١) الاهتمام بتعليم التلميذات اللغة العربية حتى تستطيع التلميذات إتقان القراءة والكتابة .

(٢) تدريس قواعد الحساب الأربع ومبادئ الهندسة والقسموغرافيا .

(٣) فى التعليم النظرى تدرس نفس المواد التى تدرس فى مدرسة الولادة بباريس وتزيد عليها دروس فى التشريح والفيزيولوجيا والجراحة والمادة الطبية والصيدلة ودروس فى أمراض النساء والأطفال .

(٤) الدراسة العملية الخاصة ألحق بالمدرسة مستشفى للنساء ودار للتوليد ومكتب للتطعيم وفيه تجرى التلميذات بأنفسهن عملية التوليد تحت إشراف معلمة طبيبة وطبيب ، فعليهن نفس الواجبات التى تقوم بها طلبة الطب فى قصر العينى .

والدراســـــة الاعدادية موكولة إلى شيخ عالم والدراسة العلمية إلى طبيب مصرى درس بفرنسا [١] ، وعهد إلى مولدة [٢] بالناحيتين النظرية والعملية من التوليد ولها مساعدة ومعيدات ولما كان التعليم فى المدرسة يشمل الدراسة الاعدادية والدراسة الخاصة فى نفس الوقت فإنه لم يمكن تحديد مدة الدراسة بأقل من ست سنوات .

وكثير من تلميذات هذه المدرسة كن يمارسن عملهن بنجاح ، وقد ألحق ببعض

---

(١) هو الدكتور مصطفى السبكى — دفتر ١٨٩١ (اوامر) ص ١٥٩ أمر لنظارة الداخلية فى ٢٦ ذى الحجة ١٢٧٥

(٢) هى السيدة جليلة تمرهان من تلميذات المدرسة فى عهدها الأول .

بالمكاتب الصحية بالقاهرة والاسكندرية والمدن الهامة . وقد قام بعملية التطعيم ضد الجدرى فى القاهرة نساء مسلمات — من خريجات مدرسة الولادة — فزال الاعتقاد السابق الذى كان مستولياً على أوهام العامة بشأن التحوط من هذا المرض . وبلغ عدد الأفراد الذين كانوا يلقحون سنويا فى القاهرة فى المتوسط من ٦ إلى ٧ آلاف نسمة .

وقد ترجمت رسائل فى فن التوليد وأمراض النساء وبعض الكتب الخاصة وطبعت ووزعت على التلميذات والطبيبات .

الفصل الثالث

البعوث العلميـــة

لما تولى سعيد باشا الحكم فى مصر فى شوال ١٢٧٠ (يولية ١٨٥٤) كان يدرس بأوروبا على نفقة الحكومة المصرية ٧٢ طالب تثبت بيانهم فيما يلى :

مكان الدراسة		اسم العضو	تاريخ سفره	مادة تخصصه	ملاحظات
باريس	١	عبدالعزيز الهراوى	١٨٤٥	صباغة وطبع الأقمشة وتبييضها	درس بمدرسة الصيدلية وامتدح تقرير إدارة البعثة فى سنة ١٨٦١ كفايته وذكر أنه لم يبق أمامه سوى إتمام رسالته وقد عاد بعد ذلك توا .
»	٢	نور أفندى	١٨٤٥	طب	عاد سنة ١٨٦٠ .
»	٣	أوهان اسطمان	١٨٤٤	لغات	درس بباريس ثم انتقل الى لندن .
»	٤	يوسف اسطمان	١٨٤٤	هندسة	عاد قبل سنة ١٨٥٨
»	٥	سعيد نصر	١٨٤٧	العلوم العسكرية	تخرج فى مدرسة سان سير وعاد إلى مصر فى سنة ١٨٦١ .

مكان الدراسة		اسم العضو	تاريخ سفره	مادة تخصصه	ملاحظات
باريس	٦	محمد شوقى	١٨٤٥	هندسة	عاد قبل سنة ١٨٥٨
«	٧	صادق سليم	١٨٤٥	«	« « « «
«	٨	محمد عارف	١٨٤٥	«	عاد سنة ١٨٥٥ - ١٨٥٦
«	٩	خورشيد برنو	١٨٤٥	البحرية	— — —
«	١٠	عبد الرحمن الهراوى	١٨٤٧	طب	عاد سنة ١٨٥٥-١٨٥٦
«	١١	محمود يونس	١٨٤٧	«	« « « «
«	١٢	حسن هاشم	١٨٤٧	«	كانت التقارير عنه مرضية دائما وجاء عنه فى تقرير سنة ١٨٦٥ إنه لم يبق عليه سوى مناقشة رسالته وقد عاد بعد ذلك توا .
«	١٣	محمد الشرقاوى	١٨٤٧	«	— — —
«	١٤	شحاته عيسى	١٨٤٤	هندسة	عاد سنة ١٨٥٥ - ١٨٥٦
«	١٥	حسن نور الدين	١٨٤٤	«	« « « «
«	١٦	محمود أحمد (الفلكى)	١٨٥٠	فلك	عاد سنة ١٨٥٩
«	١٧	اسماعيل مصطفى (الفلكى)	١٨٥٠	«	عاد سنة ١٨٦٤
«	١٨	حسين ابراهيم	١٨٥٠	«	اشتغل بدراسة العلوم الرياضية وعاد سنة ١٨٥٦

مكان الدراسة	اسم العضو	تاريخ سفره	مادة تخصصه	ملاحظات
باريس	١٩ بولس بيور جياني	—		— — —
»	٢٠ يوسف النبراوى	١٨٥٠	فنون عسكرية	عاد سنة ١٨٦١
»	٢١ مصطفى افندى	—	—	أرسلوا من الآستانة
»	٢٢ محمد سالم	—	—	إلى باريس والتحقوا
»	٢٣ توفيق افندى	—	—	بالمدرسة المصرية بباريس
»	٢٤ مختار افندى	—	—	
»				وهما من مدرسة العمليات
»	٢٥ على البيومى	١٨٥٣	الحدادة	وقد صدر أمر سعيد
	٢٦ يوسف قصار	١٨٥٢	»	باشا فى أول حكمه
				بإعادتهما إلى مصر .
منشستر	١ عباس عبد العزيز	١٨٤٧	الميكانيكا	من خريجى مدرسة
»	٢ على العداوى	»	»	العمليات وعادوا فى
»	٣ عيسى شاهين	»	»	سنة ١٨٥٦ واشتغل
»	٤ جوده عوض	»	»	بعضهم بمصلحة السكة
»	٥ عثمان القاضى	»	»	الحديدية والبعض الآخر
»	٦ سليمان موسى	»	»	فى العمارات .
»	٧ سلامة الباز	»	»	
أدنبرة	١ محمد بدر	١٨٥٠	طب	عادوا فى سنين متفرقة من عصر سعيد

مكان الدراسة	اسم العضو	تاريخ سفره	مادة تخصصه	ملاحظات
أدنبرة	٢ مصطفى مصطفى	١٨٥٠	طب	
»	٣ محمد على الكاتب (أو الخطيب)	»	»	عادوا فى سنين متفرقة من عصر سعيد
»	٤ محمد على السكى	»	»	
»	٥ عبدالرازق درويش	»	كيمياء	بعد عودته إلى مصر ترك مادة تخصصه واشتغل بتعليم اللغة الانجليزية.
بيزة	١ محمد ريان	»	طب	
»	٢ إبراهيم جاهين	»	»	عادوا فى سنة ١٨٥٧ وقد ثارت ضجة حول كفاءتهم العلمية.
»	٣ محمد حميد	»	»	
»	٤ جورجى ديمترى	»	صيدلة	
»	٥ على شوشه	»	»	
ميونخ	١ مصطفى النجدى	١٨٤٩	طب	
»	٢ حسن د يوسف	»	»	عادوا فى سنوات متفرقة من عصر سعيد
»	٣ سالم سالم	»	»	
»	٤ حسن الألى	»	»	
»	٥ إبراهيم مصطفى بوشاق	»	»	
			»	

مكان الدراسة	اسم العضو	تاريخ سفره	مادة تخصصه	ملاحظات
موخ	٦ محمد على رضا	١٨٤٩	طب	عاد فى عصر سعيد
فينا	١ موسى محمد	١٨٥٠	»	
»	٢ محمد حلمى	»	»	
»	٣ محمد سامى	»	»	عادوا فى سنة ١٨٥٥
»	٤ محمود نافع	»	»	
»	٥ حسن عامر	»	»	
»	٦ خليل النبراوى	»	»	ثم انتقل إلى تريستة ليدرس التجارة
»	١ محمد عرمى	١٨٥٢	طب	كانوا من طلبة المفروزة بمصر
»	٢ حسن عارف	»	»	
»	٣ محمد وفائى	»	»	
»	٤ عبد الرحمن شكيب	»	طب	وقد صدر أمر سعيد فى
»	٥ محمد راشد	»	»	أول ولايته بإعادتهم إلى
»	٦ اسماعيل كامل	»	فنون عسكرية	مصر — ذكرنا هنا اسماعيل كامل وعثمان
»	٧ عبد القادر حلمى	»	»	غالب نقلا عن الأمير عمر
»	٨ عثمان غالب	»	»	طوسون ولكن الوثائق تشير إلى أن سفرهما إلى أوروبا كان بأمر من سعيد باشا فى أوائل حكمه .

مكان الدراسة	اسم العضو	تاريخ سفره	مادة تخصصه	ملاحظات
برلين	١ حافظ نعمت	١٢٦٨	طب	كانوا من طلبة المفروزة بمصر . وقد صدر أمر سعيد فى أول ولايته بإعادتهم إلى مصر .
«	٢ محمد راسخ	«	فنون عسكرية	
«	٣ محمد نصحى	«	« «	
«	٤ خورشيد نصحى	«	« «	
«	٥ مصطفى نائل	«	« «	
«	٦ حامد أمين	«	صيدلة	
«	٧ محمد عاطف	«	«	
«	٨ عبد الله شكرى	«	طب	
«	٩ يوسف شهدى	«	«	

وعلى أثر تولى سعيد باشا أمر بعودة السبعة عشر طالبا من طلبة المفروزة الذين كانوا يدرسون فيينا وبرلين فنونا عسكرية ، والطالبين اللذين كانا يدرسان (الحدادة) بفرنسا وكانا من مدرسة العمليات بالقاهرة . أما الباقون — وعددهم ٥٣ طالبا — فقد أذن لهم سعيد بالإقامة فى أوربا حتى أتموا دراساتهم وعادوا فى سنوات متفرقة من حكمه ، بل تابع فريق منهم دراسته حتى أتمها وعاد إلى مصر فى عهد إسماعيل .

على أن سعيدا لم يهمل الأخذ بنظام البعوث العلمية ، فوالى إرسال الطلاب من مصر — ولا نستطيع أن نقول الطلاب المصريين فكثير منهم من الأجانب — إلى أوربا ، وخاصة إلى فرنسا . فعل هذا منذ تولى الحكم فى مصر واستمر على هذه الخطة

حتى انتهى حكمه . على أن سعيدا لم ينظر إلى نظام البعوث العلمية إلى أوربا — كما نظر إليه محمد على وعباس — على أنه يرمى إلى تحقيق أغراض معينة أخصها تكوين نفر من شباب البلاد تكوينا علميا منظما بالاتصال بالغرب فى علومه ومجتمعاته ، إنما نظر إليه على أنه وسيلة يكافىء بها المقربين إليه وذوى الحظوة عنده ومنهم كثير من الأجانب ، يقوم منهم بتنشئة أبنائهم فى المدارس والجامعات الأوربية ، فتتكلف الحكومة المصرية فى هذا السبيل نفقات تعليمهم من غير أن تكون ثمة خطة موضوعة ومنهاج محدود وأغراض معينة ترمى إليها . هذا لم يكن للحكومة فى كثير من الأحيان دخل فى تعيين المواد التى يدرسها الطلبة المبعوثون بل تركت لرغبتهم هم أنفسهم وآبائهم . وقد سافر كثير منهم وكانوا صغار السن فقضوا مدة طويلة بالمدارس التجهيزية فى أوربا ، وقد حضر نفر منهم مصر بعد عودته ، ولكن كثيرين — وخاصة الأجانب — آثروا لأنفسهم الحياة التى تؤهلهم لها ظروفهم الخاصة . ولهذا اختفت أسماؤهم من سجل الحياة القومية المصرية .

وهاك بيانا بالبعوث التى أرسلها سعيد باشا إلى أوربا :

بعثة المدارس الحربية

مما يدل على أن سعيدا لم يكن ينظر إلى نظام البعوث العلمية نظرة جدية أنه فى الوقت الذى أمر فيه باستدعاء أعضاء بعثة المفروزة الذين كان عباس الأول أرسلهم فى سنة ١٢٦٨ إلى فينا وبرلين لدراسة فنون متنوعة [1] أمر بأن يختار من قسم المشاة بالمدارس الحربية

---

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ١٦٩ من سعيد إلى ناظر المدارس فى ١٨ المحرم ١٢٧١ .

(المحروزة) اثنا عشر طالبا ليرسلوا إلى أوربا لدراسة تعليمات (الجرجية) فاختارت المدرسة الطلبة الآتية أسماؤهم (١) :

	الاسم	الرتبة	البلد	ملاحظات
١	رشيد كمال أفندى	ملازم أول	جركسى	رغب فى السفر إلى أوربا فانتخب .
٢	محمد لامع	باشجاويش	»	عليوك
٣	اسماعيل كامل	جاويش	»	»
٤	أحمد نيازى	»	»	حسر
٥	سليم حلمى	»	»	»
٦	محمد مهم (ضعيف)	»	»	انتخب برغبته
٧	خورشيد رفيق	نفر	»	عليوك
٨	عثمان غالب (ضعيف)	»	»	وكان الطبيب يرى أنه لا يصلح
٩	محمد صادق	»	»	عليوك
١٠	راشد حسنى	»	»	»
١١	حسن ماهر	»	»	حسر
١٢	خورشيد عزمى	»	»	عليوك الذات الخديوية وقد صدر أمره باندماجه فى طلبة البعثة

(١) محفظة ٤ (معية تركى) رقم ٣٩ من ناظر المدارس الحربية إلى المعية فى ٩ المحرم ١٢٧١ . لم يذكر سمو الأمير عمر طوسون شيئاً عن بعثة المحروزة هذه سوى =

والحق أننا لا نستطيع أن نقطع بسفر هؤلاء الطلاب إلى أوربا : فالوثيقة التى نقلنا عنها أسماء أفراد البعثة لا تنص على اسم البلد الذى سيرحلون إليه ، هذا إلى أنه لم يرد لهم ذكر ما فى الوثائق التالية ، وسمو المغفور له الأمير عمر طوسون لا يذكر شيئاً عن هذه البعثة وأعضائها ، عدا أنه ذكر : اسماعيل كامل (باشا) ، وعثمان غالب (باشا) على أنهما من مبعوثى عباس الأول إلى أوربا ، وقد رجحنا أنهما سافرا فى عهد عباس ثم استدعيا إلى مصر مع من استدعى من أعضاء بعثة (المفروزة) ثم عاد سعيد فأرسلهما ثانية لإكمال دراستهما .

وذكر سمو الأمير طوسون (أحمد) راشد حسنى (باشا) على أنه تخرج فى مدرسة المفروزة فى سنة ١٨٥٣ واختير للسفر إلى فرنسا فى سنة ١٨٥٦ والتحق بالجيش وترقى به . واشترك فى حروب كريد والروسيا ، وكان العرابيون يطعنون به رغم أنه جركسى [١] .

وانتهى سمو الأمير من بحوثه إلى أن سعيد باشا أرسل فى عهده ٤٨ طالبا للدراسة فى أوربا : ٢٢ إلى فرنسا من أواخر سنة ١٨٥٤ إلى سنة ١٨٦٠ و ١٢ طالبا إلى النمسا فى ابريل سنة ١٨٦٢ و ١٤ طالبا إلى فرنسا فى أكتوبر ١٨٦٢ ، وذكر أسماء هؤلاء الطلاب وتراجم لأكثرهم .

— ما ذكره (البعثات ص ٤٦٧ — ٤٧٤) من أن « اسماعيل كامل » و « عثمان غالب » كانا عضوين ببعثة المفروزة التى أرسلها عباس باشا إلى فينا والصواب كما نرى من هذا البيان أنهما أرسلا بأمر من سعيد باشا ، كما أن سموه ذكر (ص ٥٠٤) أن « أحمد راشد حسنى (باشا) اختير من المفروزة للسفر إلى فرنسا فى أواخر سنة ١٨٥٤ »

(١) الأمير عمر طوسون : البعثات العلمية ... ٥٠٤ — ٥٠٧

وقد أتيح لنا الاطلاع في محفوظات عابدين والقلعة على عدة وثائق تثبت صحة الأرقام والأسماء التي ذكرها سمو الأمير وتزيد عليها تحقيقات أخرى ، كما أنها تزيد عليها عدة أسماء لأعضاء بعثات أخرى إلى فرنسا أغفلها بحث سموه . وأهم هذه الوثائق هي التقارير التي وضعها (مجلس تعليم) البعثة المصرية بباريس عن طلبة البعثة : سلوكهم وأخلاقهم ، ودرجة ذكائهم وتحصيلهم ونتائج امتحاناتهم . وقد عثرنا في محفوظات عابدين على أصول بعض هذه التقارير وترجمة عربية لبعضها الآخر في سنة ١٨٥٨[1] وسنة ١٨٦١[2] وسنة ١٨٦٣ — ١٨٦٤[3] وسنة ١٨٦٦ — ١٨٦٧[4] . ويلاحظ أن بعض الطلبة الذين أرسلوا في عصر سعيد — بل وفي عصر عباس — كانوا لا يزالون يتلقون العلم بفرنسا حتى ذلك الوقت .

وفي ضوء هذه الوثائق نتقدم لجلاء هذه الناحية : ناحية البعثات العلمية إلى فرنسا — أولا — في عهد سعيد ونقسمها قسمين :

(١) محفظة ٢١ (معية تركي) رقم ٣٧٤ من كابيك الى كاتب الجناب الخديوي في ٢٥ صفر ٢٧٥

(٢) Rapport sur les élèves de la mission Egyptienne, sur leur Conduite et sur leurs travaux. 1861.

(٣) Rapport du Conseil d'études à S. E. Chérif pacha Ministre de l'Instruction publique de S. A. le Vice-Roi d'Egypte sur les travaux des élèves de la Mission Egyptienne pendant l'année scolaire 1863-4 Paris 27 Aout 1864.

(٤) محفظة ٤٣ (معية تركي) رقم ١٣٦ من علي مبارك وكيل ديوان المدارس الى مهردار الخديوي في ٢٢ ذي القعدة ١٢٨٤

القسم الأول : بعثات مختلفة أرسلها سعيد باشا إلى فرنسا من ١٨٥٤ إلى ١٨٦١

القسم الثانى : بعثة طلبة الطب إلى فرنسا فى أكتوبر ١٨٦٢ .

القسم الأول

١ — سوتيريوس ياكيس «Sotirios Yazis» : أرسل إلى مونيخ فى عهد عباس الأول ، وكان ضعيف الذاكرة فضاق به البارون دوبرين الذى كان يشرف على البعثة المصرية وسعى حتى أعاده إلى مصر ، ثم استطاع ياكيس أن ينال من سعيد باشا أمرا بإعادته لدراسة الطب فى باريس فى يولية ١٨٥٥ . وذكر سمو الأمير عمر طوسون إنه ظل ينفق عليه حتى آخر يولية ١٨٦١ ، على أننا لم نعثر عليه فى تقريرى عن تعليم البعثة عن سنتى ١٨٥٨ ، ١٨٦١ مما يجعلنا نرجح أنه عاد إلى مصر قبل سنة ١٨٥٨ .

٢ — يوجين مورى (بك) «Eugène Mouis» : أرسل لتلقى العلوم العسكرية بفرنسا فى سنة ١٨٥٥ ، وقد تعلم أولا بإحدى المدارس التجهيزية بباريس ثم التحق بمدرسة سان سير الحربية ولما تخرج فيها ألحق بمعية أحد (الجنرالات) بالجيش الفرنسى ثم عاد إلى مصر فى أكتوبر ١٨٦١ وعين برياسة أركان حرب الجيش وترقى به واشترك فى حرب الروسيا ، وكانت له مباحث فى جريدة أركان الحرب التى كانت تصدرها حكومة اسماعيل ، كما أنه عين — وقتا ما — مدرسا ووكيلا لمدرسة المهندسخانة .

٣ ، ٤ — مرجوزوف الكبير ومرجوزوف الصغير «Margozoff» : ابنا أخت نوبار باشا ، سافرا إلى فرنسا فى سنة ١٨٥٥ الأول ليتعلم الطب والثانى لتعلم الهندسة بمدرسة (السنترال) . وقد عادا فى سنة ١٨٦١ وعين الثانى بالأشغال العمومية [1] .

(١) ويظهر أنه كان لهما أخ أصغر أرسله الخديو اسماعيل إلى باريس ، فنى تقرير مجلس تعليم البعثة فى سنة ١٨٦٧ ورد ذكر « جان مرجوزوف » وكان وقتئذ يتعلم بأحد مكاتب باريس

٥ — تيتو فيجاري «Tito Figari» : هكذا ذكره الأمير عمر طوسون وقال عنه إنه نجل الدكتور أنطوان بك فيجاري أستاذ التاريخ الطبيعي بمدرسة الطب منذ إنشائها في عهد محمد علي وإن سعيد باشا أرسله إلى فرنسا ليتعلم الإدارة الملكية، وبعد عودته اشتغل محاميا بالمحاكم المختلطة . أما تقرير مجلس البعثة في سنة ١٨٦١ — وهو الوثيقة الوحيدة التي تضمنت اسم « فيجاري » — فتذكر « هنري فيجاري » وتصفه بأنه غلام على شيء من الذكاء ومسلكه لا يرضخ لنظام .

٦ — سوماريبا «Sumaripa» : ذكر سمو الأمير عمر طوسون أنه أرسل إلى فرنسا في سنة ١٨٥٥ لدراسة الطب ، وعاد إلى مصر في نوفمبر ١٨٦١ ، وقد زاول مهنته في مصر زمنا ، ثم كان وكيلا لدائرة حرم سعيد باشا . ولكن الواقع أن أمر سعيد باشا صدر إلى ديوان المالية بإرسال سوماريبا مع نجل فيجاري بك وأمين افندي نجل مظهر بك إلى أوربا [1] للتحصيل على نفقة الحكومة في شهر ذي الحجة ١٢٧٥ (يوليه ١٨٥٩) أي بعد التاريخ الذي ذكره سمو الأمير بأربع سنوات . ويؤكد هذا أن تقرير مجلس البعثة في سنة ١٨٥٨ لا يذكره . وفي سنة ١٨٦١ كان سوماريبا لا يزال تقدمه بطيئا فرأى المجلس أنه يحسن العدول به عن إعداده لمدرسة السنترال والاكتفاء له بإحدى المدارس الصناعية ، فهو إذن لم يعد إلى مصر في سنة ١٨٦١ طبيبا يزاول فيها مهنته .

٧ — أندريه ديسبان «André Dispand» : ذكر الأمير طوسون أنه سافر إلى فرنسا في سنة ١٨٥٥ وعاد منها في سنة ١٨٦١ . ولكن إحدى الوثائق تذكر أنه سافر

---

(١) دفتر ١٨٩٩ (أوامر) ص ١٦٥ رقم ٧٥ أمر إلى المالية في ١٦ ذي الحجة ١٢٧٥ .

فى سنة ١٨٦٠ [1] ، ويؤكد هذا ما جاء عنه فى تقرير مجلس البعثة فى سنة ١٨٦١ ، ولم يكن هذا الطالب من حيث سلوكه أو عمله مرضيا عنه ، وكان يعد للالتحاق بإحدى المدارس الصناعية .

٨ — بطرس هرمانوفتش «Pierre Hermanovich» : أرسل إلى فرنسا فى سنة ١٨٦١ وكان له من العمر وقتئذ خمسة عشر عاما . وكان ذكيا يميل إلى الرياضيات والتحق بمدرسة الطب فى سنة ١٨٦٦ ، ولم يعرف تاريخ عودته إلى مصر

٩ — شارل كى «Charles Cuny» : وقد ذكر فى بعض الأوراق باسم «شارل أوف» أو «ولد الطبيب شيى» . كان أبوه — على ما يذكر الأمير طوسون — رئيسا لمصلحة الصحة بالإسكندرية ، وقد أحسن سعيد باشا بمبلغ من المال للانفاق على تعلمه فى أوربا مدة ثلاث سنوات [2] . سافر إلى باريس فى سنة ١٨٦١ وكان وقتئذ فى الثالثة عشرة من عمره ، ثم التحق بمدرسة (السنترال) ليدرس الهندسة المدنية ، وعاد إلى مصر فى سنة ١٨٦٦ متما دروسه .

١٠ ، ١١ ، ١٢ — إخوان جوبيا : رجح سمو الأمير عمر أنهم ثلاثة إخوة أرسلوا إلى فرنسا لتعلم الهندسة الميكانيكية ، ولم نعثر لهم على ذكر فى أية وثيقة ، عدا ما جاء فى بعض وثائق عصر إسماعيل من إرسال الأخوين يوسف وسلفاتور جوبيا «Joppa» إلى بعض

---

(١) دفتر ١٨٩٤ (أوامر) ص ٩٥ رقم ٣٩ أمر إلى قبلم شسبارمات فى ٤ رمضان ١٢٧٧

(٢) دفتر ١٨٩٩ (أوامر) ج ٢ ص ٧٨ رقم ٢٥٩ أمر إلى المالية فى ٢٦ شعبان ١٢٧٨

مصانع السكر فى فرنسا فى يولية ١٨٧٠[1] .

١٣ — يوسف ماورغ : كان من الطلبة الممتازين جدا ، وقد تخرج مهندسا مدنيا فى مدرسة (السنترال) وزار مصانع كثيرة . ثم سافر إلى انجلترا لزيارة مصانعها والتمكن من اللغة الإنجليزية . وقيل عنه فى تقرير مجلس البعثة فى سنة ١٨٥٨ إنه سيعود إلى مصر قبل خريف ذلك العام[2] .

١٤ — تيوبالد : لم يرد عنه فى الوثائق سوى أمر من سعيد باشا بإرساله إلى باريس «ضمن البعثة»[3] ، ولعله يقصد البعثة المسافرة إلى باريس فى أكتوبر ١٨٦٢ .

١٥ ، ١٦ — سليم جبور وأخوه نجيب : وهما أخوا حنا افندى البارودى (؟) صدر أمر سعيد باشا فى سنة ١٨٦٢ بإلحاقهما «ضمن التلامذة المتوجهين إلى باريس

(١) وكان المرجو أن يسافرا بعد ذلك إلى أمريكا . دفتر ١ (معية) ص ٦٧ رقم ٢٠ إلى الدائرة السنية فى ٧ صفر ١٢٩٢ ، Coll au Khédive, 26 Aout 1870 (Abdine)

(٢) نرجح أن «يوسف ماورغ» هذا هو «يوسف لطيف» ابن أخ أو ابن أخت أسطفان بك ، وقد عين بعد عودته من أوروبا مهندسا بمعية مسيو هوجل وكان وقتئذ مهندسا لسكة حديد السويس . وقد شكا «يوسف» من أنه بعد عودته لا يمارس من الأعمال سوى رسم الخطائط والأبنية ، مع أنه حائز لعلوم مهندس ميكانيكى ، والتمس استخدامه فى مصانع الحكومة وتكليفه بأن يضع كتابا فى فنه أو يعلم الأسطوات لتخريج مئتى الوقادين والسائقين الخ — محفظة ٢٤ (معية تركى) رقم ١٢٣ من كتبك مأمور التحريرات الافرنكية الخديوية إلى كاتب الجناب الخديوى فى ٨ صفر ١٢٧٦

(٣) دفتر ١٩٠١ (أوامر) ص ٩٦ رقم ٢٦ أمر إلى قلم شفارسات فى ١١ جمادى الآخرة ١٢٧٩

لاكتسابهم العلوم » (١). وكان سليم وقتئذ — كما جاء فى تقارير مجلس البعثة — فى الخامسة عشرة من عمره ، وكان لا يعرف الفرنسية . وقد أظهر إقبالا على الدرس ثم تخصص فى دراسة العلوم الإدارية وألحق بقلم الحسابات بوزارة المالية الفرنسية وشهد له رؤساؤه شهادة حسنة ، ثم عاد إلى مصر فى أواخر سنة ١٨٦٩ ، ولم يقبله ديوان المدارس لأنه « ليس له لزوم به » ، فأرسل إلى ديوان المالية حيث يستطيع أن يبرز كفايته (٢).

أما نجيب فكان يصغر أخاه بنحو عامين ، فألحق أولا بإحدى المدارس الابتدائية وفى سنة ١٨٦٧ كان لا يزال يتلقى التعليم التجهيزى . ولسنا نعلم مصيره .

ثورون « Thoron » : أرسل سعيد باشا أربعة من أسرة ثورون(؟) ليتعلموا على نفقته فى باريس : أمر أولا بإرسال اثنين منهما (جول وبول) فى يولية ١٨٥٩ (٣) ثم لحقهما الأخوان أرنست وهنرى . وتظهر أسماء الإخوة الأربعة لأول مرة فى تقرير مجلس البعثة فى سنة ١٨٦١ :

١٧ — جول ثورون « Jules Thoron » : التحق بمدرسة التجارة بباريس وكان نشطا حسن الخلق ، وقد انفصل عن البعثة فى أواخر حكم سعيد أو أوائل حكم اسماعيل ،

---

(١) دفتر ١٩٠١ (أوامر) ص ١٠ رقم ٣ أمر الى مأمور تحريرات الرسكيه فى ١٦ ربيع الثانى ١٢٧٩

(٢) دفتر ٤٣٦ (مدارس عربى) ص ١١٥ رقم ١١٠ الى المالية فى ٢٣ شوال ١٢٨٦

(٣) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٧٢ رقم ١٩ امر الى مأمور التحريرات الافرنكية فى ٢٦ ذى الحجة ١٢٧٥

لأن اسمه لا يظهر فى تقرير مجلس البعثة لسنة ١٨٦٤ .

١٨ — پول تورون : سافر إلى باريس فى الثالثة عشرة من عمره ، أظهر ميلا للحساب والرسم . ولكنه لم يستطع تحقيق رغبته فى دخول مدرسة (السنترال) ، وفى نوفمبر ١٨٦٥ عاد به أبوه إلى مصر [١] .

١٩ — إرنست تورون : كان طفلا حينما سافر إلى فرنسا . وقد لاحظ مجلس البعثة (فى سنة ١٨٦١) أنه قليل الحظ من الذكاء ، وقد التحق بعد ذلك بمدرسة التجارة بباريس .

٢٠ — هنرى تورون : وكان على طفولته يفوق أخاه إرنست ذكاء وإقبالا على الدرس ، ولكن همته ما لبثت أن فترت . وقد أتم دراسة التجارة ، وانفصل مع أخيه إرنست عن البعثة فى سنة ١٨٦٦ .

٢١ — پاولو كولوتشى : « Colucci » وهو ابن أخ الدكتور كولوتشى (بك ثم باشا) وكان أبوه يعمل أيضاً فى الإدارة الصحية بالإسكندرية . وقد أجاب سعيد باشا التماس أبيه إلحاقه بالبعثة فى سنة ١٨٦١ [٢] . وقد التحق بإحدى كليات (مدارس تجهيزية) باريس ونال منها عدة جوائز ، وأتم دراسته بها فى أبريل ١٨٦٧ ، ثم اجتاز امتحاناً فى السوربون للتحضير لدرجة (Bachelier ès - Lettres) والتحق بكلية الحقوق [٣] .

---

(١) Lemercier à Cherif Pacha, 8 Nov. 1865 (Abdine).

(٢) دفتر ١٨٩٤ (أوامر) ص ٩٥ رقم ٣٨ أمر إلى قلم المبارسات فى ٤ رمضان ١٢٧٧

(٣) ولپاولو كولوتشى هذا أخوان : ماريوس وجوستاف ألحقهما الخديو إسماعيل بالبعثة المصرية بباريس ثم أوفدهما فى بعثة المقرق والادارة بتورينو فى سنة ١٨٧٠ .

٢٢ — بوغوص نوباريان : ولد نوبار (بك) . وافق سعيد على سفره مع كلوتشي في سنة ١٨٦١ ، وكان لايزال طفلا فألحق بإحدى المدارس الأولية بباريس ، ثم مرض فوضع في مصح ، وأخيراً فصل من البعثة في تاريخ سابق لسنة ١٨٦٦ .

٢٣ — جوزيف روسي « Joseph Rossi » : سافر إلى باريس في سنة ١٨٦١ وكان له من العمر وقتئذ عشر سنوات ، وكان يراد إعداده لدراسة الطب . وقد أجاد اللغة الانجليزية وكان يتكلم الألمانية والايطالية . ويظهر أنه لم يتم دراسته بالبعثة لأن اسمه لا يظهر في تقرير مجلس البعثة في سنة ١٨٦٧ . ولا يعلم مصيره .

٢٤ — لانجلوا : نجل مسيو لانجلوا المدرس بمدرسة المهندسخانة منذ سنة ١٨٤٨ ، التحق بالبعثة في سنة ١٨٦١ وكان لايزال طفلا ويراد إعداده لمدرسة صناعية ، وحتى سنة ١٨٦٧ كان لايزال يتلقى التعليم الثانوي ولايعلم مصيره .

٢٥ — جول بوتي « Jules Boutellie » : يظهر أنه أرسل إلى باريس في سنة ١٨٦١ وكان يراد إعداده لدراسة الطب ولا يعلم مصيره .

٢٦ — ماروكي « Marucki » : وكان حين سفره إلى باريس في ١٨٦١ لا يكاد يبلغ الحادية عشرة فألحق بإحدى المدارس الابتدائية . وإلى سنة ١٨٦٧ كان لا يزال في مرحلة التعليم الثانوي . ولا يعلم مصيره .

٢٧ — لويس جابت « Louis Gabet » : لا يعلم تاريخ التحاقه بالبعثة . وكل ما عرف عنه أنه كان في سنة ١٨٦٣ تلميذاً مجداً بإحدى كليات (مدارس ثانوية) فرنسا ، وفي سنة ١٨٦٧ كان لايزال في مرحلة التعليم الثانوي .

٢٨ — أحمد شكرى (باشا) [١] : تعلم فى مدرسة القلعة ، ثم سافر إلى فرنسا فى عهد سعيد باشا . وقد التحق أولا بمدرسة تجهيزية بباريس وقيل عنه فى تقرير مجلس البعثة فى سنة ١٨٥٨ ، إنه حائز لمحبة جميع الناس ومودتهم » . وفى العام التالى ألحق بوزارة المالية الفرنسية حيث أظهر خلقاً طيباً وإقبالا على العمل . ويذكر سمو الأمير عمر طوسون أن (أحمد شكرى) عاد إلى مصر فى نوفمبر ١٨٦١ . ومن الوظائف التى تقلدها مدير إدارة السودان وملحقاته أيام الثورة المهدية ، وقد تنقل فى عدة وظائف إدارية عالية .

٢٩ — إبراهيم توفيق (باشا) الشهير بالترجمان لأن والده محمد بك كان ترجمانا لسعيد باشا : ألحق أولا بمدرسة تجهيزية بباريس وقيل عنه فى سنة ١٨٥٨ ، إنه تلميذ طيب تظهر عليه مخايل الذكاء إلا أنه كسول فى بعض الأوقات ، ثم ألحق بوزارة المالية الفرنسية . ولم يكن عمله وسلوكه محل رضاء من مجلس البعثة فى سنة ١٨٦١ . ويذكر سمو الأمير عمر طوسون إن إبراهيم توفيق عاد إلى مصر فى أول نوفمبر ١٨٦١ والتحق بالجيش . وقد ناوأ العرابيين ثم خاصم الانجليز فأحيل إلى المعاش [٢]

٣٠ — إبراهيم رأفت (بك) : نجل إبراهيم بك رأفت وكيل ديوان المدارس . ذكر سمو الأمير عمر طوسون أن أباه مات فى حادثة غرق الأمير أحمد باشا فى النيل

---

(١) وهو نجل محمد أحمد بك ووالد دولة إسماعيل صدقى باشا .

(٢) وفى إحدى الوثائق أنه لما عاد إلى مصر فى سنة ١٨٦٢ بعد أن أتم تحصيل فن الحسابات بأوربا ألحق بالدائرة السنية ومنح رتبة اليوزباشى : أمين سامى باشا : تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٣٩٥ أمر إلى عرفان بك ناظر الدائرة السنية فى ٢٣ شعبان ١٢٧٨

عند كفر الزيات في ١٤ مايو ١٨٥٨ ، فعطف سعيد باشا على أسرته وأرسل ولديه إبراهيم وعثمان إلى فرنسا لدراسة الفنون العسكرية ، وكان إبراهيم يتعلم بفرنسا على نفقة والده قبل حادثة الغرق بسنتين ، فاستدعاه سعيد ثم أعاده مع أخيه لإكمال الدراسة على نفقته . وقد ألحق إبراهيم أولا بمدرسة ثانوية حيث أظهر استعداداً للعلوم الرياضية ثم التحق بمدرسة سان سير العسكرية وتخرج ضابطا لأركان الحرب . وقد امتدح تقرير مجلس البعثة في سنة ١٨٦١ نشاطه وجده وحسن سلوكه . وقد عاد إلى مصر في آخر ديسمبر سنة ١٨٦١ فالتحق بالجيش وترقى به .

٢١ — عثمان رأفت (باشا) : يذكر سمو الأمير عمر طوسون أنه لم يعثر على اسمه في الوثائق التي اطلع عليها ، ولكنه يميل إلى تصديق أهله في أنه سافر — مع أخيه إبراهيم رأفت — وكان في الثالثة عشرة من عمره ، فتعلم إلى أن تأهل للدخول في مدرسة سان سير العسكرية وتعلم فيها كأخيه هندسة أركان الحرب ، وأقام بفرنسا سبع سنوات ، وقد عين في مصر في ياوران الخديو . ولكننا عثرنا على اسمه لأول مرة في تقرير مجلس البعثة في سنة ١٨٦١ ، مما يجعلنا نرجح أنه سافر إلى فرنسا فيما بين سنتي ١٨٥٨ و ١٨٦١ . وقد جاء عنه في هذا التقرير أنه معتل الصحة ضعيف التحصيل . وعدم ذكر اسمه في التقارير التالية يدل على أنه انفصل عن البعثة بعد سنة ١٨٦١ بقليل ، وفي سنة ١٨٦٣ عين (رئيس فرقه) بمدرسة المشاة بالقاهرة أول افتتاحها في حكم اسماعيل .

٢٢ — محمد راتب (باشا) : ذكر سمو الأمير عمر طوسون أن أصله من عاليك سعيد باشا . تعلم في المدرسة الحربية المفروزة ثم سافر إلى فرنسا لاتقان العلوم العسكرية . ويرجح سمو الأمير أنه سافر في أواخر سنة ١٨٥٤ مع زميله راشد حسني ، ولكننا لا نجد اسمه في قائمة بعثة المفروزة التي أرسلها سعيد باشا وأثبتناها قبلا ، إلا

أن بعض الوثائق تشير إلى اسمه فى أواخر سنة ١٨٥٥ [١]. ونرجح أنه لم يمكث مدة طويلة بفرنسا، بل عاد قبل سنة ١٨٥٨ لأن تقرير مجلس البعثة فى تلك السنة لا يذكر شيئاً عنه. وذكر سمو الأمير أن محمد راتب هرب مرة إلى الأستانة وانخرط فى سلك الجيش العثمانى، وبعد وفاة سعيد باشا عاد إلى مصر وخدم فى الحكومة المصرية وترقى بسرعة حتى أصبح سردارا للجيش المصرى فى سنة ١٨٦٧. وكان قائدا عاما للجيش فى حرب الحبشة ثم وزيرا للحربية فى أول وزارة لنوبار باشا فى سنة ١٨٧٨

٢٣ — واصف عزمى (باشا): ذكر سمو الأمير عمر طوسون أنه سافر إلى فرنسا فى سنة ١٨٦٠ ورجح أنه درس الإدارة الملكية (الحقوق)، ولكن ذكر اسمه فى تقرير مجلس البعثة فى سنة ١٨٥٨ يدحض ما ذهب إليه الأمير. وكان وقتئذ يتلقى العلم بإحدى المدارس الثانوية بباريس وقيل عنه «إنه طيب نوعا إلا أنه كسول فى بعض الأوقات»، ثم أذن له فى سنة ١٨٦١ بالالتحاق بوزارة المالية الفرنسية للمران على العمل. وقد عين واصف عزمى باشا رئيس شرف للمحاكم المختلطة بالقاهرة فى سنة ١٨٨٣ وتوفى فى سنة ١٨٩٨ بالاسكندرية.

٢٤ — أحمد حمدى (بك): هو النجل الثانى للدكتور محمد على البقلى باشا. رحل حمدى إلى باريس فى ١٥ يونية ١٨٦١ وهو حديث السن فألحق بمدرسة أولية «Institution Dupuy» حيث أظهر ذكاء وسلوكا طيبا، ثم التحق بمدرسة الطب. وفى سنة ١٨٦٧ كان أحمد حمدى يعمل لنيل درجة الدكتوراه. ويلوح أن بعثته

---

(١) دفتر ١٨٨٤ (أوامر) ص ٥٥ رقم ١٩٥ أمر كريم إلى الخزينة فى ٢٢ جمادى الآخرة ١٢٧٢

تعلمت فى تلك السنة فرجع إلى مصر ثم عاد ثانية إلى فرنسا مع أخيه حامد . وبعد عودته إلى مصر فى سنة ١٨٦٩ عين مساعدا بقسم الجراحة بمستشفى قصر العينى ثم أصبح أستاذ الجراحة وكبيراً لأطبائها بالمستشفى .

٣٥ — حافظ حسانين : نجل حسانين بك عبى ناظر دار سك النقود (الضربخانة) وأستاذ الكيمياء بمدرسة الطب وشقيق الدكتور محمد على البقلى . ذكر سمو الأمير عمر طوسون أنه تعلم فى مصر بمدرسة القرير وسافر إلى فرنسا وله من العمر ثلاث عشرة سنة . ونضيف إلى ذلك أنه لما توفى والده عطف عليه سعيد باشا وأمر بارساله إلى باريس فى يونية ١٨٦١ ليتعلم العلوم التى كان والده مختصاً فيها ، ولما كان حديث السن فقد بدأ تلقى الدراسة الأولية بباريس . ولكنه لم يلبث أن أعيد إلى مصر فى سنة ١٨٦٤ « لأنه كان دائما يضع يده فى جيبه حياء لفقد بعض أصابعه » كما قال عنه (الدكتور محمد على البقلى)[1] أو (لقبح سلوكه وعاداته وعدم تعلمه أى علم) كما قال مجلس البعثة فى سنة ١٨٦٧ . وألحق حافظ بمدرسة الطب بالقاهرة وبقى بها ثلاث سنوات ، ثم عاد إلى باريس فى بعثة لدراسة التاريخ الطبيعى فى مارس ١٨٦٧ ثم عاد إلى مصر مع من عاد إليها من الطلبة المصريين بباريس على أثر حوادث سنة ١٨٧٠ فى فرنسا ، ثم رجع إلى فرنسا وبقى بها حتى أكمل دراسته فى سنة ١٨٧٦ بكلية العلوم بباريس . وعين بعد عودته إلى مصر مدرساً للتاريخ الطبيعى بمدرسة الطب ، ثم ببعض المدارس التجهيزية بالقاهرة .

---

(١) دفتر ٤٥٧ (مدارس عربى) ص ٩٩ رقم ٢٢ إلى المجلس الخصوصى فى ٢٢ ذى القعدة ١٢٨٩

٣٦ — على محمد البقلى : نجل الدكتور محمد على البقلى باشا الجراح الشهير ، كان يعمل فى دار سك النقود بالقاهرة، وقد رشحه رئيس مجلس الصحة للسفر إلى مونيخ مع البعثة التى سافرت إليها فى مارس ١٨٦٢ ، فأمر سعيد باشا بإرساله إلى باريس للتخصص فى الكيمياء والصيدلة ، فتأخر حتى سافر إليها مع بعثة الطب فى أكتوبر ١٨٦٢ . وقد امتدح مجلس البعثة حسن سلوكه وجده وذكائه ، وقد تردد على دار سك النقود فى باريس ، ثم عاد إلى مصر مع الطلبة المصريين على أثر حوادث سنة ١٨٧٠ فى فرنسا .

ولما صدر الأمر بإعادة بعض هؤلاء الطلبة لإكمال دراستهم فى مونبلييه كان منهم الطالب على محمد البقلى ، وأتمها دراسة الكيمياء والصيدلية ونال شهادتها . ثم عاد ديوان المدارس فى أواخر سنة ١٨٧٢ يطلب الإذن له بالسفر إلى باريس لإتمام فن « الجاشنى ، أى الصيدلة »⁽¹⁾ مرافق الخديو إسماعيل⁽²⁾ . وقضى على محمد فى هذه البعثة الأخيرة نحو عام ونصف عام ، وعاد « حافظاً للعلوم الكيماوية والطبية المتعلقة من الأجزجية »⁽³⁾ .

---

(١) دفتر ٤٥٧ (مدارس عربى) ص ١٩ رقم ١١ إلى المية السنيه فى ١٣ شوال ١٢٨٩

(٢) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٠٨ ، دفتر ١٩٤٣ (أوامر) ص ٣١ رقم ٤ ، دفتر سنة ١٥٨٩ (إرادات للمدارس) ص ٤ رقم ٤ أمر إلى ديوان المدارس فى ١٨ شوال ١٢٨٩

(٣) دفتر ٤٧٦ (مدارس عربى) ص ١٦٩ رقم ٤٢ من محافظة مصر فى ١٦ جمادى الأولى ١٢٩١

وعين مدرسا لمادة التحليل الكيماوى بمدرسة الطب[1].

٣٢ — حامد محمد على البقلى: هو آخر للدكتور محمد على البقلى باشا. أرسل إلى باريس لدراسة القانون فى أواخر سنة ١٨٦٢ [2] أى فى عهد سعيد لا فى عهد اسماعيل كما ذكر الأمير عمر طوسون. بل إن اسماعيل عقب توليه أصدر أمراً بشطب اسم حامد من سجلات البعثة المصرية على أن يكون تعليمه ومصاريفه فى باريس على نفقة أبيه ابتداء من شهر يولية ١٨٦٣ [3]، وهذا هو السبب فى اختفاء اسم (حامد محمد على البقلى) من تقارير مجلس البعثة بين سنتى ١٨٦٣ و ١٨٦٧. ثم أدرج مرة ثانية بالبعثة، على أن تخصم نفقاته من مرتب أبيه بالقاهرة [4]. وظل الدكتور البقلى ينفق على ابنه حامد حتى أتم هذا دراسته فى سنة ١٨٧٤ وقدم رسالة فى علم الحقوق والإدارة ومرن على العمل بمحاكم باريس[5]، ثم عين بعد عودته إلى مصر وكيلا للنائب العمومى بالمحاكم المختلطة[6].

---

(١) دفتر ٤٧١ (مدارس عربى) ص ٣٥ رقم ٧٨ إلى استئنافيات مصر فى ٨ جمادى الثانية ١٢٩١

(٢) دفتر ١٩٠١ (أوامر) ص ١٠ رقم ١ الى مأمور تحريرات أفرنكية فى ٩ ربيع الثانى ١٢٧٩

(٣) دفتر ٥٢١ (معيه تركى) ج ٢ ص ٢٦ رقم ١٤٨ الى رشيد باشا ناظر المالية فى ١٤ المحرم ١٢٨٠

(٤) دفتر ٤٤٧ (مدارس عربى) ص ١٢٢ رقم ٥ إلى قلم مشاورات المالية فى ٢١ رمضان ١٢٨٨

(٥) دفتر ٤٧٦ (مدارس عربى) ص ١٠٩ رقم ٩٧ من المدرسة الطبية فى ١٩ ربيع الثانى ١٢٩١

(٦) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربى) ص ٣٨ رقم ١٠٣ إلى مكتب المساحات فى ٢١ ذى القعدة ١٢٩١

ويبدو أن الاضطراب الذي نلحظه في بعثات الإخوة أحمد وعلي وحامد كان صدى لاضطراب الحياة الوظيفية لأبيهم الدكتور محمد علي البقلي (باشا).

٣٨ — محمود شاكر: نجل محمد شيمي بك وكيل «المرورية»: صدر الأمر من سعيد باشا بسفره مع حامد البقلي في سنة ١٨٦٢، وكان وقتئذ طفلا في السابعة من عمره فوضع في إحدى المدارس الأولية وبدأ يتعلم الفرنسية. وقيل عنه إنه «ذكي وهادئ» وفي سنة ١٨٦٧ كان لا يزال يتلقى العلوم الابتدائية. ولا يعلم مصيره.

٣٩ — إبراهيم نظري بك: نجل محمود باشا (؟) سافر إلى باريس — مع الطالبين الآتيين — في يولية ١٨٥٦[1] وألحق بمدرسة تجهيزية، وذكر لأول مرة في تقرير مجلس البعثة في سنة ١٨٥٨ وقيل عنه وقتئذ «إنه ضعيف جداً في تحصيله ... لأن طبعه في الأصل مضاد لكل تعليم وتربية». ونرجح أنه لم يمكث طويلا بالبعثة لأننا لا نجد اسمه في التقارير التالية لمجلس البعثة.

٤٠ — إسماعيل بك: نجل أدهم باشا. كان يتعلم بمدرسة تجهيزية في باريس وذكر لأول مرة في تقرير مجلس البعثة في سنة ١٨٥٨ وقيل فيه «إنه ذو أفكار صحيحة وذهن حاد ويتحدث اللغة الفرنسية بكل سهولة»، ثم التحق بمدرسة سان سير العسكرية حيث أدى امتحاناته الأولى بنجاح، واشترك في المناورات العسكرية الفرنسية في سنة ١٨٦٤ وذكر تقرير مجلس البعثة في تلك السنة أنه سيتم دراسته في أواخر هذه السنة في مدرسة أركان الحرب.

---

(١) دفتر ١٨٨٥ (أوامر) ص ٦٣ رقم ٢٦٧ أمر إلى ناظر قلم شارسات في ٢٤ ذي الحجة ١٢٧٢

٤١ — جلال بك : كان يتعلم فى إحدى المدارس التجهيزية بباريس ، وفى تقرير البعثة لسنة ١٨٥٨ — الذى ذكر فيه اسمه لأول مرة — جاء عنه أنه « يظهر عليه الذكاء إلا أنه مهمل » . ونرجح أنه لم يمكث طويلا بالبعثة لأننا لا نجد اسمه فى التقارير التالية لمجلس البعثة .

٤٢ — حسن رضا : لا يعلم تاريخ سفره ، وكل ما عرف عنه أنه كان فى سنة ١٨٥٨ — كما جاء فى تقرير البعثة وقتئذ — فى إحدى المدارس الثانوية بباريس . وقيل عنه « إنه يفكر ببطء ولكنه متين جدا » ثم التحق بمدرسة (السنترال) وأدى امتحاناتها بنجاح .

٤٣ — أمين أفندى : نجل مظهر (بك) المهندس الكبير . صدر أمر سعيد باشا بسفره إلى باريس فى يولية ١٨٥٨ [1] وكان فى سنة ١٨٦١ يستعد لدخول مدرسة (السنترال) ولكنه لم يستطع لضعف تحصيله . وفى سنة ١٨٦٢ أرسل إلى انجلترا ليتعلم اللغة الانجليزية .

هذه أسماء ٤٣ طالبا [2] (عدا الاثنى عشر طالبا من بعثة المفروزة) لبى أمر سعيد باشا

---

(١) دفتر ١٨٩١ (أوامر) ص ١٦٥ رقم ٧٥ أمر الى المالية فى ١٤ ذى الحجة ١٢٧٥

(٢) وعندنا أسماء طلبة آخرين ولكننا لا نستطيع الجزم بأنهم كانوا من مبعوثى سعيد باشا الى فرنسا : فمنهم « مصطفى رشدى أفندى » (دفتر ١٨٨٧ أوامر — رقم ٣ أمر الى الخزينة المصرية فى ٧ صفر ١٢٧٣ بشأن سداد دين مستحق عليه مدة اقامته فى باريس) . و « روبين » (دفتر ١٨٨٩ — أوامر — ص ٧٩ رقم ٣١ أمر الى ديوان المالية فى ١٩ ربيع الثانى ١٢٧٤ بشأن تسلمه لوالده بالإسكندرية لخروجه عن طاعته) و« إسماعيل جودت أفندى » (دفتر ٥٣٢ — معية تركى — ص ٢٢٠ رقم ٢٢ الى مأمور =

بسفرها إلى أوربا ولم تحزم سفرها) أرسلهم سعيد باشا فى بعثات مختلفة وفى تواريخ مختلفة من حكمه للدراسة فى فرنسا لم يذكر منهم سمو الأمير عمر طوسون سوى ٢٢ طالبا ، وقد عثرنا على أسماء الطلبة الباقين فى وثائق متفرقة وفى تقارير (مجلس تعليم) البعثة المصرية بباريس من سنة ١٨٥٨ .

القسم الثانى : بعثة الطب الى فرنسا

وفى اكتوبر سنة ١٨٦٢ أرسل سعيد باشا بعثة مؤلفة من أربعة عشر طالبا من طلاب الطب لإكمال دراستهم بباريس وقد ذكرهم سمو الأمير عمر طوسون وترجم لهم .

وقيل — فى الدافع إلى إرسال هذه البعثة — إن سعيد باشا لما كان يزور أوربا فى سنة ١٨٦١ وصحبته الدكتور محمد على البقلى باشا شاهد تقدم فن الجراحة فى باريس ، فعزم على أن يبعث إلى باريس بفريق من نابهى طلبة مدرسة الطب المصرية ليتقنوا هذا الفن ويعودوا إلى مصر فى وقت وجيز « التماسا لقلة النفقات ولإمكان الانتفاع بهم قريبا فى جهة أخرى »[1] . وكان غرض حكومة سعيد « أن تكون رجالا أكفاء للسير بالبلاد فى طريق التقدم والاستغناء عن استدعاء الأطباء الأجانب ، وأخيرا التقدم

= ضبطية مصر فى ٢١ شعبان ١٢٨٠ — بشأن استخدامه بعد عودته من أوربا فى الضبطية) .
وقد ذكر لنا سعادة الأستاذ صالح بك جودت أن سعيد باشا أرسل أباه إلى باريس ليتم الحقوق على نفقة سموه الخاصة .

(١) جورجى زيدان : مشاهير الشرق ج ٢ ص ٢١٨

الحكومات الأوروبية ضمانات جدية لسير الحالة الصحية فى البلاد»[1].

وحرصا على أن يتم طلبة البعثة دراستهم فى وقت وجيز اختيروا من خريجى مدرسة الطب، وكان فريق منهم يعمل طبيبا فى خدمة الحكومة، وكان الأمل أن ينالوا درجة الدكتوراه من باريس بعد عامين. ولكن ما لبث أن عاد إلى مصر منهم تسعة طلاب بصحبة مسيو دمانيه، ملاحظ البعثة المصرية بفرنسا قبل أن يتموا دراستهم بباريس، وقيل أن عودتهم كانت بأمر من الخديو اسماعيل بناء على اقتراح شافعى بك ناظر مدرسة الطب فى ذلك الوقت لحاجة البلاد إلى أطباء[2].

وقد نقل سمو الأمير عمر طوسون[3] أسماء أعضاء هذه البعثة عن دفاتر دار المحفوظات العمومية الخاصة بمرتبات أعضاء البعثات المختلفة.

وهاك أسماءهم جميعا نقلا عن سمو الأمير، مضيفين إليها تحقيقات من الوثائق التى أتيح لنا الاطلاع عليها:

١ — محمد بهجت أو محمد عوف باشا: نجل الدكتور حسين عوف أستاذ الرمد الشهير، ومن مبعوثى محمد على الى فرنسا، وقد أشارت تقارير امتحان مدرسة الطب غير مرة إلى كفاية الطالب محمد بهجت[4].

---

(١) — Colucci : Compte rendu des travaux pendant les années 1860 — 1875, P. 30-31.

(٢) جورجى زيدان: مشاهير الشرق ج ٢ ص ٢١٨

(٣) البعثات العلمية .. ص ٥٤٥ — ٥٧٢.

(٤) محفظة ٢٥ (معية تركى) رقم ٢٥٢ من على ذى الفقار باشا إلى المعية فى ١٣ رمضان ١٢٧٦

وقد تخرج فى مدرسة الطب فى سنة ١٨٥٥ واختاره مجلس الصحة لبعثة الطب المسافرة إلى مونيخ فى مارس سنة ١٨٦٢ ، ولكن سعيد باشا فضل أن يرسله إلى باريس للتخصص فى أمراض العيون .

ونال بهجت دكتوراه الطب فى يولية ١٨٧٠ . وبعد عودته إلى مصر عين مساعداً لوالده بمدرسة الطب ثم جعله أستاذاً لطب العيون وصار فى فنه شهرة عظيمة .

٢ — محمد أمين (بك) وكان كذلك يدرس طب العيون وقد أتم مع زميله بهجت دراسته فى أربع سنوات . فلما عزم مجلس تعليم البعثة على إعادتهما إلى مصر فى ديسمبر ١٨٦٦ عرضا على المجلس رغبتهما فى البقاء لاكمال الدراسة لدرجة الدكتوراه ، ولكن المجلس رفض طلبهما لسبب تقدمهما فى السن وطول المدة الباقية لدرجة الدكتوراه (أربع سنوات أخرى) والرغبة فى أن تفيد البلاد من خدماتهما عاجلا . ولكن الطالبين التجآ إلى نوبار باشا فأجيب ملتمسهما ، وقد عاد إلى مصر فى سنة ١٨٧٠ وعينا مدرسين بمدرسة الطب .

٣ — محمد عبد السميع (بك) : وكان معيداً بمدرسة الطب ولم يمكث بباريس إلا نحو عام ، وبعد عودته اشتغل بالتدريس فى مدرسة الطب .

٤ — محمد عامر (بك) : لم يمكث بباريس إلا نحو عام ، وبعد عودته إلى مصر اشتغل طبيباً بالجيش .

٥ — حسن مظهر أفندى : وكان من الذين عادوا بأمر اسماعيل باشا فى يولية ١٨٦٣ .

٦ — محمد فوزى (بك) : وكان أيضاً من الذين عادوا بأمر اسماعيل باشا فى أوائل حكمه ، وعين بمدرسة الطب مدرساً للعمليات الجراحية الولادية ، ثم كان من أطباء

الحملة المصرية فى حرب الروسيا فى سنة ١٨٧٧ .

٧ — زهران محمد (بك) : وكان أيضاً من الذين عادوا إلى مصر بأمر اسماعيل فى أوائل حكمه ، ومن الوظائف التى تقلدها أنه كان طبيبا بمستشفى المدارس بالعباسية فى أوائل حكم اسماعيل .

٨ — على رياض (بك) : عاد فى سنة ١٨٦٧ بعد أن أتم دروسه تفوق فى علوم الصيدلة والطبيعة والكيمياء وقد تقلد وظائف كثيرة . وكان مدرساً للأقرباذين والكيمياء بمدرسة الطب .

٩ — صالح على (بك) : عاد بعد عام من سفره الى مصر فعين صيدليا بالمستشفى ثم مدرسا للطبيعة والكيمياء بمدرسة الطب .

١٠ — محمد القطاوى (بك) : عاد بعد عام إلى مصر وقد عين مدرساً للباثولوجيا بمدرسة الطب وتولى نظارة المدرسة مدة قليلة فى سنة ١٨٨٣ .

١١ — محمد درى (باشا) : كان من نوابغ خريجى مدرسة الطب واشتغل معيداً بها حتى سافر فى بعثة سنة ١٨٦٢ إلى باريس ، وظل بها حتى عاد إلى مصر حائزاً للدكتوراه (قسم الجراحة) فى سنة ١٨٧٠ . وكان مجلس تعليم البعثة يشيد بجده وذكائه ونشاطه ويعلق عليه آمالا كبيرة فى خدمة بلاده وقد حقق الدكتور درى رجاء المجلس فيه . وعين مدرساً بمدرسة الطب ووصل بها إلى وظيفة أستاذ قسم الجراحة ، وله مؤلفات كثيرة وقد أنشأ مطبعة عامة .

١٢ — محمود إبراهيم (بك) : كان معيدا بمدرسة الطب ولم يمكث بباريس سوى عام واحد ، وبعد عودته تقلد وظائف كثيرة ومنها أنه كان طبيبا بمستشفى المدارس

بدرب الجماميز فى عهد إسماعيل .

١٣ — قاسم فتحي . عرف بابعثة باسم (قاسم فتح الباب) ولم يمكث طويلا بباريس وقد أشتغل بعد عودته طبيبا فى الجيش وترقى به

١٤ — عقباوى جاد الكريم : لم يمكث بباريس سوى عام واحد وتقلد فى مصر وظائف كثيرة فكان طبيبا فى الجيش وبمصلحة السكة الحديدية وصحة الأقاليم .

وبإضافة أعضاء هذه البعثة الطبية إلى أعضاء البعثات الأخرى المتفرقة يتضح لنا أن عدد الطلاب الذين بعث بهم سعيد للدراسة فى فرنسا كان ٥٧ طالبا أوردنا أسماءهم جميعاً [١] . وهكذا عادت البعثة المصرية بباريس إلى الازدهار على يدى سعيد . وكان يشرف على طلبة البعثة فى الناحية الإدارية — أو المالية — « سليم أفندى » بعد نقل أستفان بك إلى مصر [٢] .

وقد ظل سليم (بك) فى هذا المنصب حتى سبتمبر ١٨٦٢ فخلفه فرنسى يدعى مسيو « تير [٣] » ، وكان يعاونه مسيو « لومرسيه » الذى عمل فى إدارة البعثة المصرية بباريس منذ حكم محمد على ، فكان أولا كاتب حساباتها ثم وكيلا للرسالة المصرية

---

(١) عدا ١٢ طالبا من المدرسة المفروزة أمر سعيد بسفرهم الى أوروبا عقب توليته ، وقد ذكرنا أننا لا نستطيع الجزم بدأمهم ، وعدا ثلاثة طلاب آخرين سبق ذكرهم ولا نستطيع الجزم أيضا بشأنهم .

(٢) وقد أقام سليم بك مدة طويلة بفرنسا ولهذا كان يعرف باسم سليم بك الفرنساوى وكان الى جانب قيامه بهذا المنصب يشرف على مشتريات الحكومة المصرية من فرنسا

(٣) أمين باشا سامى . تقويم النيل وعصر عباس وسعيد م ١ ج ٣ ص ٤٢٤ إرادة لناظر المالية فى غاية ربيع الأول ١٢٧٩

قنطاراً لها ، وقد زيد مرتبه مرات ، مكافأة له على استقامته وحسن سلوكه المشهود طول مدة خدمته »[1]. وكان يعاونه « مسيو مانتيه » كملاحظ شئون الرسالة المصرية ثم خلف مسيو لومرسييه فى إدارة البعثة .

هذا من الناحية الإدارية ، أما الاشراف الفنى فكان موكولا إلى « مجلس تعليم البعثة المصرية » ويتكون من العالم الفرنسى جومار ملك (Jomard) رئيساً وتدعوه الأوراق العربية « مأمور الرسالة المصرية » ، وقد ظل مشرفا على شئون الطلاب المصريين فى فرنسا من عهد محمد على[2] حتى وفاته فى سنة ١٨٦٢[3] ومن العالم الفرنسى بارتلمى سانت هيلير (Barthélemy St. Hilaire) نائباً للرئيس والفلكى إيفون فلارسو (Yvon Villarceau) وباربه (Barbet) الذى كان من موظفى المدرسة الحربية المصرية سابقاً ولومرسييه مدير إدارة البعثة بباريس أعضاء[4] .

وصادف جومار فى بعض الأحيان شيئاً من عدم الطاعة من جانب الطلبة المصريين وقلة امتثالهم للقوانين واللوائح ، فوضع لائحة ، لتكون دستوراً للعمل

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨٣ إرادة لناظر المالية فى ٢٥ صفر ١٢٧٨ (أمر بزيادة مرتبه الى ١٥ ألف فرنك فى السنة)

(٢) انظر كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٤٣٥

(٣) Guémard : Les Réformes en Egypte, p. 308.

(٤) Dor Bey : L'Instruction Publique en Egypte, p. 259-260 & Sachot : Rapport ..., p. 27 & Guémard, op. cit., p. 302-303.

يذكر Sachot بدل اسم Barbet اسم Gilbert ولكن المراجع الأخرى تتفق على ذكر Barbet و Yvon Villarceau كان من جماعة الـ (Saint-Simoniens) الذين وفدوا على مصر فى حكم محمد على والذى درسنا فى الملك (Guémard, op. cit., p. 292.)

فى شأن التلاميذ المذكورين منعاً لوقوع مثل هذه الحالات بعد ذلك نهائياً وتسهيلا لقضاء مهمته وتمهيد كله »[1] وأرسل اللائحة إلى « كويج بك » Koenig « مأمور التحريرات الأفرنكية » ليرفعها إلى الوالى ، فنالت موافقته .

جاء فى صدر اللائحة[2] « أن تلامذة الرسالة موضوعون تحت إدارة ونظارة مجلس عام معين من طرف دولتلو افندمز والى مصر . . والمجلس المذكور قائم مقام سعادة الخديو الموكل والمدد من طرفه الأشرف فى خصوص المواد التى بدائرة تصرفه فيلزم أن التلامذة المذكورة يمتثلون إلى قرار المجلس المذكور ويطيعونها . . . »

وعلى التلامذة أن يطيعوا نظار المدارس التى ألحقوا بها ويراعوا ما فرض على زملائهم الفرنسيين بها من قواعد وأوقات . وهم ممنوعون منعاً باتاً من المبيت خارج الحجرات المخصصة لهم فى مدارسهم أو الخروج منها فى غير أيام الآحاد والعطلات المقررة ومن إدخال مواد أو مشروبات أو مأكولات أو أسلحة فى المدرسة .

ويعطى لكل تلميذ فى يوم الخميس من كل أسبوع عشرة فرنكات ، يخصم منها فرنكان ليجتمع له منها مبلغ من المال يأخذ منه فى العطلة السنوية ، وتوقع على المذنبين من الطلاب العقوبات الآتية :

---

(١) محفظة ١٦ (معية تركى) رقم ٩٧ من حككنيك بك إلى المعية فى ٢٣ ربيع الأول ١٢٧٤ (نوفمبر سنة ١٨٥٧)

(٢) دفتر ترتيبات ووظائف ص ٤٣٦ . ترتيب نامة فرنساوى فى حق تلاميذ الرسالة المصرية بفرنسا وصادر عليه أمر عالى بالاجرى رقم ١٦ ربيع الثانى سنة ١٢٧٤ رقم ٢١ لجناب جومار بك مأمور الرسالة المصرية تركى العبارة . وقد نشرنا اللائحة كاملة فى ملحق (٢) بالجزء الثالث من هذا الكتاب .

١ — الحرمان من الخروج يوم الأحد .

٢ — الحرمان من بعض أو كل المرتب الاسبوعي .

٣ — الحرمان من الخروج من المدرسة .

٤ — الحبس الضيق .

٥ — الطرد إلى مصر .

والمواد الأخرى خاصة بما يلبسه الطلبة في الصيف والشتاء والأشياء التي تصرف لهم ... الخ

بعثة الطب إلى مونبيليه

في ٢١ مارس ١٨٦٢ (٢٠ رمضان ١٢٧٨) أصدر سعيد باشا أمراً إلى رئيس مجلس الصحة – وهو إذ ذاك الدكتور كاوتشي بك (باشا فيما بعد) – بالموافقة على إرسال بعثة من اثني عشر طالب لتلقي العلوم الطبية في جامعة مونبيليه واختير الدكتور لاوتو بك رئيساً لهذه البعثة [١] .

واختار أساتذة مدرسة الطب الطلبة الآتية أسماؤهم من بين طلبة المدرسة « ذوى السلوك الحسن والميل المحسوس إلى دراســـة العلوم الطبية والجمع بين الكفاية والذكاء »[٢] وهم : مصطفى فايد ، إبراهيم صبري ، أحمـــد نديم ، حسن محمود ، لطيف أغا ، محمود رشدي ابقلي ، علي فهمي ، إبراهيم حسن ، محمد سالم ، محمد بهجت ، علي محمد البقلي .

ولمـا عرضت أسماؤهم على سعيد باشا أمر بسفر الطالبين الأخيرين إلى فرنسا

---

(١) دفتر ١٨٩٩ ج ٢ (أوامر) ص ١٠٣ رقم ١٨٩ أمر الى رئيس مجلس الصحة في ٢٠ رمضان ١٢٧٨

(٢) في دار المحفوظات العمومية بالقلعة (القسم الافرنجي) دفتران . الأول يحتوى على المكاتبات الصادرة من مجلس الصحة الى البعثة والثاني المكاتبات الواردة اليه من البعثة وكلها باللغة الفرنسية ، وسنشير الى الدفتر الأول (برقم ١) مجلس الصحة — بعثة مونبيليه والى الدفتر الثاني برقم ٢ (بعثة مونبيليه — مجلس الصحة) — دفتر ١ (مجلس الصحة — بعثة مونبيليه) رقم ٢٥٠ من كاوتشي بك الى ذى الفقار باشا ناظر الخارجية بالاسكندرية في ٢٦ مارس ١٢٦٢

وبأن يستبدل بهما الطالبان : محمد السيد ومحمد حافظ .

وعرض الأمر على مجلس الصحة للنظر فى الشئون الإدارية والمالية والعلمية وكافة شئون البعثة . وقيل إن الغرض الذى كان يرمى إليه سعيد باشا من إرسال هذه البعثة هو تحرير مصر من احتياجها باستمرار إلى الاعتماد على الأطباء الأجانب وإعطاء ضمانات للدول الأوروبية عن الحالة الصحية فى مصر طبقاً لرغبة المؤتمر الصحى الدولى الذى عقد أخيراً فى باريس ، وتكوين أطباء من أهل البلاد يتمتعون بمهنة الطب ويعاونون على تقدم العلوم والسير بمصر إلى مصاف الدول الغربية (١) .

أما عن اختيار مونبيه لطلبه البعثة الطبية — فى الوقت الذى شرعت فيه حكومة سعيد تنتخب أعضاء بعثة طبية أخرى إلى باريس — فقد قيل إن من أسبابه الرغبة فى الاقتصاد . ولكن هذه الرغبة لم تتحقق : فإن مجلس الصحة كان يشكو من أن تلامذة مونبيه على الرغم من قلة مرتباتهم يكلفون الحكومة أكثر مما يكلفها تلامذة باريس ، وكان المجلس باستمرار يدعو ناظر بعثة مونبيه إلى الاقتصاد (٢) .

وتبع ناظر البعثة مباشرة مجلس عموم الصحة بالإسكندرية « Conseil de l'Intendance Générale Sanitaire d'Alexandrie »

فعليه أن يرسل لهذا المجلس حسابات البعثة وتقارير شهرية عن حالة كل تلميذ الدراسية وسلوكه ، وعن طريق مجلس الصحة يسلم ناظر البعثة الأموال والتعليمات

---

(٢) المصدر السابق .

(١) دفتر ١ (مجلس الصحة — بعثة مونبيه) رقم ١٠ من كلوتشي الى لاوتار فى ١٠ يناير ١٨٦٣

اللازمة ، وكذلك لمجلس الصحة السلطة التامة فى كل ما يتعلق بالدراســـة وسلوك التلاميذ [١] .

وعهد إلى لاوتنر بك — علاوة على واجبات منصبه كناظر للبعثة — أن يتصل بمدير جامعة مونيخ ليضع بالاتفاق معه برنامجا دراسيا لمدرسة الطب بقصر العينى ، بحيث أن التلاميذ الذين يدرسون بالمدرسة طبقا لهذا البرنامج يستطيعون بدون تكرار للدروس أن يتابعوا دراستهم بالجامعة التى اشتركت فى وضع برنامج دراستهم . وبذلك يمكن أن تعد مدرسة الطب بالقاهرة فى الأوساط العلمية بأوروبا كمدرسة تجهيزية للطب ، فيسمح لخريجيها بالالتحاق بكليات الطب فى أوربا [٢] .

وكتب مجلس الصحة بهذا كله إلى الدكتور لاوتنر بك [٣] .

وقد عرفنا لاوتنر بك « Lautner » [٤] من كبار الأطباء الألمان الذين أتوا إلى مصر فى حكم عباس ، وقد شغل وظائف عدة : فكان أستاذاً بمدرسة الطب فناظراً لها ووكيلا لشورى الأطباء وطبيباً خاصاً للوالى . وكان — فى أواخر حكم عباس — قد سافر مع الأمير إلهامى باشا إلى أوربا ولم يكن قد عاد إلى مصر حين تولى

---

(١) دفتر ١ (مجلس الصحة — بعثة مونيخ) رقم ٢٥١ من كلوتشى إلى ذى الفقار باشا فى ٢٦ مارس ١٨٦٢

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق رقم ٢٨٠ إلى الدكتور لاوتنر بك ناظر البعثة الطبية المصرية فى مونيخ (باسكندرية) فى ٨ ابريل ١٨٦٢

(٤) انظر فيما سبق ص ٧٧ ، ٣٢٤ — ويكتب الأستاذ دن (ص ٣٢٤ ، ص ٣٥٢) اسمه هكذا Lawantler وواضح أنه تحريف لاسمه الحقيق .

سعيد باشا (١) . فسرعان ما أصدر الوالى أمراً إلى ديوان المدارس فى سبتمبر ١٨٥٤ بفصله من وظيفته (٢) . ولكنه ما لبث أن أعاده إلى خدمة الحكومة المصرية ، ويبدو أن ذلك بسعى زميله الطبيب الألمانى رايز الذى ظل يعمل بمصر فى عهد سعيد . ثم عاد سعيد باشا فأصدر — فجأة — أمراً بإحالة الدكتور لاوتنر بك إلى التقاعد مع منحه ربع مرتبه (فى أغسطس ١٨٦١) ولكن قنصل دولته تدخل لدى سعيد باشا ، فاستقر الرأى على إعادته لخدمة الحكومة المصرية ، وعين رئيساً لبعثة طلبة الطب المسافرين إلى مونيخ (٣) .

وعلى الرغم من أن الدكتور كلوتشى بك رئيس مجلس الصحة فى عهد سعيد يصف لاوتنر بأنه « طبيب ممتاز وإدارى قدير ... وفى تعيينه ضمان مؤكد لنجاح البعثة ... » على الرغم من هذا فقد انتهت إدارته للبعثة إلى الفشل التام بل إلى ما هو أشد من الفشل .

ولم تكن هذه أول بعثة مصرية لدراسة الطب فى مونيخ ، فقد أوفد عباس فى أول حكمه تسعة من طلاب الطب والألسن والمكتب العالى إلى جامعة مونيخ لدراسة

---

(١) محفظة ٥ (معية تركى) رقم ٢٨١ من مدير المدارس إلى كاتب الديوان الخديوى فى المحرم ١٢٧١

(٢) دفتر ٣٢٨ (مدارس عربى) ص ٣ رقم ٧ من شورى الأطباء فى ٢٦ المحرم ١٢٧١

(٣) محفظة ٢٨ (معية تركى) رقم ٥٨١ من محمد شريف ناظر الخارجية إلى المعية فى غاية ذى القعدة ١٢٧٨

الطب أيضاً . وقد رأيت ما كان من النزاع بين الطلبة وناظرهم البارون « دوبريل » ، هذا النزاع الذي أدى إلى إعادة عضو من البعثة إلى مصر ثم تلاه عضوان وقعت عليهما الحكومة المصرية عقوبات قاسية . وأحد هذين العضوين كان « خليل ابراهيم » وأصله من طلبة مدرسة الطب . وقد شكا البارون من سلوكه مر الشكوى فأعادته الحكومة إلى مصر وقررت عقابه بارساله إلى جبل قيسون (بالسودان) لمدة ثلاث سنوات وعند نهايتها يلحق جنديا باحدى فرق الجيش [1] . ولسنا نعرف هل نفذ هذا العقاب القاسي أم لم ينفذ ، ولكنا نعرف أن « خليل افندى إبراهيم — وهو طبيب وطنى برتبة يوزباشى » — ألحق ببعثة مونيخ فى مايو ١٨٦٢ بناء على طلب ناظرها الدكتور لاوتنر بك [2] ليكون مساعداً له فى إدارة البعثة ، فكان ذلك بداية عهد الاضطراب والفوضى والارتباك فى صفوف طلبة مونيخ .

سافر بهم لاوتنر إلى مونيخ فى يونية — يولية ١٨٦٢ واستأجر لهم بها منزلا ، ودعا نفرا من الأساتذة لتلقينهم العلوم وخاصة اللغتين الفرنسية والألمانية ، وقدم كتب التوصية التى حملها من مصر إلى سفير الدولة العثمانية فى فينا [3] .

بدأ لاوتنر منذ الأيام الأولى من مقامه فى مونيخ يشكو إبراهيم خليل (ويكتب

---

(١) أنظر فيما سبق ص ١٣٣ — ١٣٥

(٢) دفتر ١ (مجلس الصحة — بعثة مونيخ) رقم ٣٠ من كلوتبك الى لاوتنر فى أول مايو ١٨٦٢

(٣) محفظة ٢٨ (معية تركى) رقم ٥٣٥ من محمد شريف ناظر الخارجية إلى المعية فى ٧ ذى القعدة ١٢٧٨ ودفتر ٢ (بعثة مونيخ — مجلس الصحة) رقم ٥ من لاوتنر الى كلوتبك فى ١٧ ديسمبر ١٨٦٢

أحيانا فى وثائق ذلك العهد خليل ابراهيم) ، ويعترف بأنه ارتكب خطأ عندما استمع إلى إلحاحه واصطحبه إلى مونيخ . قال حالة إبراهيم العصبية لا تجعله يستطيع أن يميز الحسن من القبح ، وأثار عليه بكبريائه الطلبة حتى شكوه إلى بوليس المدينة [١] فاقترح لاوتر على مجلس الصحة بالاسكندرية أن يأذن بإعادته إلى مصر أو إرساله إلى باريس وباستخدام موظف أوروبى بدله [٢] .

أما مجلس الصحة ، فلا يعجب لما بدا من إبراهيم خليل لما يعرف له من سابقة ولما هو عليه من خلق مضطرب ، وعرض الأمر على إسماعيل باشا — وكان قائمقاما فى مصر أثناء غياب سعيد باشا عنها — فأذن بانتقال إبراهيم إلى باريس ليكمل دروسه وينال الدكتوراه وتعيين أوربي مكانه فى مونيخ [٣] .

أما الطلبة فكانوا قد بدأوا يشكون قلة المرتبات التى خصصت لهم بالنسبة لبعثة باريس : وهى ٧٠ قرشا فى الشهر يعطى منها كل منهم ٣٠ قرشا ويعطى الباقى (لوكلائهم) فى مصر — وبدأ بعضهم — على أثر انتقال إبراهيم خليل إلى باريس — يطلب انتقاله إليها . ويوافق ناظرهم على صحة شكواهم ويسوءه أنهم لم يذهبوا قط إلى المسرح ومرّ

---

(١) دفتر ٢ (بعثة مونيخ — مجلس الصحة) رقم ٥ من لاوتر إلى كلوتشى فى ١٧ ديسمبر ١٨٦٢

(٢) دفتر ٢ (بعثة مونيخ — مجلس الصحة) رقم ٣ من لاوتر إلى كلوتشى فى ٢٥ أغسطس ١٨٦٢

(٣) دفتر ١ (مجلس الصحة — بعثة مونيخ) رقم ٥ من كلوتشى الى لاوتر فى ١١ سبتمبر ورقم ٦ فى ٢٧ سبتمبر ١٨٦٢

(الكرنفال) من غير أن يشهدوا مرقصا . . »[1] .

ولكن مجلس الصحة بالاسكندرية يرد بأن طلبة باريس كانوا يعملون مساعدين للمدرسين بمدرسة الطب قبل سفرهم ، أما طلبة مونيخ فليسوا إلا تلامذة[2] .

في تلك الأثناء كان الاضطراب ينتشر بين صفوف الطلبة ، حتى انتهى الأمر إلى اصطدام بين الطلبة وأساتذتهم وسوق الطلبة إلى سجن المدينة ومحاكمة لاوتنر وصفيه أوبرماير Obermayer (الذى عينه في محل إبراهيم خليل) ، وقد كشف التحقيق عن مآسي مفجعة : ثبت أن لاوتنر ترك السلطة التامة لأوبرماير ، ولم يكن يرى التلاميذ إلا مرة في كل ستة أسابيع ، وراح أوبرماير يسيء معاملة الطلاب حتى كان يركلهم بقدمه[3] .

وأدى الأمر إلى اصطدام دموى بين الطلبة وأوبرماير — وقد أصيب فيه ثلاثة منهم (مصطفى قايد وأحمد نديم ومحمد سالم) بجراح بالغة — وسيق الطلبة جميعاً ما عدا محمد حافظ ولطيف أغا إلى بوليس المدينة . ويعلل لاوتنر ذلك بأن « البعثة كانت تحمل بذور انحلالها »[4] .

---

(١) دفتر ٢ (بعثة مونيخ — مجلس الصحة) رقم ٦ من لاوتنر الى كلوتشي فى ١٨ فبراير ١٨٦٣

(٢) دفتر ١ (مجلس الصحة — بعثة مونيخ) رقم ١٠ من كلوتشي الى لاوتنر فى ١٠ يناير ١٨٦٣ (يظهر أن هناك خطأ فى قيد التاريخ بالدفتر)

(٣) دفتر ٢ (بعثة مونيخ — مجلس الصحة) رقم ١٢ من المحامى Chasse Kempfenhausen الى كلوتشي فى ١٢ يونية ١٨٦٣

(٤) دفتر ٢ (بعثة مونيخ — مجلس الصحة) رقم ٩ من لاوتنر الى كلوتشي فى ٢ يونيه ١٨٦٣

ونصب أحد أفاضل المحامين فى مونبلييه نفسه للدفاع عن الطلبة ، فأثار صحافة المدينة وعطف ملك بافاريا على الطلاب المصريين ، حتى إنه أصدر قرارا بوضعهم تحت رعايته[1]. ووضعت البعثة مؤقتا تحت إشراف هذا المحامى ، ولكن لاوتيز احتفظ بالمال . وفى تلك الأثناء جرت محاكمة أوبرمايز فحكم عليه بالحبس ثلاثة أشهر ، ثم حوكم لاوتيز فاستبدل بالحبس البسيط لمدة ثمانية أيام غرامة مالية[2] .

وقرر الخديو إسماعيل — وقد حدث هذا الحادث بعد أشهر من ولايته الحكم فى مصر — إلغاء بعثة مونبلييه ونقل طلبتها إلى باريس[3] ، وهكذا أسدل الستار على تلك المأساة .

ويذكر سمو الأمير عمر طوسون[4] أن أعضاء هذه البعثة كانوا أحد عشر طالبا — ذلك لأنه لم يذكر شيئاً عن العضو (الثانى عشر) وهو خليل ابراهيم — وقد ظلوا يدرسون بمونبلييه إلى أوائل أغسطس ١٨٦٣ ثم نقلوا إلى فرنسا فى ٢٢ أغسطس من هذه السنة ؛ وبقوا يتعلمون بها إلى سنة ١٨٧٠ حين عادوا إلى مصر على أثر حوادث

---

(١) دفتر ١ (مجلس الصحة — بعثة مونبلييه) رقم ٢٢ من كلوتبك إلى الدكتور بورجيير ملك الطبيب الخاص الوالى وناظر مدرسة الطب فى ١١ يوليه ١٨٦٣

(٢) دفتر ٢ (بعثة مونبلييه — مجلس الصحة) رقم ١٦ فى أول أغسطس ورقم ١٨ فى ٢٢ منه ورقم ٢١ فى ٢٤ نوفمبر ١٨٦٣ من المحامى إلى كلوتبك

(٣) دفتر ١ (مجلس الصحة — بعثة مونبلييه) رقم ٢٧ من كلوتبك إلى المحامى فى ١١ سبتمبر ١٨٦٣

(٤) البعثات العلمية ... ص ٥٢٦ — ٥٤٤

حرب السعين . وكان قد عاد بعضهم فى سنة ١٨٦٨ أو ١٨٦٩ ، ثم أرسل فريق منهم إلى باريس ثانية فى سنة ١٨٧١ ليتموا رسالة الدكتوراه . وهاك أسماءهم :

١ — مصطفى فايد (بك) : نال فى امتحانات سنة ١٨٦٤ درجة (مرضى) وفى سنة ١٨٦٧ كان يستعد لأول امتحان من امتحانات الدكتوراه . قيل إن الخديو اسماعيل لما زار باريس واستعرض الطلاب المصريين أعجبه منه اعتدال قوامه وقوة بنيته فأمر بتحويله إلى دراسة الفنون الحربية ، وقد أتمها فى سنة ١٨٧٠ ولما عاد ألحق بالجيش وترقى به .

٢ — إبراهيم صبرى (بك) نال فى امتحانات سنة ١٨١٤ درجة (مرضى جداً) وفى سنة ١٨٦٧ أتم دروس السنة الثالثة للدكتوراه . عاد إلى مصر فى سنة ١٨٧٠ ثم رجع إلى باريس فى سنة ١٨٧١ ليتم رسالة الدكتوراه ، وبعد عودته عين مدرساً بمدرسة الطب[1]

٣ — أحمد نديم : اختبره مجلس تعليم البعثة بباريس فى سنة ١٨٦٤ فى الكيمياء والطبيعة والتاريخ الطبيعى فنال درجة (فائق) وفى سنة ١٨٦٧ كان على وشك الدخول فى امتحان الدكتوراه وقد عاد إلى مصر على أثر حوادث سنة ١٨٧٠ ثم سافر ثانية إلى فرنسا فى سنة ١٨٧١ . وعين بعد عودته مدرساً بمدرسة الطب .

٤ — حسن محمود (باشا) : نال فى امتحانات سنة ١٨٦٤ درجة (مرضى جداً) وفى سنة ١٨٦٧ أتم دروس السنة الثالثة للدكتوراه ، وعين بعد عودته مدرساً بمدرسة الطب وترقى بها حتى أصبح أستاذ التشريح بها وناظراً عليها من سنة ١٨٨٩ إلى سنة ١٨٩١ وترك مؤلفات طبية كثيرة .

٥ — لطيف أغا (بك) : نال فى امتحانات سنة ١٨٦٤ درجة (مرضى جداً)

---

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ١١ ص ٩٠

وفى سنة ١٨٦٧ كان يستعد لأول امتحان من امتحانات الدكتوراه . وهو أرمنى الجنس عاد إلى مصر فى سنة ١٨٧٠ عين مساعداً لمدرس التشريح بمدرسة الطب ثم أستاذاً للتشريح ثم انتقل إلى خدمة الصحة بالمديريات .

٦ — محمود رشدى البقلى : نال فى امتحانات سنة ١٨٦٤ درجة (مرضى) وفى سنة ١٨٦٧ كان يستعد لأول امتحان من امتحانات الدكتوراه عاد إلى مصر فى سنة ١٨٧٠ فعين مساعداً لمدرس التشريح بالمدرسة ثم أستاذاً بها ثم نقل إلى الأقاليم . وله قاموس طبى بالعربية والفرنسية[1] .

٧ — على فهمى : نال فى امتحانات سنة ١٨٦٤ درجة (مرضى) ولكن المنية عاجلته إذ توفى بباريس فى سنة ١٨٦٧ .

٨ — محمد حافظ (بك) : نال فى امتحانات سنة ١٨٦٤ درجة (مرضى) وفى سنة ١٨٦٧ أتم دروس السنة الثالثة للدكتوراه . عين بعد عودته طبيباً للرمد بالمستشفيات ثم مدرساً بالطب للولادة والرمد ، ثم كان وكيل نظارة المستشفيات فى سنة ١٨٧٤ وله مؤلف فى الرمد .

٩ — إبراهيم حسن (باشا) : نال فى امتحانات سنة ١٨٦٤ درجة (مرضى جداً) وفى سنة ١٨٦٧ أتم دروس السنة الثالثة قسم الدكتوراه . عاد إلى مصر فى نهاية سنة ١٨٦٩ ثم أرسل ثانية إلى ألمانيا لدراسة الطب الشرعى فأحرز شهادته ورجع إلى مصر فعين فى سنة ١٨٨١ مدرساً للطب الشرعى بمدرسة الطب . وكان الطبيب الخاص

---

(١) المصدر السابق .

للأسرة الخديوية وسافر بمعية الخديو اسماعيل بعد عزله ، ثم عين فى سنة ١٨٨٨ مفتشاً لعموم الصحة وتقلد نظارة مدرسة الطب من سنة ١٨٩١ إلى سنة ١٨٩٨ .

١٠ — محمد سالم (ملك) : نال فى امتحانات سنة ١٨٦٤ درجة (مرضى جداً) وفى سنة ١٨٦٠ كان يستعد لأول امتحان من امتحانات الدكتوراه . عين بعد عودته بالجيش وقضى فيه معظم خدمته .

١١ — محمد السيد : نال فى امتحانات سنة ١٨٦٤ درجة (مرضى جداً) وفى سنه ١٨٦٧ كان يستعد لأول امتحان من امتحانات الدكتوراه . وقد توفى فى سنة ١٨٧٤

فتكون البعثات التى أرسلها سعيد باشا للدراسة فى أوروبا

٥٧ طالبا إلى فرنسا[1]

١٢ « « ميونيخ

فيكون المجموع ٦٩ طالبا لا ٤٨ كما ذكر المغفور له الأمير عمر طوسون[2] .

---

(١) عدا طلبة بعثة المعروزة (١٢ طالبا) وثلاثة طلاب سبق أن ذكرناهم وأشرنا الى أننا لا نستطيع أن نجزم بسفرهم الى فرنسا فى عهد سعيد .

(٢) يذهب أمين باشا سامى (التعليم فى مصر ص ١٦) الى أن سعيدا فى فترة ولايته أرسل الى أوربا ١٤ طالبا أنفق عليهم بها ٦٩٠٨٣ جنيها .

فهـــرس الأعـــلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ز)

(س)

مطبعة العصر ٢٢٩ شارع فاروق بمصر تليفون ٢٥٦٩٩

١٩٤٥